عالم المخطوطات والنوادر

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة
KING ABDULAZIZ PUBLIC LIBRARY

المجلد الرابع　العدد الأول　المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ / مايو - أكتوبر ١٩٩٩م

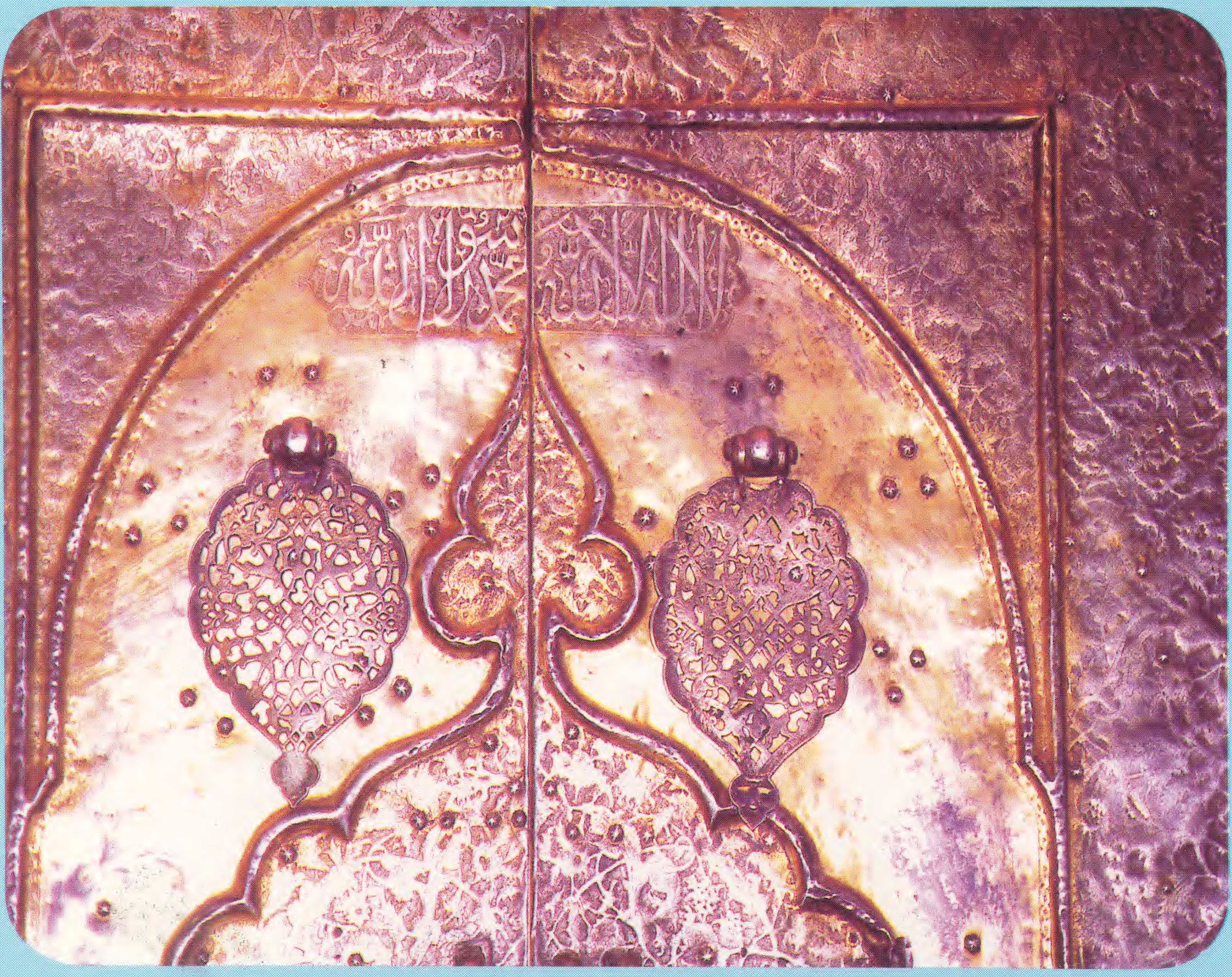

أبو الريحان البيروني

دراسة عن حياته ونتاجه الفكري

الدكتور أمين سليمان سيدو

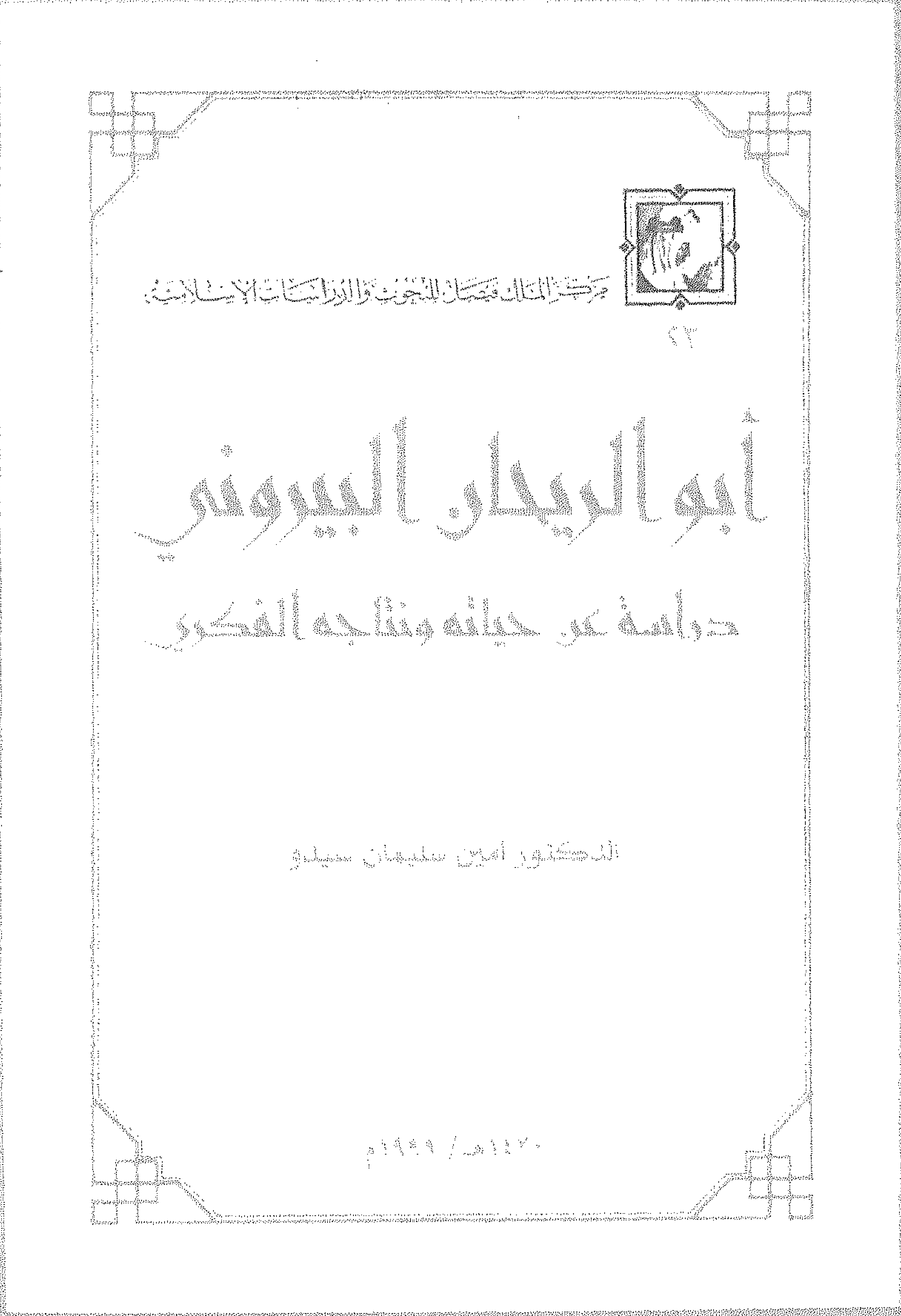

يطلب من : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

☎ ٤٦٥٢٢٥٥ - فاكس ٤٦٥٩٩٩٣ - ✉ ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم المخطوطات والنوادر

ملحق محكّم نصف سنوي يصدر عن

عالم الكتب بدعم وتعضيد من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض

عالم الكتب : مجلة محكَّمة تصدر كل شهرين عن دار ثقيف للنشر والتأليف أسسها عبدالعزيز أحمد الرفاعي وعبدالرحمن ابن فيصل المعمر، يرأس تحريرها يحيى محمود بن جنيد "الساعاتي" ، صدر العدد الأول منها عام

ترسل الدراسات والبحوث والتعقيبات باسم

رئيس التحرير

يحيى محمود بن جنيد "الساعاتي"

✉ ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧ - ☎ ٤٧٧٧٢٦٩ - ٤٧٦٥٤٢٢

ترسل طلبات الاشتراك واستفسارات المتابعة باسم

مدير دار ثقيف للنشر والتأليف

عبدالرحمن بن فيصل المعمر

✉ ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧ - ☎ ٤٧٦٥٤٢٢ 📠 ٤٧٦٣٤٣٨

٥٩ شارع إبراهيم النويري - الملز

الاشتراك السنوي (٥٠) خمسون ريالاً سعودياً للأفراد و (١٠٠) مئة ريال للهيئات والمؤسسات

منهاج النشر وشروطه

أولاً - يشترط في الدراسات والبحوث المراد نشرها :

١ - أن تكون في إطار تخصص الملحق (المخطوطات، والوثائق، والمسكوكات، والشواهد، والأختام ، والكتب النادرة) .

٢ - أن تزوّد الدراسة بنماذج توضيحية .

٣ - أن يلتزم في المعالجة بالمنهج العلمي والحيادية والموضوعية .

٤ - أن تكون المراجعات ذات مضمون تحليلي نقدي مع ضرورة إعطاء معلومات كاملة عن المخطوط ، تشمل (المؤلف ، العنوان ، مكان النسخ ، الناسخ ، التاريخ ، عدد الأوراق ، مكان الحفظ ورقم الحفظ) .

٥ - أن ترفق مع المخطوطات المحققة صورة من الورقة الأولى وأخرى من الورقة الأخيرة.

٦ - أن تكون أصلاً ، ولا يحبذ إرسال صورة من الدراسة .

٧ - أن لا تكون قد نشرت من قبل أو أرسلت إلى دورية أخرى .

٨ - أن تكون مطبوعة أو مكتوبة بخط واضح .

٩ - أن تكون الهوامش في آخر الدراسة أو المراجعة ، على النحو التالي (المؤلف، العنوان، المحقق ، الناشر، مكان النشر، التاريخ، الصفحة ويرمز لها بـ ص أو الصفحات ويرمزها لها بـ ص ص) .

١٠ - أن تتضمن قائمة بالمراجع التي استخدمت .

ثانياً - تخضع الأعمال المرسلة إلى الملحق للتحكيم قبل نشرها .

ثالثاً - الملحق لايعيد المادة المرسلة سواء قبلت للنشر أو لم تقبل .

رابعاً - ترتب المواد وفقاً لأمور فنية بحتة .

خامساً - يتم إبلاغ صاحب العمل بتسلم الملحق مع إشعاره بقبولها للنشر أو عدم القبول.

سادساً - لايجوز إعادة نشر أية مادة من مواد الملحق إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير.

سابعاً - ماينشر في الملحق يعبر عن رأي كاتبه فقط ولايمثل رأي الملحق بالضرورة .

الهيئة الاستشارية للتحرير

- أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري	- عبدالستار عبدالحق الحلوجي
- أحمد فؤاد جمال الدين	- عباس صالح طاشكندي
- عبدالعزيز بن ناصر المانع	- محمد بن أحمد الرويثي

رقم الإيداع : ١٧/٠٩٤١ - ردمد : ISSN: ١٣١٩-٥٨٥٩

المجلد الرابع — العدد الأول — المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ / مايو - أكتوبر ١٩٩٩م

المحتويات

المخطوطات - فهرسة - دراسات

جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين .... عبدالكريم عوفي .... ٤ - ٦٢

المخطوطات - تحقيق

مقالة في مرض الشقفة ومعالجته لموفق الدين ابن العين زربي .... محمد فؤاد الذاكري ..... ٦٣ - ٨٣

تراجم مغربية أندلسية تنشر لأول مرة .... عبدالعزيز الساوري ..... ٨٤ - ٩٦

إجازة عبدالرزاق البيطار الدمشقي لراشد بن عبداللطيف آل مبارك الأحسائي ..... محمد بن ناصر العجمي ٩٧-١٠٣

المخطوطات - مراجعات

مخطوطة كتاب تاريخ أدباء مالقة ويسمى مطلع الأنوار ونزهة البصائر فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد مالهم من المناقب والآثار لأبي بكر المالقي ...... قاسم بن أحمد السامرائي ١٠٤-١٢٤

الآثاري وديوانه «المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع» (مخطوطة فريدة بها خط المؤلف وإجازته) .... أحمد خان ١٢٥-١٤٣

نسخة مغربية من صحيح الإمام البخاري .... عبدالله بن محمد المنيف ١٤٤-١٦٣

النقوش والزخارف

باب الكعبة المشرفة المؤرخ في عام ١٠٤٥هـ .... ناصر بن علي الحارثي ١٦٤-١٩٧

الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي .... هزاع بن عيد الشمري ١٩٨-٢٣٥

العمارة اليمنية في العصور الوسطى لرونالد ليوكك ...... ترجمة : تعليق محمد بن عبدالرحمن الثنيان ٢٣٦-٢٦٤

جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين

عبدالكريم عوفي

معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة باتنة - الجزائر

المقدمة: تعد الجزائر من بين البلاد العربية الغنية بالمراكز العلمية، التي تحتفظ بالمخطوطات، كالزوايا والخزانات الشعبية، والمساجد، والكتاتيب القرآنية، والقصور، ومكتبات الأفراد والأسر. ومن أشهر هذه المراكز على سبيل المثال لا الحصر: زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، وزاوية علي بن عمر في طولقه، وزاوية مولى القرقور بباتنة، وزاوية تماسين بورجلة، وزاوية سيدي خالد ببسكرة، وزاوية الهامل ببوسعادة، وزاوية القنادسة ببشار، وزاوية الشيخ الحملاوي في قالمة، وزاوية بطيوة في وهران، ومكتبات : ابن الفكون، والشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة، والشيخ المهاجر، وابن إسماعيل، والمهدي البوعبدلي في وهران، والشيخ شعيب في تلمسان، والشيخ الحداد في القبائل ، والأمير عبدالقادر، ومكتبات وادي ميزاب، التي تفوق المئة مكتبة ، وخزانات المنطقة الجنوبية من البلاد في كل من أدرار، وبشار، وتندوف، وتمنراست (1) .

إن هذه المراكز وغيرها ملأى بكنوز من التراث المخطوط، وهي تشمل مختلف فنون المعرفة الإنسانية؛ من فقه ، وأصول، وعقيدة، وتوحيد، وتفسير، وقراءات وتجويد، وحديث، وفلسفة، وطب وزراعة، وفقارات، وفلك، ومنطق، وكيمياء، وميقات، وحساب ، ورياضيات، وجبر، وجغرافية، وتاريخ، ورحلات، وسير، وتراجم، وآداب، ونحو، وصرف، وبلاغة، وتصوف، ووثائق، وغيرها مما تفرع عن هذه الأصول .

ولعل سائلاً يسأل فيقول : كيف تجمعت هذه المخطوطات في هذه المراكز المختلفة ؟ والجواب : هو أن الجزائر كغيرها من الأقطار العربية، عملت منذ نشأة الدولة الإسلامية، بفضل رجالها؛ من العلماء، والحكام على تنشيط الحركة العلمية والثقافية، فأنشأت المراكز العلمية، و شجعت التعليم والتأليف وجمع المخطوطات (2)،

وكانت فيها مدن علمية شهيرة لاتقل عن مثيلاتها في الأقطار الأخرى، كما أنها كانت محطة عبور بين المشرق العربي والغرب الإسلامي وإفريقيا، وقد استمرت هذه الحركة وتنامت حتى أيام الاحتلال الفرنسي، حيث قل نشاطها وكاد يقضي عليها . ولما استعادت البلاد حريتها وطردت المستعمر استأنفت هذه المراكز نشاطها التعليمي ، مع الأخذ بالمعطيات العلمية والمناهج الحديثة، فازدادت ثروتها الفكرية ، ولكن بقيت المخطوطات غير معتنى بها، إلا في السنوات الأخيرة .

والمخطوطات الجزائرية تعرضت لعوادي الزمن ، مما جعلها محجوبة عن الدارسين ، فالاستعمار الفرنسي - كما يعلم الجميع - أتى على الأخضر واليابس، إذ أحرق آلاف المخطوطات ، ونهب أنفسها ، وخرّب عقول الأهالي . فآلاف المخطوطات الجزائرية المنهوبة تحتفظ بها مكتبات ومتاحف الغرب، في كل من إيطاليا، وفرنسا، وهولندا، وإسبانيا، وألمانيا، وتركيا [٣]، كما أن الطبيعة فعلت فعلتها أيضًا، فما سلم من يد المستعمر لم يُحفظ في أماكن لائقة، إذ الكثير منه كان مدفونًا تحت الأتربة، وفي الأقبية والأضرحة، ومازال بعضه على الحال نفسها حتى يومنا هذا، يتعرض للموت البطيء؛ تفعل فيه السوسة والأرضة والرطوبة والحشرات والجراثيم فعلتها الشنيعة . ولعل الذي زاد الأمر خطورة هو جهل بعض مالكي المخطوطات لقيمتها العلمية والحضارية، وحجبها عن المثقفين، لاعتقادهم أنها ملك لايحق لغيرهم الاستفادة منه. كما أن الجهات الرسمية سكتت عنه وكأن الأمر لايعنيها باستثناء المكتبة الوطنية.

إن المراكز العلمية المختلفة في الجزائر، مازالت تحتفظ بكنوز من المخطوطات النفيسة، لعلماء جزائريين وغير جزائريين، ولاسيما في الجنوب، وهي تنتظر حملة واسعة للكشف عنها، حتى تكون في متناول الباحثين، وللأسف لم يُعن بهذا الجانب المهم في حياتنا الفكرية والثقافية ، بعد الاستقلال إلا في السنوات الأخيرة ، مع أن المستشرقين - كما سنرى - يرجع الفضل إليهم في الاهتمام بمخطوطات البلاد، وهم الذين شكلوا نواة المكتبة الوطنية مع بداية الاحتلال .

ومما يثير الحيرة هو أن المحاولات التي قام بها أبناء البلاد معظمها محاولات فردية قام بها أشخاص ، ممن لهم غيرة على تراث الأمة . فقد حقق نفر من العلماء جملة من المخطوطات لعلماء جزائريين، كما أرخ بعضهم للحركة الثقافية في الجزائر عبر الأعصر المختلفة، وأعد أفراد آخرون عدداً من الأبحاث والدراسات والفهارس والقوائم، تخص بعض المراكز، وهي محاولات طيبة، لكنها لاتشكل إلا نسبة قليلة مما ينبغي إنجازه .

فما أهم المراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في الجزائر ؟ وما الدراسات والأبحاث التي أقيمت لها ؟ وما أشهر الفهارس العلمية والقوائم الاسمية التي أنجزت لمخطوطات المراكز العلمية ؛ من زوايا ومكتبات وخزانات ومساجد، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين ؟ وما المناهج المتبعة في إنجازها ؟ وما نوع الإطارات (الكوادر) التي أنجزت هذا الرصيد المعرفي لمخطوطات الجزائر ؟ وما نوع المشكلات والصعوبات التي واجهت المفهرسين والدارسين في حقل المخطوطات ؟ وما الحلول التي يمكن تقديمها للتغلب على هذه الصعوبات، التي تعترض سبل الباحثين في الوصول إلى تحقيق مسح شامل للمخطوطات في الجزائر؛ جمعًا، وتعريفًا، وفهرسة، وتحقيقًا، ودراسة، ونشراً، لتستفيد منها الأجيال المتعاقبة ؟

إن هذه التساؤلات تحتاج إلى تأليف كتاب يتناول موضوع المخطوطات من مختلف جوانبها؛ ماضيًا وحاضراً، ومستقبلاً. ولما كان الأمر غير ميسور لتحقيق هذه الغاية الكبرى في الظرف الحالي، فإنني سأحاول الإجابة عما له علاقة مباشرة بالفهرسة، وذلك في ضوء ما تمكنت من جمعه من مادة علمية خلال شهرين . والله أسأل التوفيق والسداد.

عناية المستشرقين بالمخطوطات العربية في الجزائر منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأهم الدراسات والفهارس التي أنجزوها :

يرجع الاهتمام بالمخطوطات العربية في الجزائر إلى بدايات الاحتلال الفرنسي للبلاد، وذلك عندما قام بعض المستشرقين الفرنسيين ، والضباط المثقفين، وهواة جمع المخطوطات بالاتصال بالمساجد والزوايا،

والكتاتيب القرآنية، فجمعوا ما تحتفظ به من مخطوطات، لأن هذه المراكز العلمية من يومها تعتمد أساسًا على الكتب المخطوطة، في نشر العلم وتلقين المعارف، وليس فيها من الكتب المطبوعة طباعة حجرية إلا النادر، وتعد هذه المحاولات بداية لنشأة المكتبة الوطنية الجزائرية، كما سنرى بعد حين .

والحقيقة أن الفرنسيين لم يكن غرضهم خدمة الثقافة العربية الإسلامية بقدر ما كان هدفهم خدمة مصالحهم الاستعمارية والتبشيرية ، كإنشاء المدارس الفرنسية لتعليم اللغة الفرنسية للأهالي، ومحاربة جل المراكز التي تعنى بنشر العربية والعلوم الشرعية ، ولكن المخطوطات التي كانوا يجمعونها من المناطق المختلفة في الجزائر، كانت تخضع لعملية الفرز، قبل أن تودع في المكتبات التي أنشأها الفرنسيون، إذ إن نفائس المخطوطات نُقلت إلى المكتبات الفرنسية في باريس وغيرها من المدن الفرنسية وإلى المكتبات الخاصة لأولئك الذين كانوا يقومون بجمعها .

وهؤلاء المستشرقون لم يكتفوا بجمع المخطوطات فحسب، بل كتبوا حولها دراسات ومقالات وأعدوا لبعضها فهارس وقوائم، وهذا الأمر لم يكن مألوفًا في المراكز العلمية عندنا على اختلاف أنواعها؛ من مساجد، وزوايا، وخزانات، وكتاتيب، ورباطات.

ومع هذا لم يكن العلماء الجزائريون في معزل عن هذه الحركة العلمية مع بداية القرن العشرين، ولاسيما الذين يكتبون بالفرنسية، إذ وجدنا عالمًا جزائريًا يقوم بمحاولة طيبة تتمثل في إنجاز فهرس لمخطوطات واحد من أكبر المساجد في العاصمة، وهو الأستاذ ابن أبي شنب صاحب التحقيقات والتواليف العديدة . ولكن البوادر الأولى لإعداد فهرسة علمية لمخطوطات المراكز العلمية في الجزائر لم تظهر إلا بعد الاستقلال، لأن المستعمر عندما خرج ترك فراغًا في شتى مجالات الحياة، واللسان ملجم بلجام فرنسي، ولكي يُطوع من جديد يحتاج إلى وقت ، ولذلك لم يُلتفت إلى هذا الجانب إلا بعد سنوات من استرداد السيادة الوطنية .

والمحاولات التي قام بها المستشرقون وبعض الضباط في الجيش الفرنسي تعد رائدة بالنسبة للمكتبة الجزائرية، ولذا فإن

الإشارة إليها من أوكد الأمور، لأنها النواة الأولى لظهور دراسات علمية حول المخطوطات ، جمعًا وتوصيفًا ودراسة .

وقد حاولت قدر الاستطاعة جمع ماكتب حول الموضوع، فكان الذي وقفت عليه هذا العدد من الأبحاث والقوائم والفهارس التي سأذكرها حسب تاريخ ظهورها، وأتأسف لشح المعلومات المقدمة بشأن بعضها، لأن الكثير منها أصبح نادراً وفي حكم المفقود .

وفيما يلي ذكر لأهم الأبحاث والفهارس التي أنجزها هؤلاء المستشرقون :

١ - فهرس مكتبة الجزائر : بير بروجي (Ber Brugger) . لقد طاف الرجل في عدد من المدن الجزائرية ، واتصل بالمساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية - ولاسيما في مدينة قسنطينة - التي جمع من مساجدها ، سنة ١٨٣٧م عددًا معتبرًا من المخطوطات، وشرع في إعداد الفهرس سنة ١٨٤٤م وانتهى منه سنة ١٨٥١م وقد بلغت مخطوطات فهرسه (٧٩١) مخطوطة ، وتشير بعض الدراسات إلى أن الرجل وصحبه قد جمعوا أعدادًا كبيرة من المخطوطات لكن صعوبة نقلها من قسنطينة إلى العاصمة، وعبث الجنود الفرنسيين بها، عاملان أديا إلى ضياع الكثير منها (٤) وقد اعتمد في ترتيبه تاريخ دخول المخطوطات إلى المكتبة الوطنية (٥) .

وهذا الفهرس مفقود من المكتبة الوطنية، لكن المخطوطات الموصوفة بعضها موجود في المكتبة الوطنية . وكثير منها موصوف أيضًا في فهرس فانيان الذي سيأتي ذكره .

٢ - الفهرس المختصر لمخطوطات المكتبات الفرنسية (الجزء الثامن عشر : المخطوطات العربية في الجزائر) : بير بروجي (Ber Brugger) السابق . لما كان هذا الرجل شغوفًا بعلم المخطوطات فإنه في عام ١٨٧٩م قام بمراجعة الفهرس الذي أعدته الآنسة: دو فوكوني (De Fauconnet)، كما أعاد النظر فيما كتبه سابقًا، فألف فهرسًا جديدًا سمّاه : الفهرس المختصر لمخطوطات المكتبات الفرنسية، وخصص الجزء الثامن عشر من أجزائه للمخطوطات العربية في الجزائر، وقد طبع هذا الفهرس في باريس سنة ١٨٩٣م بعناية وزارة التعليم والفنون الجميلة (٦) .

٣ – فـهـرس البـارون دوسـلان (Baron de slane) : قـدم دوسـلان إلى الجزائر في مهمة ثقافية، وانتقل إلى قسنطينة ووقف على مخطوطات مكتبة سيدي حمودة ، المنتمي لعائلة العلاّمة ابن الفكون أحد أقطاب العلم في الشرق الجزائري، وقد سجل كل البيانات التي تخص المخطوطات التي وقف عليها ، ثم كتب تقريراً وقع في (١٦) صفحة وأرسله إلى وزارته عام ١٨٤٥م، وقد طبعه (بول دي بون) [٧] .

ولكن دوسلان بقي في الجزائر حتى عام ١٨٥٨م، ثم عاد إلى باريس ، وأفاد مما كتبه الذين سبقوه في موضوع المخطوطات الجزائرية، فعمل على إثراء ما كتبه سابقًا، وقد أشار فانيان في مقدمة فهرسه إلى أن المخطوطات التي تحمل الأرقام من (٩٩٠ – ١٠٤١) من وضع دوسلان [٨].

وهذان العملان حاولت الوقوف عليهما ، في المكتبة الوطنية بقسم المخطوطات لكني لم أجدهما ، ولعلهما في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس .

٤ – فـهـرس الآنسـة دو فـوكـوني (De Fauconnet) : وقد أشار فانيان إلى أن الآنسة دوفوكوني قد جمعت قائمة تضم (٧٠٠) مجلد ، من المخطوطات، وذلك فيما بين ١٨٧٤ – ١٨٧٥م . وأفاد مماجمعته في إنجاز فهرسه [٩] .

٥ – المخطوطات العربية عند باشاغا الجلفة : رونيه باسيه (René Basset)، نشرت الدراسة في الجزائر عام ١٨٨٤م، لكنها مفقودة .

٦ – المخطوطات العربية في مكتبات زوايا : "عين ماضي، وتماسين، وعجاجة بورجلة" : رونيه باسيه (René Basset) ، نشر الفهرس في الجزائر عام ١٨٨٥م، وسوف يأتي وصفه لاحقًا .

٧ – بيبليوغرافية ميزاب : المستشرق البولوني موتيلانسكي (Motylniski)، وهو بحث مترجم، نشر في المجلة الإفريقية، المجلد الثالث، سنة ١٨٨٥م . ص (٧٥ – ٧٢) [١٠] . وسيرد ذكره مع فهارس منطقة وادي ميزاب [١١] .

٨ – المخطوطات العـربيـة في زاوية الهامل: رونيه باسيه (René Basset) نشر في دورية إيطالية سنة ٩٦–١٨٩٧م، العدد ١٠، من (٤٣ – ٩٧) .

٩ - الفهرس العام لمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية : إدمون فانيان ، وقد طبع في باريس سنة ١٨٩٣م، وهو أرقى الفهارس التي أنجزها المستشرقون، وسوف يأتي توصيفه لاحقًا .

١٠- المخطوطات العربية الموجودة في مدرسة تلمسان : أوجست كور (Auguste Coer)، وقد طبع في الجزائر سنة ١٩٠٧م، وسيأتي توصيفه أيضًا .

١١- المكتبات الصحراوية : ماسنيون . ل . وقد نشر سنة ١٩٠٩م .

١٢- محاولة بيبليوغرافية للإباضية الوهبية : سمو جروزوفسكي، وقد أعدها سنة ١٩٢٨م .

١٣- المكتبات والمخطوطات الإباضية : شاخت (J . Schacht)، نشر في المجلة الإفريقية، العدد : ١٠٠، ص (٣٧٥ - ٣٩٨)، سنة ١٩٥٦م [١٢] .

١٤- المخطوطات الإباضية : فون هاس، سنة ١٩٧٤م .

وهذه الدراسات كلها كتبت باللغة الأجنبية، ويمكن أن نضيف إليها فهرسًا كتب باللغة الفرنسية لعلامة جزائري .

١٥- فهرس الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر : محمد ابن أبي شنب ، طبع في الجزائر سنة ١٩٠٩م . وسيأتي توصيفه لاحقًا .

هذه هي أهم المحاولات الأولى التي بدأت في الاهتمام بالمخطوطات الجزائرية، في مراكزها المختلفة ، قام بها نفر من المستشرقين والضباط الفرنسيين في فترات زمنية مختلفة، كانت بداياتها - كما ذكرنا - في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ونعتقد أن دراسات أخرى أنجزت حول الموضوع، وقد تكون نشرت في مجلات أوربية ولم نتمكن من الوقوف عليها، ولعل البحث مستقبلاً يميط اللثام عنها [١٣] .

وعلى الرغم من أن الدول العربية والإسلامية قد تقدمت خطوات عملاقة في مجال فهرسة المخطوطات التي تحتفظ بها مراكزها العلمية، وتحاول اليوم استخدام التقنية المعاصرة في الفهرسة، فإن الجزائر ما زالت لم تشهد الحركة العلمية نفسها في حقل الفهرسة ، لعوامل عدة [١٤]. ولذلك لايعجب المرء عندما يجد أن كل الدراسات والفهارس التي ذكرناها - باستثناء فهرس

ابن شنب - من إنجاز المستشرقين، وهي تغطي فترة زمنية تقدر بأكثر من قرن وربع القرن، وهي المدة التي مكثها المستعمر الفرنسي في الجزائر .

وعلى هذا؛ فإن فهرسة المخطوطات العربية في الجزائر ، لم تظهر بمعناها العلمي إلا بعد الاستقلال ، مع أن البلاد غنية بنفائس المخطوطات، إذ مراكزها العلمية؛ من مساجد، وزوايا وخزانات ، وكتاتيب، ملأى بكنوز المعرفة الإنسانية ، التي لا تقل عما هو موجود منها في المراكز العلمية المنتشرة في أقطار الدنيا ؛ شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا .

وفيما يلي دراسة إحصائية توصيفية لأهم الفهارس والأبحاث التي أنجزت حول الموضوع :

دراسة إحصائية توصيفية لأهم الفهارس والقوائم والأبحاث التي أنجزت حول مخطوطات المكتبات الجزائرية :

سأتناول هذه الدراسة الإحصائية التوصيفية في شكل مجموعات متجانسة ، اقتضتها طبيعة المادة العلمية المنجزة، مراعيًا فيها التسلسل الزمني قدر المستطاع [١٥] .

أولاً - فهارس المستشرقين :

الفهارس التي أنجزها المستشرقون حول مخطوطات الجزائر، وتحتفظ المكتبة الوطنية بنسخ منها قليلة . وقد سبق الحديث عن جهود المستشرقين، وسوف يتناول الوصف ثلاثة فهارس، وهي كل ما وقفنا عليه :

١ - **المخطوطات العربية في مكتبات زوايا: "عين ماضي، وتماسين، وعجاجة بورجلة"**:

رونيه باسيه (René Basset). وهو مستشرق فرنسي عمل مدرسًا في المدرسة العليا بالجزائر، في تلك الفترة الزمنية .

وقد أنجز هذا الفهرس وطبع في الجزائر، سنة ١٨٨٥م، باللغة الفرنسية، وهو يقع في (٨٧) صفحة، من الحجم المتوسط، ويشتمل على (١٧٢) مخطوطة؛ منهجه يجمع بين التوصيف العادي والقوائم الاسمية، إذ لم يلتزم طريقة توصيفية موحدة، فهو أحيانًا يذكر العنوان ، والمؤلف، والناسخ، وتاريخ النسخ ، و أول المخطوط ، وأحيانًا أخرى يهمل هذه البيانات ويكتفي بذكر اسم المخطوط واسم المؤلف لاغير، وهو غير متداول في المكتبات لأنه من الكتب النادرة،

ومنه نسخة في المكتبة الوطنية الجزائرية ، برقم : (٥٥٢٥٥٠) .

أما المجالات المعرفية التي تشملها مخطوطات الفهرس فهي : الفقه، والأصول، والتوحيد، والسير، والحديث، والنحو، والصرف، والبلاغة، والتفسير، والقراءات .

ومن مزية الفهرس أنه صدر بمقدمة ، وذكرت عناوين المخطوطات بالعربية، كما قدم المؤلف ترجمة وافية لبعض العلماء بالعربية. وهو خال من الفهارس والكشافات، ونظرًا لقدم الفهرس فإن المخطوطات التي تم وصفها لانعلم عنها شيئًا اليوم، وفي حالة الوقوف عليها فإن إعادة النظر في الفهرس، من حيث التوصيف المعمول به اليوم أمر أكيد.

٢ – الفهرس العام لمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية : إدمون فانيان (E. Fagnan)، مستشرق فرنسي ولد في بلجيكا من أبوين فرنسيين سنة ١٨٤٦م، وتوفي في الجزائر سنة ١٩٣١م، كلف بالدراسات الشرقية في كلية الآداب بجامعة الجزائر، ثم عين أستاذًا للغة العربية والفرنسية فيها [١٦] .

يعد هذا الفهرس أجود الفهارس العلمية التي أنجزها المستشرقون في الجزائر، ولا يزال حتى اليوم من أهم الفهارس التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية الجزائرية، لأنه رغم مرور مايزيد على قرن على صدوره فهو المفتاح الذي يستعمله الباحثون في الحصول على مخطوطات المكتبة التي وصفها فانيان .

أنجز الفهرس باللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨٩٣م . ويعد هذا الفهرس في نظر الفرنسيين (الجزء الثامن عشر) من فهارس مخطوطات المكتبات العمومية الفرنسية، لأنهم كانوا يعدون الجزائر مقاطعة فرنسية في ذلك الوقت .

يقع في (٦٨٠) صفحة، من الحجم الصغير، ويشتمل على (١٩٨٧) مخطوطة، كثير منها مجاميع، منهجه توصيفي معتدل، يقوم على ذكر الرقم التسلسلي، ثم يليه الرقم القديم في المكتبة بين قوسين، والأول هو رقم الطلب، ثم ذكر عنوان المخطوط بالعربية، وشرح موجز لموضوع المخطوط، واسم المؤلف، وتاريخ وفاته بالهجري، وأماكن وجود المخطوطات، أي المصادر التي يستقى منها المعلومات ، والعبارة الأولى التي يبتدئ بها المخطوط، ونوع الخط، وتاريخ

النسخ، وحالة المخطوط، واسم الناسخ، وعدد الأوراق، والسطور، والقياس، والتمليكات، والوقف، والتجليد ونوعه، وأحيانًا يذكر أن النسخة خزائنية مكتوبة لأمير أو شخص ما.

أما الموضوعات العلمية التي اشتمل عليها الفهرس فقد بلغت أربعة وعشرين موضوعًا رئيسًا وسبعة وعشرين موضوعًا فرعيّاً، فهي في علوم اللغة، كالنحو، والصرف، والبلاغة، وفي علوم القرآن، كالمصاحف، والتفسير والقراءات، وعلم الحديث ومصطلحه، والتوحيد، والمواعظ والأذكار، والوصايا والتصوف، والفقه، والفتاوى والنوازل، والرياضيات، والفلك، والتنجيم، والرحلات، والجغرافية، والتاريخ. وقد قسمه إلى : تاريخ المغرب، وتاريخ إسبانيا، وتاريخ العثمانيين، والتراجم، والسير، والطب، والصيدلة، وعلم الأدب كالدواوين الشعرية والنوادر، والرسائل، والقصص والحكايات، ومواضيع أخرى متفرقة، وهي عبارة عن ملحق، يبدأ من الرقم (١٩٤٥ - ١٩٨٧) .

وزيادة في التوضيح أشير إلى أن فانيان قدم لفهرسه بمقدمة وقعت في عشر صفحات، أبان فيها عن المنهج الذي اختاره لترتيب مخطوطاته ووصفها، كما تحدث فيها عن الأعمال العلمية السابقة، لكل من بير بروجي، والبارون دوسلان، والآنسة دوفوكوني، مشيراً إلى دورهم في جمع مخطوطات الجزائر، وأهمية الفهارس التي أنجزوها، وكذلك إلى ما ضاع من المخطوطات، من المكتبة الوطنية، كما لاحظ أن نقل مخطوطات مكتبة الشيخ الحداد، بعد ثورة ١٨٧١م، كان عاملاً مهمّاً في إثراء المكتبة الوطنية . ثم ذكر قائمة تشمل مقابلة أرقام المخطوطات في المكتبة، كما ذكر بعض الأخطاء المصوبة، وتلا هذه المقدمة توصيف للمخطوطات التي وقف عليها، وهي تبدأ من الرقم (١ - ١٩٨٧) وهو مجموع مخطوطات الفهرس، وصنع في الأخير كشافين هجائيين، أولهما: بالفرنسية للمؤلفين وأسماء الأماكن والموضوعات، رتبه من (A - Z)، وثانيهما : بالعربية بعناوين المخطوطات، وهذه مزية الفهرس، وهي محمدة طيبة تذكر لفانيان، مع أن الفهرس عامة له قيمة علمية رفيعة . وهذا الكشاف نشره الأستاذ هلال ناجي في مجلة المورد

العراقية، المجلد الخامس، العدد الثالث، سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ضمن مقال له بعنوان (مخطوطات الجزائر)، ص (٢٠٧ - ٢٣٠).

ولكن رغم حرص فانيان على اتباع منهج موحد إلا أنه كان يغفل بعض العناصر التوصيفية التي أخذ بها، فقد صرف النظر عن كتابة العنوان بالعربية في كثير من المخطوطات، وأهمل ذكر نهاية المخطوط، ولون المداد، ومكان النسخ، وقد يترك عناصر أخرى ، فتكون البيانات المقدمة غير وافية للغرض العلمي المطلوب من التوصيف . وفي المجاميع نجده يرتب المجموع حسب العنوان الأول في المجموع، فإن كان في التاريخ جاء المجموع كله في التاريخ مع بقية العناوين الأخرى التي تمثل مجالات علمية أخرى [١٧].

ومع هذا ؛ فإن فهرس فانيان يبقى متصدراً طليعة الفهارس المنجزة للمخطوطات في الجزائر، خلال قرن ونصف من الزمن، وقد حفظ مفاتيح الذاكرة التراثية والثقافة الوطنية، التي تشكلت عبر حقب زمنية متعاقبة.

ونظراً لأهمية هذا الفهرس، ولحاجة المكتبة الوطنية خاصة، والعربية عامة، ولندرته ، فإن المكتبة الوطنية - وهي مشكورة - أقدمت على إعادة طبعه، سنة ١٩٩٥م، مع مقدمة كتبها المدير العام المساعد محمد عيسى وموسى ، وقعت في صفحتين بالعربية، بين فيها حاجة الباحثين إلى هذا الفهرس في خدمة البحث العلمي ، وإثراء الثقافة الوطنية وقد عملت على توزيعه، عن طريق التبادل العلمي بين مراكز العلم في أنحاء من العالم، ليستفيد منه الباحثون العاملون في حقل التراث عامة .

ولم تكتف المكتبة بإعادة طبع الفهرس ، بل شرعت في مشروع ترجمته إلى العربية، وتقديمه لقراء التراث وخدمته باللسان العربي، فقد أخبرني المدير أثناء زيارتي للمكتبة أخيراً [١٨]، أن المكتبة تعمل مع بعض طلبة معهد علم المكتبات في جامعة الجزائر على ترجمة ثلاثة أقسام من الفهرس، وهي على النحو التالي [١٩] :

القسم الأول : (١ - ٧٠) بمجموع (٧٠) مجلداً، و به (٢٧) مجموعاً .

القسم الثاني : (٧١ - ١٥٠) بمجموع (٨٠) مجلداً ، وبه (١٥) مجموعاً .

القسم الثالث : (١٥١ - ٣٥٤) بمجموع (٢٠٤) مجلدات، وبه (٣٣) مجموعاً .

وبهذه المناسبة نأمل أن يعود المترجمون إلى المخطوطات ويعيدوا النظر في بطاقاتها التوصيفية، لاستدراك جوانب النقص التي اعتورت الفهرس الأصلي، حتى يستجيب الفهرس المعرب لمتطلبات الباحثين (٢٠) .

٣ – فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مدرسة تلمسان :

أوجست كور (Auguste Cour) .

أُنجز هذا الفهرس وطبع في الجزائر باللغة الفرنسية، سنة ١٩٠٧م، وهو يقع في (٧٠) صفحة، من الحجم الكبير، وعدد مخطوطاته (١١٠) مخطوطات، منهجه يجمع بين التوصيف العادي والقوائم الاسمية ، فهو أحيانًا يذكر عنوان المخطوط، والمؤلف ، وأحيانًا أخرى يذكر عدد صفحات المخطوط، واسم الناسخ، ولكن بياناته مختصرة لاتفي بالغرض المطلوب من الفهرس التوصيفي المعتدل، وهو غير متداول أيضًا في المكتبات، لأنه من الكتب النادرة، ومنه نسخة في المكتبة الوطنية الجزائرية، برقم (٥٢٥٢٧٧).

أما المجالات المعرفية التي تشملها مخطوطاته الموصوفة فهي : الفقه، والسيرة، والتفسير، والتوحيد، والمنطق، والتاريخ، والنحو، والبلاغة، والفلك، والحديث، والأدب.

وقد ألحق به كشافان ، أولهما للمؤلفين بالفرنسية، وثانيهما للعناوين بالعربية، وكلاهما مرتب ترتيبًا أبجديًا، وصُدر الفهرس بمقدمة، وهو كسابقيه يحتاج إلى إعادة توصيف .

أما المخطوطات الموصوفة فكثير من الدراسات تشير إلى أنها مازالت في مدينة تلمسان، تحتفظ بها ثانوية الدكتور ابن زرجب . وقد كاتبت مدير الثانوية مستفسرًا عنها وعن فهرسها، ولكني لم أتلق الرد منه . وقد أخبرني الزميل مختار بو عناني أن الثانوية أصابها انزلاق أرضي أخيرًا ، فنقلت إلى ثانوية أخرى، ولما تدارست معه أمر هذه المخطوطات واعد بإعداد فهرست جديد لها، إذا وجد تشجيعًا من القائمين عليها (٢١) .

هذه هي فهارس المستشرقين التي وقعت بين أيدينا، وهي من نوادر الكتب التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية الجزائرية .

ثانيًا – فهارس وقوائم مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية :

المكتبة الوطنية الجزائرية هي المؤسسة الأولى في البلاد التي تعنى بقضايا الكتاب المخطوط والمطبوع، أنشئت بمرسوم صدر

في ٥ نوفمبر سنة ١٨٣٥م الموافق للعام الهجري ١٢٥١هـ . وهي تضم حوالي أربعة آلاف مخطوطة [٢٢]، في شتى فنون المعرفة الإنسانية ، وليس صحيحًا ما ذكره المرحوم عبدالكريم الدجيلي قبل عشرين سنة من أن: "في المكتبة الوطنية الآن في الجزائر بعض المخطوطات الثانوية"[٢٣] . ومخطوطاتها جمعت من المساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية، منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي، إذ رأينا أن المستشرقين وبعض الضباط والمدرسين وهواة جمع المخطوطات انتشروا في أنحاء متفرقة من البلاد في أثناء الحملات الاستعمارية، وحاولوا جمع ما وقع بين أيديهم من مخطوطات ووثائق، وبذلك كونوا النواة الأولى للمكتبة الوطنية، وقد ازدادت مقتنيات المكتبة الوطنية بعد الاستقلال، عن طريق الشراء والإهداء . وهذه المخطوطات بالعربية، واللاتينية، والفارسية، والتركية ، والفرنسية .

وقد عمل المستشرقون والجزائريون عبر قرن ونصف من الزمن على إنجاز عدد من القوائم والفهارس للمخطوطات التي دخلت المكتبة ، لتسهيل مهمة الباحثين، وكانت حصيلة تلك الجهود مجموعة من الأعمال العلمية، سبق ذكر محاولات المستشرقين، ونحاول في الفقرات التالية إبراز جهود الجزائريين في فهرسة مخطوطات المكتبة، مراعين تسلسلها الزمني قدر الإمكان .

وكما ذكرت؛ فإن أجود فهرس أنجز للمكتبة الوطنية الجزائرية هو فهرس (فانيان) الذي تقدم وصفه، وكان الأولى أن يأخذ ترتيبه هاهنا، لكن طبيعة تقسيم الفهارس إلى مجموعات متجانسة تطلبت أن يكون ضمن المجموعة الأولى التي تناولت فهارس المستشرقين .

وفيما يلي قائمة الفهارس التي أنجزها الجزائريون لمخطوطات المكتبة الوطنية مع شيء من التوصيف :

١ - فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية (تكملة لفهرس فانيان) : عبدالغني أحمد بيوض، وهو محافظ المكتبة الوطنية، في عهد الاحتلال، وبعد الاستقلال انتقل إلى المكتبة الوطنية بباريس [٢٤] .

والفهرس كتاب بخط يد المؤلف تحتفظ به المكتبة الوطنية، أنجزه سنة ١٩٥٣م، وقيل: في ١٩٥٦م، باللغة العربية وهو من

الحجم الكبير، وصفحاته غير مرقمة ، يشتمل على (٣٤٣) مخطوطة، ضمنها (٦٥) مجموعًا، وهي تبتدئ من الرقم : (١٩٨٨ – ٢٣٣٢)، منهجه توصيفي عادي، ذكر فيه : المؤلف، والعنوان، والبداية ، والموضوع، والتاريخ، والناسخ ، والمالك، ونوع الورق، وعدد الأوراق، والسطور، والحجم، والخط، ونوع المداد، والتجليد، والمصادر المعتمدة .

أما المجالات المعرفية التي تضمنها فهي: الفقه، والتوحيد، والأصول، والعقيدة، والمنطق، واللغة، والبلاغة، والأدب، والفلك، والتفسير، والقراءات .

وقد اعتمد بيوض في فهرسه منهج فانيان، وزاد عليه ذكر مالك المخطوط، وبدايته، ولكنه أهمل ذكر نهايته . ويظهر أن للفهرس نسخة أخرى أصلية كانت في مديرية المكتبة الوطنية بباريس، لكنها فقدت[٢٥] . والمخطوطات الموصوفة بعضها اشتريت عن طريق المزاد العلني عام ١٨٩٦م، أمام قاضي مدينة الجزائر ، وبعضها دخل المكتبة الوطنية تبرعًا من مكتبات : حسن بولحبال، وعلي بن الحاج موسى ، وإدمون فانيان، وبياربيلارد [٢٦].

ويشتمل الفهرس على كشافات للموضوعات، والمؤلفين، والعناوين، والمالكين، والنساخ . وللفهرس ملحق آخر وقع في (٥٩) صفحة من الحجم المتوسط قسمه المؤلف إلى قسمين : قسم لأسماء المؤلفين وقسم لأسماء المخطوطات .

وأفادتني موظفة في مصلحة المخطوطات أن الفهرس سيُعاد توصيفه من جديد، من قبل موظفي المكتبة، وذلك بالعودة إلى قراءة المخطوطات ، واستعمال البطاقة النموذجية الجديدة . وقد أنجزت البطاقات الفنية، وينتظر طباعته على الحاسوب . وهذا الفهرس أيضًا متداول في المكتبة الوطنية لاغير .

٢ – السجل العام لمخطوطات المكتبة الوطنية (تكملة لفهرس بيوض) : لعل واضعه محمود بو عياد مدير المكتبة الوطنية سابقًا .

يبدو من بعض الوثائق والسجلات ، أن الفهرس شرع في إنجازه سنة ١٩٥٤م [٢٧]، وقيل : سنة ١٩٦٢م، وهو عبارة عن قائمة عادية مكتوبة على الحاسوب، وقعت في (٣١) صفحة، من الحجم الكبير، وتشمل (٣١٨) مخطوطة، تبدأ من الرقم : (٢٣٣٣

إلى ٢٦٥١)، ولكن هذا الرقم غير حقيقي، لأنني عندما قرأت القوائم وجدت المجاميع بعضها يحتوي على أزيد من (٢٠) مخطوطة، وبالتالي فعدد المخطوطات المسجلة في السجل يقارب (٤٠٠) مخطوطة.

أما المنهج المعتمد في إعدادها، فيقوم على ذكر العنوان، واسم المؤلف، وأسماء المخطوطات الواردة في المجموع لاغير .

والمجالات المعرفية التي يشتمل عليها هذا السجل هي : الفقه، والتوحيد، والعقائد، والسير، والتاريخ، والنحو، والصرف، والبلاغة، والقراءات، والتفسير، والحديث، والتصوف .

والسجل أيضًا غير متداول في المكتبات، ماعدا المكتبة الوطنية .

٣ - سجل مكمل لمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية : لعله لموظفي المكتبة الوطنية، وقيل : إن واضعيه هما : رابح بونار وجلول بدوي [٢٨]، وهو قائمة عادية مرقونة، باللغة العربية، ويقع في (٩٦) صفحة، من الحجم الكبير، ويشتمل على (٧٢٠) مخطوطة ، تبدأ من الرقم (٢٦١٠ إلى ٣٣٢٩) ، منهجه قائمة عادية ، ذكر فيها رقم المخطوط في المكتبة ، واسم العنوان، والمؤلف ، وأسماء عناوين المخطوطات الواردة ضمن المجموع ، وكلها تحمل رقمًا واحداً ، مما يفيد أن الرقم الإجمالي لمخطوطات السجل غير حقيقي.

أما المجالات المعرفية التي تشملها المخطوطات المسجلة فهي كثيرة، وتخص العلوم الشرعية عامة، وعلوم العربية على اختلاف فروعها، والعلوم الطبيعية والرياضية.

وكما ذكرت يحتمل أن يكون هذا السجل من وضع رابح بونار وجلول بدوي، بتكليف من وزارة التربية الوطنية ، وهو المجلد الأول ، وقد اعتمد فيه على فهارس كل من فانيان ، وبيوض، وابن حمودة، ولكن المحاولة لم تكتمل من حيث الطبع، إذ قدم للمؤسسة الوطنية للكتاب ، لكن العمل لم ير النور، وربما ضاع، كما تشير بعض المصادر [٢٩] .

وتشتمل القائمة أيضًا على مخطوطات المستشرق الفرنسي جورج دلفين (G. Delphin) التي أهدتها حفيدته إلى سفارة الجزائر بباريس ، ثم حولت فيما بعد إلى المكتبة الوطنية الجزائرية .

والسجل خال من الفهارس والكشافات، وهو يحتاج إلى إعادة توصيف، مع إعطاء

الرقم لكل مخطوط في المجموع، حتى يكون الإحصاء دقيقًا . وهو غير متداول خارج المكتبة الوطنية .

٤ - سجل مخطوطات الأمير عبدالقادر وحسن بن رحال الموجودة بالمكتبة الوطنية : لعله لحمود بو عياد مدير المكتبة الوطنية سابقًا . والسجل عبارة عن فهرس يجمع بين التوصيف والقوائم العادية، وهو إلى القوائم العادية أميل ، كتب بالعربية، وهو غير مؤرخ، يقع في (١٠) صفحات، من القطع الكبير، ويضم (٥٩) مخطوطة، منه (٢١) في خزانة الأمير عبدالقادر، و (٣٨) في خزانة ابن رحال[٣٠]، وكلا الخزانتين في المكتبة الوطنية، ومنهجه يجمع بين التوصيف العادي والقوائم الاسمية، إذ يذكر فيه العنوان، والمؤلف والقياس، وعدد الأوراق، والخط، والتجليد، والزخرفة . وبالنسبة لمخطوطات الأمير ذكر فيها اسم العنوان واسم المؤلف لاغير .

أما مجالاته المعرفية والفنية فهي : التاريخ، والأدب، وعلوم اللغة، وعلوم الشرع؛ من فقه ، وأصول، وتفسير، وحديث ، وعقيدة. وهذا الفهرس غير متداول أيضًا خارج المكتبة الوطنية .

٥ - فهرس مخطوطات مكتبة ابن حمودة (ملحق بالمكتبة الوطنية) : حسن غوارزو. وهو باحث من نيجيريا، زار المكتبة الوطنية الجزائرية لإنجاز بعض المتطلبات العلمية، فانتهز الفرصة وأعد الفهرس المذكور، في يوليو سنة ١٩٩٣م [٣١] .

والفهرس كتاب مرقون على شكل قوائم عادية، بالعربية، يقع في (٢١٩) صفحة، من الحجم المتوسط، ويشمل (٢٢٠) مخطوطة، منهجه يقوم على ذكر العنوان، والمؤلف، والموضوع، وحالة المخطوط، وقد يذكر في بعض المخطوطات اسم الناسخ وتاريخ النسخ، وأحيانًا لايذكر هذه البيانات جميعها. واستعمل المفهرس الرقم للمجلد، والحرف إشارة لعنوان المخطوط داخل المجموع، ووضع حرف (ح) قبل الرقم إشارة إلى ابن حمودة.

أما مجالاته المعرفية فهي : الفقه، واللغة، والحديث، والشعر، والبلاغة، والسيرة، والتوحيد، والتاريخ . والفهرس خال من المقدمة التي تشرح منهجه في الوصف، كما أنه خال من الكشافات والفهارس، وهو غير متداول خارج المكتبة الوطنية . ويحتاج إلى إعادة توصيف وترتيب .

وصاحب المخطوطات المفهرسة هو ابن حمودة عالم جزائري ، كان يُدَرِّس في مدينة تنبوكتو اللغة العربية، وخلال تلك الفترة جمع مجموعة من المخطوطات التي تشكل رصيد مكتبته، وقد أوصى بأن تهدى إلى المكتبة الوطنية بعد وفاته . وتم تنفيذ وصيته سنة ١٩٦٦م [٣٢] .

٦ - الفهرس التحليلي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيليوغرافي في المكتبة الوطنية الجزائرية (القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والسيرة النبوية ، والفقه) : نعيمة بن عاشور، وفتحية بونفيخة، وخطيبة لمياء دواقي، وليندا شقرة . وهن طالبات في السنة الرابعة بمعهد علم المكتبات والتوثيق بجامعة الجزائر . والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات، أشرف عليه مدير المكتبة الوطنية محمد عيسى وموسى، سنة ١٩٩٣م . وهو باللغة العربية ، وكتب بخط اليد، ويقع في ثلاثة أجزاء، بمجموع (٤٧١) صفحة، الأول (١ - ٩٢)، والثاني (٩٣ - ٣٨٨)، والثالث (٣٨٩ - ٤٧١)، من الحجم الكبير، عدد المخطوطات الموصوفة (٢٠٢) مخطوطة، منهجه توصيفي معتدل ، اعتمدت فيه عناصر البطاقة النموذجية التي أقرتها اللجنة العلمية المجتمعة في ٥ - ٧ يونيو ١٩٨٩م في مقر مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء، مع تعديل طفيف، وهي على النحو التالي : الرقم في المكتبة (الخزانة)، الرقم في المجموع، وعدد الأوراق، والعنوان، والمؤلف، وأول المخطوط، وآخره، والناسخ، والتاريخ، والمكان، والمجلد، والجزء، والورق، والأسطر، والمقياس، والخط، والزخرفة، والمداد، والتجليد، والتعقيبة، والحواشي، والإضافات، والتمليكات، والنسخ الأخرى وأماكنها، والمصادر، والنشر والطباعة .

أما المجالات العلمية فهي تشمل الأصول المذكورة في العنوان وما تفرع عنها من فروع [٣٣] . وقد صنعت للفهرس مجموعة من الكشافات : للعناوين ، والمؤلفين، والنساخ، والأعلام، وتواريخ النسخ، وقوائم أخرى للخزانات، والمكتبات ، والمصادر والمراجع .

وصُدِّر الفهرس بمقدمة تضمنت التعريف بالفهرس، والمخطوط وأهمية

الموضـــوع، والمنهج المتـــبع، والصـــعـــوبات، والمخطوطات في المكتبة الوطنية في الماضي والحاضر، ونظرة على فهارسها، ودراسة تحليلية للمخطوطات المفهرسة، حسب حقول البطاقة المعتمدة، كما قدم فيها تحليل لبيانات الوصف الببليوجرافي .

ويعد هذا الفهرس – مع ثلاثة فهارس لاحقة – من أجود الفهارس العلمية المنجزة وفق الطريقة التوصيفية المعتدلة، في المكتبة الوطنية الجزائرية، بعد فهرس فانيان، الذي سبق ذكره، ولكنها غير متداولة أيضًا خارج المكتبة الوطنية، باستثناء معهد علم المكتبات في جامعة الجزائر .

٧ – فـــهـــرس مـــخـطوطات العلوم الإسلامية في المكتبة الوطنية الجزائرية :
أنجزه موظفو المكتبة الوطنية، مع طلبة معهد علم المكتبات ، وهو مستخرج من الفهرس السابق، كتب على الحاسوب بالعربية، وهو غير مؤرخ، يقع في (٦٦) صفحة، من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (٢٠٢) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي، ذكر فيه العنوان والمؤلف، وأوله، وآخـــره، والناسخ، ومكان النسخ، وتاريخ النسخ، وحـــالة المخطوط، والخط ، والمداد، والأسطر، والقياس، والنشر والطباعة، وملاحظات أخرى .

ومجالاته العلمية هي : علوم القرآن، ومنها : المصاحف، وأسباب النزول، والتجويد، والتفسير، والرسم القرآني، والقراءات ومتشابه القرآن، والحديث وعلومه، ومنه : الجرح والتعديل، والحديث، ومصطلح الحديث والسيرة النبوية، والفقه، وأصول الفقه، والفقه الحنفي، والفقه الشافعي، والفقه المالكي .

والفهرس قدم له بمقدمة في صفحة واحدة تناولت أهمية الفهرسة ، والتعاون مع طلبة معهد علم المكتبات في جامعة الجزائر.

٨ – الفـــهـــرس الوصـــفي المفـــصل للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي في المكتبة الوطنية الجزائرية "دراسة تحليلية ٢– علم النحو" :
ابن الناصر بكير وحركات العلمي . وهما طالبان في السنة الرابعة بمعهد علم المكتبات والتوثيق في جامعة الجزائر . والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات، أشرف عليه مدير المكتبة الوطنية، الأستاذ محمد عيسى وموسى ، سنة ١٩٩٤م، وهو مـــرقـــون

بالعربية، يقع في جزأين، بمجموع (٣٩٧) صفحة، من الحجم الكبير، الأول من (١ - ١٠٨)، والثاني من (١٠٩- ٣٩٧)، عدد مخطوطاته (١٢٤) مخطوطة، منهجه توصيفي معتدل، أي اتبعت فيه الطريقة المتبعة في فهرس ابن عاشور والأخريات المتقدم برقم (٦)، وموضوعاته تتعلق بعلم النحو خاصة، إذ يشتمل على (٦٢) مخطوطة في الآجرومية، و (٣٢) في ألفية ابن مالك، و(٧) في لامية الإعراب، وأخريات في العوامل المئة، وفي مواضيع متفرقة . وقد أتبع بجملة من الفهارس والكشافات ، للأسماء الواردة في الفهرس ، والمؤلفين، والناسخين، والملاّك، والمحققين والمترجمين، والعناوين، وكشاف زمني لتاريخ النسخ، وقوائم المراجع .

وقد صدر بمقدمة وثلاثة فصول ، تناولت الفصول على التوالي : علم النحو، ومنهج العمل، والدراسة الإحصائية التحليلية والصعوبات . وهذا هو الفهرس الثاني المنجز بالطريقة التوصيفية الحديثة، التي اقترحتها مؤسسة آل سعود المشار إليها في الفهرس السادس من فهارس المكتبة الوطنية، و هو أيضًا غير متداول باستثناء المكتبة الوطنية ومعهد علم المكتبات [٣٤] .

٩ - فهرس مخطوطات علم النحو في المكتبة الوطنية الجزائرية : أنجزه موظفو المكتبة مع طلبة علم المكتبات ، وهو مستخرج من الفهرس السابق، كتب على الحاسوب باللغة العربية، وغير مؤرخ، يقع في (٤٠) صفحة ، يبدأ من الصفحة (٦٧ - ١٠٦) أي إنه تابع في الترقيم للمستخرج السابق من فهرس ابن عاشور وزميلاتها .

أما ترقيم المخطوطات فيبدأ من (٢٠٣ - ٣٢٥)، ومنهجه توصيفي نسبيّاً، ذكر فيه الرقم والعنوان، وأوله، وآخره، وناسخه، وتاريخ نسخه، ومكان نسخه، والخط، والمداد، والأسطر، والقياس، وحالته، والطباعة، وملاحظات عامة، وهو خال من الكشافات الفنية، وغير متداول في المكتبات ماعدا المكتبة الوطنية . وقد صُدر بمقدمة في صفحة واحدة أبين فيها عن الغرض منه .

١٠- الفهرس الوصفي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي في المكتبة الوطنية الجزائرية (التاريخ ، والرحلات، والرياضيات، وعلم الفلك) القسم الرابع : طاهر بن سالم ،

وفتحي غرارمي، ومفتي يزيد لخلف . وهم طلبة في السنة الرابعة بمعهد علم المكتبات والتوثيق في جامعة الجزائر .

والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات، بإشراف محمد عيسى وموسى مدير المكتبة الوطنية سنة ١٩٩٦م، وهو مكتوب على الحاسوب باللغة العربية، يقع في جزأين بمجموع (٤١٦) صفحة، من الحجم الكبير، الجزء الأول خاص بالدراسة النظرية، وبه (٧٦) صفحة، والثاني خاص بتوصيف المخطوطات والكشافات، وبه (٣٤٠) صفحة، عدد مخطوطاته (١٦١) مخطوطة، منهجه توصيفي تحليلي موسع، اعتمدت فيه عناصر البطاقة الفنية التي أقرتها مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود، السابق ذكرها، مع تعديل طفيف أيضاً [٣٥] .

أما العلوم التي اشتمل عليها الفهرس فهي : التاريخ، والسيرة النبوية، والتاريخ العام، والتاريخ الخاص، وتاريخ المدن والبلدان، والأنساب، والتراجم، والرحلات، والرياضيات، والحساب، والهندسة، والجبر والمقابلة، وعلم الميقات، وفي الإحصاء نجد عدد مخطوطات التاريخ (١٠٣) مخطوطات، والرياضيات (٣٩) مخطوطة، والفلك (١٠) مخطوطات، والرحلات (٩) مخطوطات .

والفهرس ملحق بعدد من الكشافات، للعناوين ، والأعلام، والناسخين، وأعلام التوثيق، والمصححين، والناشرين، والمحققين، والمترجمين، وتواريخ النسخ، والمكتبات والمراكز العلمية، وقوائم المصادر والمراجع .

وقد صُدِّر بمقدمة تناولت الموضوع وأهميته ، وتحديد المصطلحات، والأعمال السابقة، والصعوبات والمنهجية المتبعة في إعداد الفهرس، ثم تلتها دراسة تحليلية، وقعت في فصلين، الأول : نظرة عامة على الفهرس من خلال موضوعاته ومخطوطاته، وقد تم التعريف فيه بالمجالات المعرفية التي تمثلها المخطوطات الموصوفة . أما الثاني فهو يشتمل على دراسة إحصائية وتحليلية للبيانات الوصفية والبيليوجرافية .

وهذا الفهرس هو ثالث فهرس ينجز لمخطوطات المكتبة الوطنية بالطريقة التوصيفية المعتدلة المركزة، ولكنه غير متداول خارج المكتبة الوطنية ماعدا معهد علم المكتبات والتوثيق ، في جامعة الجزائر .

١١- الفهرس الوصفي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط الببليوغرافي في المكتبة الوطنية (الأدب) ، القسم الثالث : بلقاسم سليمة، وحائد شفيقة، طالبتان في السنة الرابعة بمعهد علم المكتبات والتوثيق في جامعة الجزائر، والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات، بإشراف محمد عيسى ومُوسى، مدير المكتبة الوطنية، سنة ١٩٩٥م، وهو مكتوب على الحاسوب، باللغة العربية، ويقع في (٢٣٥) صفحة، من الحجم الكبير، وعدد مخطوطاته (١٢٦) مخطوطة. منهجه توصيفي معتدل، اعتمدت فيه البطاقة النموذجية المتبعة في فهرس ابن عاشور، رقم (٦) السابق .

أما موضوعه فيخص علم الأدب بفنونه المختلفة، وقد أتبع بجملة من الكشافات للعناوين ، والمؤلفين، وتواريخ النسخ، والنساخ، والملاك، و المحققين، والمترجمين، والناشرين، والببليوجرافيا، والملاحق .

وهذا الفهرس هو رابع الفهارس المنجزة بالطريقة التوصيفية المعتدلة، وهو كبقية فهارس الطلبة التي تقدم وصفها يشتمل على مقدمة ودراسة نظرية ، تناولت أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وتعاريف الفهرس، والمخطوط، والصعوبات، والمنهج المتبع، والدراسة الإحصائية والتحليلية . وهو غير متداول خارج معهد علم المكتبات، ولم أقف عليه في المكتبة الوطنية [٣٦] .

١٢- فهرس مخطوطات علم الأدب في المكتبة الوطنية : أنجزه موظفو المكتبة الوطنية، مع طلبة معهد علم المكتبات، وهو مستخرج من الفهرس السابق، كتب على الحاسوب باللغة العربية، وغير مؤرخ ، يقع في (١٢٤) صفحة من الحجم الكبير، ويبدأ ترقيمه من (٣٩٢ - ٥١٦)، أي إنه تكملة للفهارس المستخرجة من الفهارس التحليلية، وقد أعطيت لها أرقام متسلسلة .

منهجه توصيفي عادي ، ذكر فيه العنوان والمؤلف، وأول المخطوط وآخره، والناسخ، والمكان، والتاريخ، والخط، والمداد، والأسطر، والقياس، وحالة المخطوط، ثم ملاحظات أخرى . أما مجالاته العلمية فهي : الشعر والبلاغة . وهو خال من الكشافات الفنية، وغير متداول خارج المكتبة الوطنية .

هذه هي مجموعة الفهارس المنجزة

لمخطوطات المكتبة الوطنية، من قبل الباحثين الجزائريين، منذ نشأتها حتى اليوم .

ونعتقد أن بذل جهد آخر لجمعها في فهرس عام، ومتعدد الأجزاء ، ثم طبعه، وتوزيعه على المكتبات، أمر يزيد المكتبة غنى، ويقدم عونًا كبيرًا لعشاق التراث .

ثالثًا - فهارس وقوائم مخطوطات مكتبات وادي ميزاب (جمعية التراث بالقرارة):

قبل الحديث عن هذه المجموعة من الفهارس أحب أن أعرف القارئ العربي بموقع وادي ميزاب . تقع وادي ميزاب في الصحراء الجزائرية ، جنوب العاصمة على بعد ست مئة كلم، على الطريق الرابط بين العاصمة وتمنراست، وهي تتكون من سبع مدن مشهورة، هي : (بريان، وغرداية، ومليكة، وبني يزجن، وبنورة، والعطف، والقرارة) وعاصمة الميزابيين (الإباضيين) مدينة غرداية، وهي مقر الولاية .

وقد نشأت هذه المدن في بداية القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي، إثر سقوط الدولة الرستمية، واشتداد قوة العبيديين، المناهضين للإباضية[٣٧]. والمجتمع الإباضي في منطقة وادي ميزاب متميز، من حيث الحياة الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، إذ تحكمه قيم وعادات وتقاليد مستمدة من الشريعة الإسلامية، وهو مجتمع شديد التماسك قوي العقيدة، ومذهبهم الإباضي لايختلف عن المذاهب الإسلامية الأخرى، وهو يعتمد على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهو ثروة علمية تدل على سماحة الإسلام وسعة تعاليمه [٣٨] .

أما إنتاجهم الفكري عبر القرون فهو غزير، إذ إن المصادر القديمة والدراسات الحديثة تبين أن للميزابيين تراثًا غنيًّا ومكتبات وخزانات تنتشر في كل المدن، وقد بلغ عدد المكتبات في المنطقة أزيد من مئة وعشرين مكتبة : خاصة وعامة [٣٩] .

أما العناية بمخطوطات المنطقة، فقد بدأت في الثمانينات، بمحاولة من بعض الأساتذة الجامعيين وجمع من الشباب، تمثلت في تأسيس جمعية علمية ثقافية (جمعية التراث بالقرارة) [٤٠] ، التي تعنى بجمع التراث المكتوب وترميمه، وصيانته، وتنظيمه، والعمل على تسجيله، وتصويره، بواسطة الوسائل العلمية الحديثة، كاستعمال

الحاسوب، والأقراص المليزرة، والسكانير، والميكروفلم، والميكروفش، ثم فهرسته، وتحقيقه، ونشره ، ليكون في متناول الباحثين والدارسين.

وقد بدأ العمل برسم خطة لتحقيق مشروع (دليل مخطوطات وادي ميزاب من الفكرة إلى الوجود)، الذي يهدف إلى إعداد فهارس علمية تغطي مكتبات المنطقة . وقد شرع في تنفيذه في منتصف ١٩٩٢م .

وبدأت الفكرة مع شيء من الحذر، لعدم إدراك الناس الذين يمتلكون المخطوطات الغاية التي يرمي إليها المشروع، لكن سرعان ما تبدد الشك، وأدرك الجميع قيمة وأهمية التراث في نقل العلم والحضارة، وخدمة الثقافة، وبذلك أصبح المشروع واقعًا ملموسًا.

وقد اتبعت الجمعية في تنفيذ المشروع منهجًا علميّاً مدروسًا، يقوم على المراحل التالية [٤١]:

١ - تنظيف المخطوط ونفض الغبار عنه.

٢ - ترتيب الأوراق المختلطة في المخطوط باتباع نظام التعقيبة ، إن وجد .

٣ - إعادة ترقيم المخطوط بقلم الرصاص .

٤ - قراءة المخطوط وإعداد بطاقة فنية له تشمل كل المواصفات المتعارف عليها .

٥ - تصنيفه وترقيمه في المكتبة .

٦ - تصوير المخطوطات النادرة على الميكروفلم، وكذلك التي يخشى تلفها .

٧ - ترتيب البطاقات بحسب الموضوعات .

٨ - تخزين المعلومات في جهاز الكمبيوتر[٤٢].

٩ - توثيق العناوين وأسماء المؤلفين، واستخراج المجاهيل منها، باستعمال المصادر المتخصصة، ككشف الظنون، ومعجم الأعلام الإباضية، وغيرها .

١٠- إنجاز الكشافات والمداخل المساعدة .

١١- طبع الفهرس .

وقد أنجزت فهارس المكتبات الآتية، وتم طبعها :

١ - مكتبة آل يدّر .

٢ - مكتبة الشيخ البكري بالعطف .

٣ - مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية .

٤ - مكتبة الحاج عيسى ببني يزجن .

٥ - مكتبة عشيرة آل فضل ببني يزجن.

٦ - مكتبة الحاج سعيد بغرداية .

كما أنجزت الخطوات الخمس الأولى لعدد من المكتبات، والعمل جار لاستكمال بقية المراحل الأخرى، ومن هذه المكتبات :

١ - مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزجن .

٢ - مكتبة الشيخ بابا موسى بغرداية .

٣ - مكتبة القطب إطفيش ببني يزجن .

٤ - مكتبة الشيخ إبراهيم متياز ببني يزجن.

٥ - مكتبة الحاج صالح بن إدريسو ببني يزجن.

٦ - مكتبة الحاج عمر بن إدريسو ببني يزجن.

٧ - مكتبة الإصلاح بغرداية .

٨ - مكتبة الشيخ باسه بوارجلان .

وقد ذكر معدو هذه الفهارس أن البطاقات المنجزة للمخطوطات في مشروع (دليل مخطوطات وادي ميزاب) بلغ (٤٥٠٠) بطاقة، وهو عدد يمثل عشر (١/١٠) ما تحتفظ به مكتبات وادي ميزاب [٤٣] .

وفيما يلي توصيف لأهم الفهارس والقوائم المنجزة لمخطوطات وادي ميزاب :

١ - فهرس موضوعي لمخطوطات مكتبة القطب ببني يزجن : لعاشور يحيى ، وهو طالب في السنة الرابعة، بمعهد علم المكتبات، في جامعة قسنطينة .

والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات ، أشرف عليه محمد علي سنة ١٩٨٧م . وهو باللغة العربية، يقع في (٤٥) صفحة من الحجم المتوسط، عدد مخطوطاته (١٥٩) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي يقوم على ذكر : الرقم، والعنوان، والمؤلف، وتاريخ وفاته، الاستهلال، ومكان النسخ، والناسخ، وتاريخ النسخ، وعدد الأوراق، والمسطرة ، والخط، والقياس، والخاتمة، وملاحظات أخرى، ورمز الحفظ .

أما المجالات العلمية التي يشملها، فهي: الأدب العربي، والتاريخ، والتراجم والأنساب، والحساب ، والديانة الإسلامية، والسيرة النبوية، والعقيدة، والفقه، والطب، وعلم الحيوان، والفلك، واللغة العربية، والمنطق. وأغلب مخطوطات الفهرس في العربية .

وهذا الفهرس لم يشمل العدد الإجمالي لمخطوطات المكتبة، التي تبلغ (٣٠٠) مخطوطة [٤٤]، إذ تناول المفهرس جزءًا فقط مما تحتفظ به المكتبة .

وقد ألحق الفهرس بكشاف لأسماء المؤلفين.

وأشير إلى أن المفهرس قدم لعمله بمقدمة وقعت في سبع صفحات، تناول فيها نشأة المكتبة ، والتعريف بالشيخ إطفيش (١٢٣٦ - ١٣٣٢هـ/ ١٨١٨- ١٩١٤م)، كما تحدث فيها عن الملامح المادية للمخطوطات، ومنهجه في الفهرس، والرموز المستعملة .

ويبدو من قراءة الفهرس أن قلة تجربة المفهرس في التعامل مع المخطوطات جعلته يقدم وصفًا غير دقيق للمخطوطات .

ورقم الفهرس في المكتبة (٥ - ١٢) ، وهو غير متداول خارج مكتبة معهد علم المكتبات بجامعة قسنطينة، ومكتبة جمعية التراث بالقرارة .

٢ - فهرس مخطوطات مكتبة آل يدّر (الفهرس الشامل لنحو ستمائة عنوان) : أنجزته جمعية التراث بالقرارة، طبع على الحاسوب باللغة العربية، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، يقع في (٢٥٩) صفحة، من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (٥٩٤) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي، يقوم على العناصر التالية : الرقم التسلسلي، والعنوان، والمؤلف، وأوله ، وآخره، والناسخ، والتاريخ، والمكان، والجزء، وعدد الأوراق، والأسطر، والقياس، وحالة المخطوط، ونوع الخط، ولون المداد، والزخرفة، وملاحظات أخرى، والترتيب في المجموع، ورقم الحفظ في المكتبة .

أما مجالاته المعرفية، فهي : التفسير (٢٠)، وعلوم القرآن (١٥)، وعلوم الحديث (٣٠)، وأصول الدين (٣٨)، وأصول الفقه (٤)، والفقه (٤)، والتاريخ والسير والتراجم (٢٤)، وعلوم اللغة (٥٥)، والحكم (٥٩)، وعلوم الطب، والكيمياء، والفلك والتنجيم (٦٢)، وموضوعات أخرى، كتفسير الأحلام، والرسائل، وأدب المناظرة (٢٠)، والمنظومات الشعرية، وهي تخص كل المجالات المعرفية السابقة (١٣٠) مخطوطة .

والفهرس مذيل بعدد من الكشافات للعناوين، ومقابلة الأرقام في المكتبة بالرقم في الفهرس، والمؤلفين، والنساخ، والملاك، والأماكن .

ويشتمل على مقدمة تتحدث عن المكتبات في وادي ميزاب، والمداخل المساعدة على التعرف على مخطوطات الميزابيين، وحديث عن دليل المخطوطات، والتعريف بصاحب المكتبة والبطاقة النموذجية المعتمدة في الوصف ، ورموز عناصرها .

وهذا المنهج المتبع في توصيف البطاقة الفنية، وذكر الكشافات المختلفة في هذا الفهرس، سارت عليه الجمعية في جميع الفهارس التي سيرد توصيفها لاحقًا . ولذلك لن أذكرها في توصيف فهارس الجمعية اللاحقة .

ولنا ملاحظة عامة على جملة الفهارس التي اطلعنا عليها مما أنجزته الجمعية، وهي أن بعضًا من المخطوطات التي وردت في الفهارس لم يذكر أسماء مؤلفيها، وإن ذكروا أصلاً في المخطوط، فإننا لانجد ذكرًا لتاريخ ولادتهم ووفاتهم، بل بعض التواريخ المذكورة غير دقيقة، كما أن البطاقة لم تستغل بالكيفية العلمية المطلوبة، ولذلك نقترح على الإخوة في الجمعية إعادة النظر في البطاقة الفنية التوصيفية فيما سينجز من فهارس، وكذلك في حالة إعادة طبع الفهارس المنجزة، وذلك لتحقيق الغاية العلمية المرجوة منها .

وبهذه المناسبة أنوه بالدور الرائد الذي قامت به جمعية التراث في القرارة، لأنها أقدمت على مشروع من أخطر المشاريع الثقافية في الوطن، التي كان ينبغي القيام بها بعد الاستقلال، فهي قامت بما لم تقم به الجهات الرسمية، التي لها من الإمكانات المادية ما يمكنها من إنجاز مؤسسة وطنية، خاصة بحماية تراث الأمة بكامله؛ تعريفًا، وصيانة، وحفظًا، وفهرسةً، وتحقيقًا، ونشرًا. لكنها لم تفعل .

ويبقى في الأخير أن أشير إلى أن هذا الفهرس وغيره من فهارس الجمعية متداول في أماكن معينة، كبعض المكتبات في المنطقة، وبعض المساجد الإباضية، أو عند بعض الأفراد، وهم قلة . وقد سألت عنها في المكتبة الوطنية فلم أجدها (٤٥) .

٣ - فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ البكري بالعطف : أنجزته جمعية التراث بالقرارة، وطبع على الحاسوب باللغة العربية، سنة ١٩٩٤م، يقع في (٦٠) صفحة، من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (١٣٥) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي، اتبعت فيه العناصر المذكورة في الفهرس السابق .

أما مجالاته العلمية فهي : التفسير، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وأصول الدين، وأصول الفقه، والفقه، والتاريخ، والسير والتراجم، وعلوم اللغة، والشعر والنظم (٤٦)، والفلسفة، والتصوف، والزهد، والحكم والوصايا والمواعظ، والترغيب والترهيب، وعلوم الطبيعة، والرياضيات، والطب، والكيمياء، والحساب، والفلك، والتنجيم، وموضوعات مختلفة في تفسير الأحلام، والآداب، والرسائل، والمناظرة . والفهرس غير متداول أيضًا، كسابقه إلا في نطاق محدود .

٤ - فهرس مخطوطات مكتبة عمي سعيد بغرداية : أنجزته جمعية التراث بالقرارة، وطبعته بالحاسوب، سنة ١٩٩٤م، عدد صفحاته (٤٥)، من الحجم الكبير، وعدد مخطوطاته (٩١) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي ، كسابقه ، يقوم على عناصر البطاقة الفنية المذكورة نفسها .

أما مجالاته المعرفية ، فهي : التفسير وعلوم القرآن : الرسم، والفضائل، والتهليلات، والتقسيمات، وعلوم الحديث: المصطلح، والصحاح، والمتون، والشروح، وأصول الدين : العقيدة وعلم الكلام، وأصول الفقه، والفقه : العبادات ، والمعاملات والفتاوى، والتاريخ : السيرة النبوية، وقصص الأنبياء، والسلف، والملوك، والتراجم، والسير، وعلوم اللغة : النحو والصرف، والبلاغة، والعروض، والشعر والنظم (الملاحظة السابقة)، وعلوم طبيعية، ورياضية، وطب، وكيمياء، وحساب، وفلك، وتنجيم .

ويشتمل الفهرس على كل المواصفات المتقدمة في الفهرس الثاني، وهو غير متداول إلا في نطاق محدود .

٥ - [فهرس] [٤٧] مخطوطات العلوم بمكتبات وادي ميزاب (محاولة بيبليوغرافية): لمحمد موسى بابا عمي، بحث مطبوع على الحاسوب بالعربية، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، يقع في (٤٣) صفحة، من الحجم الكبير، عدد المخطوطات الموصوفة فيه (١٠٠) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي ، يقوم على ما تقدم ذكره في الفهرس الثاني مع الملاحظة أنه روعي في الفهرس ذكر الرقم الذي حفظ به المخطوط في المكتبة التي يوجد بها ، في آخر التوصيف .

ومجالاته العلمية هي : الحساب، والرياضيات ، والمنطق ، والفلك ، والطب والتداوي بالأعشاب، والحكمة، وفن العمارة الإسلامية ، وعلم صناعة الكيمياء ، والزراعة، والجغرافيا.

يشتمل الفهرس على مقدمة ، ومدخل فيه تعريف بأهم مكتبات وادي ميزاب، ثم حديث عن مخطوطات العلوم .

وللتذكير؛ فإن أصل الفهرس بحث ألقي في الندوة العلمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، برأس الخيمة، تحت إشراف جامعة حلب، سنة ١٩٩٥م .

٦ - فهرس مخطوطات خزانة آل فضل بيني يزجن : أنجزته جمعية التراث بالقرارة، وطبع على الحاسوب باللغة العربية، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، يقع في (١٨٦) صفحة، من الحجم الكبير، وعدد مخطوطاته (٥٠٨) مخطوطات. منهجه توصيفي عادي (عناصر الفهرس الثاني) .

أما مجالاته المعرفية ، فهي : التفسير، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وأصول الدين، والفقه، والتاريخ، والسير والتراجم، وعلوم اللغة ؛ من نحو وصرف وبلاغة وعروض، والشعر والنظم (الملاحظة السابقة)، والحكم والوصايا، والمواعظ، والعلوم الطبيعية، كالرياضيات، والطب، والحساب، والكيمياء، والمنطق، ومواضيع أخرى متفرقة .

وتنطبق على هذا الفهرس المواصفات السابقة في الفهرس الثاني، من حيث المقدمة والتعريف، بصاحب المكتبة، والكشافات الفنية، وهو متداول في نطاق محدود أيضًا .

٧ - فهرس مخطوطات مكتبة إروان "دار التلاميذ" بالعطف : أنجزته جمعية التراث بالقرارة، وطبع على الحاسوب باللغة العربية سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ويقع في (٣٢٥) صفحة، من الحجم الكبير، وعدد مخطوطاته (٢٨٨) مخطوطة . منهجه توصيفي عادي، لكن مزيته أنه يعد أول فهرس ينجز في تاريخ التراث الجزائري عامة والإباضي خاصة، باستعمال برنامج الكمبيوتر، إذ استعملت فيه البرمجة الآلية ، حسب العناوين والموضوعات والمؤلفين .

ومجالاته المعرفية هي : التفسير، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقيدة والفقه، وعلم الكلام، وأصول الفقه، والفقه، والتاريخ، والسير، والتراجم، وعلوم اللغة، والحكم والتصوف، والعلوم الطبيعية، كالرياضيات والحساب والفلك، والطب ، والكيمياء، والتنجيم، والشعر والنظم (الملاحظة السابقة)، ومواضيع أخرى كالفتاوى ، والردود، والوثائق، والرسائل .

وصُدر بمقدمة تناولت دليل مخطوطات وادي ميزاب ، والتعريف ببرنامج الكمبيوتر المستعمل، وبالمكتبة . وقد لوحظ في الفهرس غلبة المخطوطات التي تخص الفكر الإباضي، وهو متداول في نطاق محدود، كسابقيه .

٨ - فهارس على شكل قوائم لمخطوطات المنطقة : تتمة لفهارس وادي

ميزاب أدرجت هاهنا عدداً من القوائم التي تناولت المخطوطات في المنطقة، لأن هذه القوائم تنتمي إلى هذه المجموعة المتميزة، وهي على النحو التالي :

١ - قائمة المخطوطات ومؤلفيها (ملحق بكتاب الجواهر المنتقاة لما أخل به كتاب الطبقات) [٤٨] : لأبي الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (ق ٩هـ) .

٢ - رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا : للمؤلف السابق، وهي تقع في خمس ورقات، ضمن مجموع به (٢٣٦) ورقة من (١٩٣ - ١٩٨)، وهي مخطوطة في مكتبة آل يدّر، المشار إلى فهرسها سابقًا، وهي في مجال التاريخ، برقم : ٢٤٩، ص ٨٢ .

وهذه الرسالة هي التي ترجمها المستشرق البولوني موتيلانسكي (Motylinski)، بعنوان (بيبليوغرافيا ميزاب)، وقد ذكرناها ضمن جهود المستشرقين .

٣ - قائمة الكتب المستخرجة من ملحق السير، لأبي اليقظان إبراهيم (ت ١٩٧٣م) : لمحمد بابا عمي، وهي مرقونة بالعربية، وتحمل العنوان والمؤلف والناسخ [٤٩] .

٤ - قائمة المخطوطات الإباضية المكتشفة حديثًا : لعمرو النامي، سنة ١٩٧٠م . وهي حوالي مئة بطاقة وصفية لمؤلفات القطب المخطوطة، للشيخ عبدالله كنطابلي (ت ١٩٨٧م) .

وهناك عدد كبير من القوائم والفهارس المنجزة، لكل من محمد الحاج سعيد، وأحمد كروم، وعمر لقان، وغيرهم، تخص المكتبات الإباضية، لكن عوائق كثيرة تحول دون الاستفادة منها، لأنها تفتقر إلى الدقة العلمية في الإعداد، كما تم الخلط بين الكتب المطبوعة والكتب المخطوطة، وذلك يرجع أساسًا إلى عدم المعرفة بقواعد الفهرسة الفنية للمخطوطات [٥٠] .

رابعًا - فهارس مخطوطات مكتبات بعض المساجد والزوايا والمراكز العلمية (عامة وخاصة) :

هذه مجموعة أخرى من الفهارس على شكل كتب وأبحاث مستقلة، تخص مخطوطات جزائرية تحتفظ بها مراكز علمية مختلفة، أنجزت في فترات زمنية مختلفة، بعضها مطبوع متداول وبعضها مخطوط، وهي :

١ - فهرس الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر (مسجد الجامع الكبير) : أنجزه محمد بن أبي شنب، وطبع باللغة الفرنسية في الجزائر، سنة ١٩٠٩م، وهو محفوظ في المكتبة الوطنية برقم (٦٢٩٢٣) . يقع في (١٣٠) صفحة، من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (١٠٦) مخطوطات، منهجه توصيفي نسبيّاً، يقوم على ذكر العنوان، والمؤلف، وتاريخه، والناسخ، وتاريخ النسخ، والخط، وأوراق المخطوط، والقياس، والمجموع، ومعارف محدودة، ومن مزيته أنه يذكر أحيانًا عنوان المخطوط بالعربية، كما يكتب بعض المواد بالعربية، ولكن ليس باطراد .

أما المجالات المعرفية التي يشتمل عليها الفهرس، فهي : الفقه، والأصول، والتوحيد، والعقائد، والنحو والصرف، والطب، والحديث، والتفسير، والقراءات، والسيرة، والمنطق .

وقد ألحق الفهرس بكشافين بالعربية ، للعناوين والمؤلفين . وهو من نوادر الكتب المطبوعة . ويعد الفهرس الوحيد الذي أنتجه العلماء الجزائريون منذ الاحتلال الفرنسي للبلاد ، سنة ١٨٣٠ حتى سنة ١٩٥٤م .

وسألت عن المخطوطات الموصوفة في الفهرس ، فقيل لي : إن بعضها نقل إلى وزارة الشئون الدينية، وضمت إلى مكتبتها ، وبعض آخر لايعرف لها سبيل .

٢ - مخطوطات جزائرية في مكتبات إسطانبول (تركيا) : محمد بن عبدالكريم، وهو واحد من أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، أنجزه في أثناء زيارة قام بها إلى تركيا، وطبعه باللغة العربية في بيروت، بمكتبة الحياة سنة ١٩٧٢م، ويقع في (١٦٧) صفحة، من الحجم المتوسط، عدد مخطوطاته (٢٠٠) مخطوطة، منهجه يقوم على التوصيف العادي ، لكنه يفتقر إلى بعض العناصر الأساسية في التوصيف، فهو يذكر العنوان ، والمؤلف، والموضوع، والصفحات، والسطور، والخط، ومكان وجوده، وملاحظات أخرى .

أما المجالات المعرفية التي يشملها فهي: تفسير القرآن ، والأحاديث النبوية، والعقائد، والتصوف ، والحكمة ، والأدب ، وفنون أخرى مختلفة.

سبق الفهرس بمقدمة عامة ، تناولت الغرض من إنجازه ، كما ذيل بكشافين،

للمؤلفين والمؤلفات . وهو الفهرس الوحيد المتداول في المكتبات داخل الوطن وخارجه .

٣ – فهرس موضوعي لمخطوطات جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة : مزلاح رشيد، وكريم مراد، وهما طالبان في السنة الرابعة، بمعهد علم المكتبات ، في جامعة قسنطينة، والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات ، أشرف عليه محمد علي سنة ١٩٨٩م . وهو باللغة العربية، يقع في (١٨٦) صفحة ، من الحجم المتوسط، عدد مخطوطاته (١٤٣) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي، يقوم على ذكر العنوان ، والمؤلف، والاستهلال، والمكان، والناسخ، والتاريخ، والأوراق، والسطور، والخط، والمقياس، والنهاية، وملاحظات عامة، والمصادر، والرموز، ورقم الحفظ في المكتبة.

أما مجالاته العلمية ، فهي : التراجم، والتاريخ، والجغرافية، والتصوف، والتوحيد، والعقائد، والحديث وعلومه، والسيرة النبوية، والطب، وعلم الفرائض، والفقه وعلومه، والفلسفة والمنطق، والقرآن وعلومه، واللغة العربية . وأغلب مخطوطاته في العلوم الشرعية .

وقد ألحق الفهرس بعدد من الكشافات لأسماء الكتب ، والمؤلفين، والناسخين، ونماذج من صور المخطوطات المفهرسة .

وللفهرس مقدمة من (أ – ي) فيها حديث عن المخطوطات وأهميتها، وكيفية حصول الجامعة عليها ، والملامح المادية للمخطوطات، وكيفية استعمال الفهرس، والصعوبات التي اعترضت الطالبين في قراءة المخطوطات . ويبدو أن قلة التجربة في التعامل مع المخطوطات جعلت المفهرسين يهملان ذكر بعض عناصر التوصيف كالتعقيبة، والحواشي، والتمليكات، والزخرفة، والتجليد، والمجاميع .

والفهرس غير متداول خارج معهد المكتبات، ومن المفارقات العجيبة أن مكتبة جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية (قسم المخطوطات)، خالية من هذا الفهرس ورقمه في المكتبة (٢٠ – ١٢) .

وقد أعدت لمخطوطات المكتبة بطاقات فنية، روعي فيها المنهج التوصيفي نسبيّاً، كذكر العنوان، والمستهل ، والخاتمة، والتاريخ، والمكان، والمادة، والخط، والمداد، والحجم ، والتجليد، والأوراق، والتمليكات،

والنشر . لكنها لاتلبي حاجة الباحثين ، لعدم الدقة في إعدادها، كما أن مجاميعها لم تفهرس، إذ اكتفي فيها بفهرسة بطاقة المخطوط الأول، أما المخطوطات الأخرى فذكرت عناوينها وأسماء مؤلفيها لاغير . وهذه البطاقات على شكل جذاذات مستقلة.

٤ – فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ صحراوي التهامي بباتنة (الأوراس) : عبدالكريم عوفي، نشر في مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن عشر، العدد الثالث، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص (١٧٤ – ١٧٨). يقع في خمس صفحات من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (٢٠)، منهجه توصيفي عادي، يقوم على ذكر الرقم التسلسلي ورقم المجموع ورقم المخطوط في المجموع، والعنوان، والمؤلف وتاريخه، وأول المخطوط، وآخره، والتاريخ، والناسخ، والحواشي، والتمليكات، والخط، والمداد، والأوراق، والسطور، والقياس، والزخرفة، وحالة المخطوط، والتعقيبة، والتجليد، وملاحظات أخرى .

أما مجالاته المعرفية فهي : الحديث، والفقه، والنحو، والتفسير، والسيرة، والأدب. وصاحب المخطوطات لايزال على قيد الحياة، وقد كانت مكتبته عامرة بالمخطوطات، لكن فرنسا أتت عليها حرقًا ونهبًا في فترة الاحتلال.

٥ – فهرس موضوعي لمخطوطات المركز الثقافي الإسلامي بقسنطينة : براهمية عمار وكساسرة محي الدين ، وهما طالبان في السنة الرابعة بمعهد علم المكتبات في جامعة قسنطينة . والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات، أشرف عليه محمد علي، سنة ١٩٩٠م، وهو باللغة العربية . يقع في (٢٠٨) صفحات، من الحجم المتوسط، وعدد مخطوطاته (١٦٩) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي (العناصر المتبعة في فهرس الأمير عبدالقادر) .

أما مجالاته العلمية، فهي : القرآن وعلومه، والحديث، والسيرة النبوية، والعقيدة، والتوحيد، والفقه وعلومه، واللغة العربية وعلومها .

وقد ذيل الفهرس بعدد من الكشافات ، للمخطوطات، والمؤلفين ، والنساخ، وملحق به صور لبعض المخطوطات النفيسة . كما قدم له بمقدمة تناولت المخطوطات وأهميتها في

نقل العلم والحضارة، والتعريف بموضوع الفهرس، وكيفية إعداده، والملامح المادية للمخطوط، وقضايا أخرى ، كذكر الصعوبات التي واجهت المفهرسين . لكن طباعة الفهرس رديئة، وبعض صفحاته لاتقرأ، وهو غير متداول خارج معهد علم المكتبات . ورقم الفهرس في المكتبة (١٩ - ١٢) .

وللتذكير؛ فإن مخطوطات المركز الثقافي الإسلامي تفرقت ، فقد أخبرت من بعض الإخوان أن وزارة الشئون الدينية نقلت بعضها إلى مكتبة مديريتها في الوزارة، وبعضها الآخر في مكتبة المركز بقسنطينة، كما أخبرني أحد معدّي الفهرس أن بغض المخطوطات النفيسة لا أثر لها اليوم .

٦ - [فهرس] [٥١] مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري ومخطوطات بعض الأعلام الجزائريين في مكتبة الأسد الوطنية السورية "دراسة وصفية تحليلية" : عبدالغني عبدالرزاق ، طالب في السنة الرابعة بمعهد علم المكتبات، في جامعة قسنطينة، والفهرس عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات أشرف عليه عبداللطيف الصوفي، سنة ١٩٩٥م وهو باللغة العربية . يقع في (٣٨٧) صفحة، من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (٢٢٣) مخطوطة، منها (١٨٢) تخص مكتبة الشيخ طاهر والباقي لعلماء جزائريين آخرين .

منهج الفهرس توصيفي دقيق ، يقوم على ذكر : المؤلف ووفاته، والعنوان والموضوع، والمجلد، وتاريخ النسخ، والمكان، والقياس، والأوراق، والخط، والسطور، والناسخ، والقراءات والسماعات، والزخرفة، والتجليد، والعنوان، والبداية، والنهاية وملاحظات أخرى . وقد لوحظ تعديل في ترتيب عناصر البطاقة التوصيفية، واستعملت الرموز العددية لعناصر البطاقة مما يصعب قراءة الفهرس بسرعة .

أما مجالاته المعرفية، فهي : علوم الدين، والقرآن، والحديث، والعقائد والتوحيد، وأصول الفقه، والتصوف، والفلسفة، واللغة، والمعاجم، والنحو والصرف، والبلاغة، والشعر، والتاريخ، والتراجم، والمعارف العامة، وعلم الفلك .

وذيل الفهرس بكشاف للعناوين ، وملاحق بصور وأشكال لبعض المخطوطات ومكتبة الأسد، ويشتمل الفهرس عامة على

مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . خصص الأول منها للحديث عن المكتبة الوطنية السورية، ودار الكتب الظاهرية، ومكتبة الأسد الوطنية، أما الثاني فخصص لمؤلفات الشيخ طاهر الجزائري [٥٢]، والثالث للعلماء الجزائريين الآخرين، وتتوزع المقدمة والفصل الأول على الصفحات (١ - ٦٤) . وهذا الفهرس غير متداول خارج معهد علم المكتبات ، ولعل نسخة منه في مكتبة الأسد الوطنية، ورقمه في المكتبة (١٣٨ - ١٢) .

٧ - فهرس مخطوطات مكتبة نظارة الشؤون الدينية بباتنة : عبدالكريم عوفي، نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، المجلد ٣٩، الجزء الثاني، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م . يقع في (٥٠) صفحة، من الحجم المتوسط، ص (٧ - ٥٦)، عدد مخطوطاته (٨٧) مخطوطة، منهجه توصيفي عادي (يقوم على عناصر البطاقة المتبعة في فهرس الشيخ التهامي)، ويشمل المجالات المعرفية التالية : الفقه، وأصول الفقه، والتوحيد، والعبادات ، والحديث، وعلوم القرآن، وعلوم العربية، والفلك، وعلم الكلام، والمنطق . خال من الكشافات .

٨ - فهرس مخطوطات مكتبة زاوية أحمد بن بوزيد مولى القرقور بسريانة - ولاية باتنة : عبدالكريم عوفي ، (مخطوط) مكتوب على الحاسوب، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م بالعربية . وقد سلم لمجلة معهد المخطوطات العربية للنشر، ويقع في (٧١) صفحة، من الحجم الكبير، عدد مخطوطاته (٦٦) مخطوطة، مفردة ، ومجاميع، منهجه توصيفي عادي كسابقه، ومجالاته المعرفية هي : التربية والنصح، والتصوف، والتفسير، والتوحيد، والحديث، والفلك، والفقه، والأصول، واللغة . وأغلب مخطوطات الفهرس في العلوم الشرعية .

وقد أُتبع بعدد من الكشافات، للمخطوطات، والمؤلفين، والنساخ، والمصادر والمراجع، وملحق به صور لبعض الوثائق والمخطوطات . ولهذا الفهرس ملخص سيأتي الحديث عنه في مجموعة القوائم .

٩ - فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ أحمد بن السايح [٥٣] ببسكرة : عبدالرحمن عبدالعزيز تيبرماسين . وهو مرقون على الآلة، ويقع في وريقات، أنجز سنة ١٩٩٥م، عدد مخطوطاته (١٣) مخطوطة، منهجه

وصفي نسبيّاً، ذكر فيه العنوان، والمؤلف، وأول المخطوط، وآخره، والناسخ، والتاريخ، والأوراق، والأسطر، والقياس، والخط، والمداد، وحالته، لكنه ناقص، ويفتقر إلى كثير من العناصر التوصيفية، ولعل ذلك يرجع إلى انعدام الخبرة لدى المفهرس وقلة تجربته، وربما للسرعة في إنجازه، لأن صاحب المخطوطات أعلمني أنه يمتلك عدداً من المخطوطات يفوق العدد الموصوف في الفهرس مرتين .

أما المجالات المعرفية التي يشملها الفهرس ، فهي : الفقه ، والعقائد ، وعلوم القرآن ، والتصوف ، والمنطق . ولعل الظروف تتهيأ لنا ونعيد توصيف مخطوطات الرجل مستقبلاً .

١٠- فهرس مخطوطات مكتبة مختار بوعناني بوهران : مختار بوعناني، وهو أستاذ علوم اللغة وتحقيق المخطوطات في معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران حالياً .

والفهرس أنجزه في ١٣/١٠/١٩٩٧م[٥٤]، بالعربية، وهو بخط المؤلف . يقع في (٣٧) صفحة، من الحجم المتوسط، وعدد مخطوطاته (١٩٤) مخطوطة، منهجه يجمع بين التوصيف والقوائم العادية، ويقوم على ذكر العنوان ، والمؤلف ، والناسخ، والتاريخ ، والأوراق، والخط ، والمداد ، والأسطر ، وحالة المخطوط، ومصور أو أصلي، ومجموع أو مفرد، وملاحظات أخرى. ولكن المؤلف لم يلتزم بهذه العناصر البطاقية في كل المخطوطات الموصوفة .

أما المجالات المعرفية التي يشتمل عليها الفهرس، فهي : النحو، والصرف، والقرآن وعلومه، والصلوات والأدعية، وعلم التوحيد، والمنطق، والفلك، والأدب، والمعاجم، والتاريخ والرحلات والحروب . وقد لوحظ كثرة مخطوطات علوم اللغة والأدب، إذ بلغت (٧٠) مخطوطة .

ويوجد ضمن العدد الإجمالي لمخطوطات الفهرس عناوين بعض مخطوطات الشيخ إطفيش، وعددها (٤٤) مخطوطة .

خامساً – فهارس على شكل قوائم وبطاقات لمخطوطات مراكز علمية (عامة وخاصة) :

تتمثل هذه المجموعة في عدد من الفهارس أنجزت على شكل قوائم، ولكنها ليست فهارس حقيقية بالمعنى الدقيق

للفهرس، وقد أحببت ذكرها في مجموعة مستقلة ، لأنها تفي بالغرض العلمي نسبياً. وهي :

١ - فهرس خزانة سيدي أحمد العالم بؤلف : سيدي أحمد العالم (ت ١٩٤٢م)، وهو مخطوط يدوي كتبه صاحبه ، سنة ١٩٠١م، يقع في (٣٤) صفحة، من الحجم المتوسط، عدد المخطوطات المسجلة فيه مجهول، لأنه ضاع، ولم يبق من مخطوطات المكتبة سوى (٣٢) مخطوطة . وهي في علوم: الفقه والشريعة (١٧)، والسيرة (٢)، واللغة العربية (٤)، والطب (١)، والتصوف (١)، وعلوم أخرى (٩) .

والأوراق من (١ - ١٠) من الفهرس ضاعت ، وما تبقى من المخطوطات نسخت بخط صاحب الفهرس والمكتبة .

وبالمناسبة؛ فإن معدّ البحث الذي [٥٥] ورد فيه الحديث عن هذا الفهرس، قد أشار إلى بعض عناصر البطاقة الفنية لما تبقى من مخطوطاته الموصوفة في الفهرس، كذكر العنوان، والمؤلف، والناسخ، وتاريخ النسخ، والبداية، والموضوع، والحواشي، وبعض محتويات المخطوط، وحالته، والأوراق . ولكن هذه العناصر لم يلتزم بها في كل المخطوطات . وأغلب هذه المخطوطات قد تعرضت لعوامل الطبيعة، ولاسيما الأمطار التي نزلت على المنطقة سنة ١٩٦٥م .

٢ - قائمة أسماء مخطوطات مكتبة جامعة قسنطينة : أعدها قسم الفهرسة العامة في المكتبة . وجامعة قسنطينة لا تمتلك من المخطوطات إلا العدد الذي ذكر في هذه القائمة، مع أنها من الجامعات الكبرى في البلاد . وعدد صفحات هذه القائمة (٧) صفحات، من الحجم المتوسط، وتتضمن (٤٣) مخطوطة . وقد اعتمد في إعدادها ذكر العنوان، والمؤلف، والموضوع، والبداية ، والنهاية، والناسخ، وتاريخ النسخ، والمصادر والطباعة .

أما المجالات المعرفية التي تشملها فهي: التفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة ، والتوحيد، والنحو والصرف، والبلاغة، والسيرة، والمنطق، والأدب، والمعاملات، والعبادات، وموضوعات عامة .

وهذه القائمة رغم توفرها على بعض العناصر البطاقية التوصيفية، فإنها بحاجة إلى إعادة توصيف مخطوطاتها، وذلك للخلط

الذي لوحظ فيها ، من حيث نسبة المخطوطات إلى أصحابها، وخلوها من بعض العناصر الرئيسة للبطاقة المستعملة، كالخط ونوعه، وعدد الأوراق، والأسطر، والقياس، والتعقيبة، والتجليد، والتمليكات، والحواشي، ومكان النسخ، وحالة المخطوط، وآخر المخطوط، والزخرفة . وهذه القائمة متداولة في المكتبة لاغير .

٣ - ملخص فهرس مخطوطات مكتبة زاوية أحمد بن بوزيد مولى القرقور بسريانة، ولاية باتنة : عبدالكريم عوفي، نشر في مجلة الأدب، العدد الثاني، التي يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة قسنطينة، الجزائر، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م . والملخص عبارة عن قوائم بأسماء مخطوطات الزاوية، وأسماء مؤلفيها مرتبة حسب موضوعاتها، يقع في (١٣) صفحة، من الحجم المتوسط، من (٢١١ - ٢٢٣) ، بمجموع (٦٦) مخطوطة، في علوم : التربية والنصح، والتصوف، والتفسير، والتوحيد، والعقائد، والحديث، والفلك، وأصول الفقه، واللغة . وقد تقدم الفهرس الأصلي برقم (٩) في المجموعة الرابعة .

٤ - جمعية التراث بالقرارة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات في منطقة وادي ميزاب (الجزائر) - القسم الأول : عبدالكريم عوفي، البحث مكتوب على الحاسوب، وهو عبارة عن قراءة في ثلاثة أدلة من مخطوطات جمعية التراث بالقرارة، أنجز عام ١٩٩٧م، ويقع في (٣٠) صفحة، من الحجم الكبير، ويذكر أزيد من مئتي مخطوطة، مع أسماء أصحابها، وموضوعاتها، وهي تشمل المجالات العلمية المختلفة [٥٦] .

٥ - قائمة مخطوطات وزارة الشؤون الدينية : صاحبها مجهول [٥٧]، وقد وقف عليها في المكتبة الوطنية الجزائرية، وهي قائمة عادية ، تقع في (٦٦) صفحة من الحجم المتوسط، بمجموع (٤٧٩) مخطوطة، بما فيها المجاميع، أي إن المجموع في نظر معدّ القائمة مخطوطة واحدة ، وقد روعي في إعدادها ذكر الرقم التسلسلي، واسم المؤلف، والمخطوط، والجزء، والمجلد، وملاحظات أخرى .

أما مجالاتها العلمية ، فهي : الفقه، والحديث، التفسير، والقراءات، والعقائد، والنحو، والطب، والفلك ، والمنطق .

وقد سألت عن مخطوطات هذه القائمة

في المكتبة الوطنية، فأُعلمت أنها لاتوجد بالمكتبة، ولايُعلم أهي موجودة في الوزارة أم لا ؟ (راجع ما سيأتي ذكره بشأن مخطوطات وزارة الشئون الدينية في مجموعة الفهارس التي تنجز حالياً) .

٦ - أضواء على التراث المخطوط في الجزائر "أول محاولة لوضع فهرس للمخطوطات في المكتبات بالجزائر" : جمال عزون أبو عبدالله الجزائري، مقال في ثلاث حلقات، نشر في جريدة المدينة المنورة . يقع في ثلاث صفحات ، من الحجم الكبير، الأعداد : (٨٧٨٤، ٨٧٩١، ٨٨٢٦)، يونية ١٩٩١م . انتقى صاحب المقال مخطوطات من مكتبات (طولقه، وبوسعادة، وأولاد جلال، وسيدي خالد، والبرواقيه، والجزائر العاصمة)، في علوم شتى ، وذكر أسماء المخطوطات ومؤلفيها لاغير .

سادسًا - كتب ودراسات تناولت المخطوطات بالوصف والعرض :

زيادة على ما تقدم وصفه من فهارس وقوائم اسمية للمخطوطات في الجزائر، توجد أيضًا مجموعة من الكتب والدراسات التي تعرضت للمخطوطات ، من حيث الذكر، والوصف والعرض، والتحليل، والنقد . ولما كانت هذه المخطوطات غير منشورة، أو أن الإحصاء والوصف المقدمين بشأنها يعد في حكم التعريف بها وبأماكنها ارتأيت ذكر أهمها في هذه المجموعة ، لأهميتها، ولعلاقتها بهذه المحاولة التي نقوم بها حول فهرسة المخطوطات في الجزائر ، ومن هذه الكتب والدراسات :

١ - تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (١٦ - ٢٠م)، جزآن : أبو القاسم سعدالله، نشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، يقع الجزء الأول في (٦٠٠) صفحة، والثاني في (٥٢٠) صفحة، وهو من الحجم المتوسط، وعدد المخطوطات الموصوفة والمدروسة غير محدد . أما منهج الرجل في الكتاب عامة، فهو تاريخي وصفي، يُعنى فيه بأعلام الفكر والثقافة في الجزائر، وبالمخطوطات ، ولاسيما في الجزء الثاني منه، إذ نجده في ذكر آثار المؤلف المخطوطة، ينص على الاسم ، وعنوان المخطوط، وتاريخ نسخة، ومكان وجوده، وموضوعه، ومحتواه .

وأهم المجالات المعرفية التي تمثلها

المخطوطات المذكورة في الكتاب هي : العلوم الشرعية، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، واللغة، والشعر، والتاريخ، والتراجم، والرحلات، والعلوم الطبيعية، والفنون .

وقد ألحق المؤلف الكتابين بعدد من الفهارس للمؤسسات الدينية والعلمية، والأماكن والأعلام، ومحتوى الكتاب . ورغم أن الكتاب ليس فهرسًا ، إلا أنه يقدم للقارئ والباحث مواد لاتقدمها الفهارس والقوائم الموجودة في بعض مكتباتنا، لأنه توسع في عرض محتويات المخطوط، من حيث موضوعاتها، وأبوابها، وفصولها (٥٨) .

٢ - البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية (جزأن) : الشيخ فرحات الجعبيري، باحث تونسي، والكتاب نشرته جمعية التراث بالقرارة في الجزائر، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م . يقع الجزء الأول في (٤٠٠) صفحة، والثاني في (٥٢٠) صفحة، من الحجم المتوسط، وعدد المخطوطات المذكورة فيه أزيد من (٥٠) مخطوطة، فقد عرض في الجزء الثاني، من (٧٧٥ - ٧٨٣) طائفة من المصادر الإباضية المخطوطة، مراعيًا فيها ذكر : المؤلف وتاريخه ، والعنوان، والناسخ، والمكان، والخط، والمجموع، والصفحات، والأسطر، والمطبوع.

كما ألحق الكتاب بعدد من الفهارس الفنية التي يحتاج إليها الباحث .

٣ - المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن ١٩، وبداية القرن ٢٠، بتوات، و قرارة، وتدكلت : مقدم مبروك، البحث مخطوط يدوي، وهو محاضرة ألقيت في اليوم الدراسي حول أهمية المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر . جامعة وهران . ٨ يونيو ١٩٨٧م .

يقع البحث في (١١٨) صفحة من الحجم المتوسط، وقد أورد فيه أزيد من (١٥٠) مخطوطة، كثير منها لعلماء المنطقة، ودرس بعضها ، ثم ألحق البحث بقائمة المخطوطات التي تمكن من الوقوف عليها ، فذكر اسم المخطوط ، واسم مؤلفه، وموضوعها .

وأما المجالات المعرفية التي تشملها المخطوطات المذكورة في البحث فهي : النحو، والصرف، والبلاغة، والتفسير، والقراءات، والمنطق، والحديث، والفلك، والطب، والفقه، والتصوف، والعقيدة،

والتوحيد، والأدب، والتاريخ، والسيرة، والجغرافية، والأصول، والفقارات [٥٩] .

٤ - من مراكز المخطوطات في الجزائر (زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، ولاية ميلة نموذجًا) : عبدالكريم عوفي ، بحث مكتوب على الحاسوب، وفيه دراسة إحصائية بالأرقام لمخطوطات الزاوية في كل المجالات المعرفية، وعددها (٤٠٠) مخطوطة. وقد تم التركيز فيه على ذكر قائمة مخطوطات علوم اللغة، على سبيل المثال، وهو يقع في (١٣) صفحة من الحجم الكبير، وعدد المخطوطات المسجلة في البحث (٦٤) مخطوطة . وقد ذكر فيها الرقم التسلسلي ، والعنوان، والمؤلف، وتاريخ وفاته لاغير . مع الإشارة إلى ماورد منها ضمن المجاميع .

وهذا البحث قبل للنشر في العدد الجديد من مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، بجامعة باتنة [٦٠] .

٥ - تاريخ الخزائن الخاصة في أولف : الحمدي أحمد ، وهو طالب في السنة الرابعة، بالمعهد العالي للحضارة الإسلامية، في وهران، والبحث عبارة عن مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس، بإشراف عبدالمجيد ابن نعيمة، سنة ١٩٩٤م . يقع في (١٠٠) صفحة، من الحجم الكبير، وعدد المخطوطات المذكورة فيه (٢١٨) مخطوطة . والبحث تناول التاريخ الثقافي للخزائن الموجودة في منطقة أولف، الممتدة بين توات غربًا وعين صالح شرقًا في الجنوب الجزائري . ومن أهم الخزانات التي درست في البحث :

١ - خزانة سيدي أحمد العالم (ت١٩٤٢)، وفيها (٤٠) مخطوطة .

٢ - خزانة الطالب داده سيدي أحمد (ت ١٩٥٣م)، وفيها ست مخطوطات .

٣ - خزانة الشيخ الباي بالمدرسة القرآنية، وفيها (٢٢) مخطوطة .

٤ - خزانة الطالب محمد بن أحمد الأغزيري، وفيها (١٠) مخطوطات .

٥ - خزانة عائلة باشيخ بتقراف، وفيها (١٧) مخطوطة .

٦ - خزانة الشيخ عبدالرحمن بن محمد البرمكي، وفيها ست مخطوطات .

٧ - خزانة عائلة عقباوي بزاوية بونعامة، وفيها (٦٠) مخطوطة .

٨ - خزانة أركشاش، ولايعرف العدد الإجمالي لمخطوطاتها، ولكنها تحتفظ بكتاب

(تينغ بويا)، أي (قتل بويا)، و هو يقع في (٤٨٠) صفحة .

٩ - خزانة الشيخ محمد بن مالك بساهل، وفيها (٤١) مخطوطة .

١٠- خزانة المنصور بأقبلي، وفيها (٢٢) مخطوطة .

وتمتاز هذه المخطوطات بأن أغلبها لعلماء المنطقة ، وهي تؤرخ للأحداث التي عاشها السكان عبر الأزمنة المختلفة . وقد أشار معد البحث إلى أن المخطوطات بهذه الخزانات كانت غزيرة، إلا أن الأمطار الطوفانية التي نزلت بالمنطقة سنة ١٩٦٥م قد أتلفتها .

أما منهج الباحث فيمكن القول عنه إنه يجمع بين التوصيف العادي وذكر القوائم، فهو يشير إلى : العنوان، والمؤلف، والناسخ، وتاريخ النسخ، وبداية المخطوط، والتمليكات، والحواشي، وحالته (كالبتر، والخرم، والرطوبة)، وعدد الأوراق . ولكن هذا المنهج لم يطّرد في جميع المخطوطات .

والمخطوطات المذكورة في البحث تشمل فنونًا معرفية مختلفة، وهو مقسم إلى مقدمة، ومدخل، وفصلين، و خاتمة، وعدد من الملاحق، وهو كبقية الفهارس والقوائم غير متداول [٦١] .

٦ - مراكز المخطوطات في الجزائر "أماكنها ومحتوياتها" : عبدالكريم عوفي، نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد : ٣٩، الجزء الأول، سنة ١٩٩٥م . ص (٧ - ٢٤)، من الحجم المتوسط، وعدد المخطوطات فيه غير محدد، وفي البحث حصر لأهم المراكز العلمية والخزانات في الجزائر، التي تجمعت فيها المخطوطات منذ سنين طويلة، مع ذكر العدد الإجمالي لمخطوطات كل مركز . وتشمل هذه المخطوطات كل المعارف الإنسانية .

٧ - تقرير حول المخطوطات في الجزائر : عبدالكريم عوفي، مخطوط على الحاسوب، ويقع في (٢٠) صفحة، من الحجم الكبير، وفيه رصد لأهم مراكز المخطوطات في الجزائر، مع ذكر عدد مخطوطات كل مركز، و هو كسابقه، لكنه يمتاز بإضافة عدد من المراكز العلمية التي لم يكشفها البحث سابقًا .

وهذا البحث ألقي في الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، الذي

نظمه معهد المخطوطات العربية في القاهرة يومي ١٨ - ١٩/١٢/١٩٩٦م .

وهناك ثلاث دراسات أخرى لها علاقة بموضوعنا ، أشير إليها ها هنا بإيجاز :

٨ - المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط : محمد عبدالقادر أحمد، مقال نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد : ١٨، الجزء : ١، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص (١٨٩ - ٢٠٤) . أشار فيه إلى المحاولات التي قدمت حول الفهرسة الجزائرية من قبل بعض المستشرقين، ومحافظي المكتبة الوطنية، وقدم عرضًا لفهرس فانيان، من حيث منهجه ومحتوياته، كما أشار فيه إلى اللجنة التي أنشئت في المكتبة الوطنية، سنة ١٩٦٩م، لإعداد فهرس شامل لمخطوطات المكتبة ، وخطة العمل المتبعة فيه ، لكن هذا العمل - كما ألمعنا إليه سابقًا - لم يكتمل وما أنجز منه ضاع .

٩ - تقرير عن المخطوطات في الجزائر وأماكن تواجدها : نوار جدواني، محافظ في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية سابقًا، مقال نشر في مجلة المورد العراقية، المجلد : ٥، العدد : ١، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص (٤٠ - ٤٥)، فيه عرض لبعض مراكز المخطوطات (العامة والخاصة) في الجزائر، و لمحة موجزة عن دور المستشرقين والجزائريين في جمع المخطوطات وفهرستها، كما عرض قائمة بأسماء المخطوطات الجزائرية التي حققها العلماء الجزائريون، بعد الاستقلال .

١٠- تقرير حول المخطوطات الجزائرية: مختار حساني، أستاذ في معهد التاريخ، بجامعة الجزائر، وقد وقفت على خمسة وعشرين ورقة منه، مكتوبة بالفرنسية والإنجليزية، وهي من الحجم الصغير، عند مدير معهد علم المكتبات، في جامعة قسنطينة، أرسلتها إليه مؤسسة الفرقان، تستوضح منه عن عدد من المراكز والفهارس المنجزة حول مخطوطات الجزائر .

وقد اتصلت هاتفيّاً مستفسرًا عن طبيعة عمله للاستفادة منه في البحث، فأخبرني أنه بعث ببحث لمؤسسة الفرقان يقع في حدود مئة صفحة، وطلبت منه نسخة أو إعطائي ملخصًا عنه ، لكنه أرجأ الأمر إلى حين أن نلتقي معًا. وقد ذكرت هذا الكلام وفاء لأهل

الفضل والعلم ، لأني أفدت مما وقع بين يدي من أوراق من بحثه .

سابعًا – فهارس وقوائم قيد الإنجاز :

هذه مجموعة أخرى من الفهارس والقوائم قيد الإنجاز، أذكرها تعميمًا للفائدة.

١ – فهرس مخطوطات مكتبة زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة – ولاية ميله : عبدالكريم عوفي، مخطوط يدوي، وهو في مرحلة التبييض والشروع في كتابته على الحاسوب (٦٢)، يشتمل الفهرس على (٤٠٠) مخطوطة، منها (٢٥٦) مفردة، و (١٤١) ضمن المجاميع، منهجه توصيفي دقيق، يقوم على العناصر البطاقية التي سبق ذكرها في فهرس (نظارة الشؤون الدينية، وزاوية مولى القرقور)، مع إمكان إدخال تعديلات ، في ضوء ما يقرره الخبراء في ندوة معهد المخطوطات العربية حول التجارب القطرية لفهرسة المخطوطات، لسنة ١٩٩٧م .

أما المجالات المعرفية التي تمثلها المخطوطات الموصوفة ، فهي : الفقه وأصوله، وعلوم اللغة، والتوحيد والعقائد، والحديث، والأدب، والسيرة، والتراجم، وعلوم القرآن، والمنطق، و الطب، والفلك (٦٣) .

وسوف يلحق الفهرس بعدد من الكشافات، للمخطوطات، و المؤلفين، والنسّاخ، والملاك . كما يتضمن مقدمة، ومدخلاً عامّاً حول نشأة الزاوية ودورها التعليمي، وأشهر رجالاتها العلمية .

٢ – فهرس مخطوطات نصرالدين وهّابي (٦٤)، وبعض مكتبات المساجد في مدينة بسكرة : عبدالكريم عوفي ، ونصرالدين وهابي ؛ هذا الفهرس تم إنجاز ستين بطاقة توصيفية منه، والعمل جار لاستخراج المجاهيل وتوثيق اسم المؤلف والعنوان، وقد يزداد عدد المخطوطات الموصوفة ليصل إلى المئة . وتتبع فيه المراحل المذكورة في الفهرس السابق .

٣ – فهرس مخطوطات مكتبة زاوية علي ابن عمر في طولقة – ولاية بسكرة : عبدالسلام ضيف، و هذا الفهرس مسجّل ضمن مشروع البحث الذي أرأسه في جامعة باتنة بعنوان (إحياء التراث)، وقد أعد صاحبه الدراسة النظرية (التعريف بالزاوية ودورها في الحركة الإصلاحية والتعليمية)، ويعمل حاليّاً على الاتصال بالزاوية لإعداد البطاقات التوصيفية لمخطوطات الزاوية التي

تربو على الخمس مئة ، مع أن ظروفًا كثيرة صعبت التنقل والعمل في الزاوية .

وأشير إلى أنني زرت الزاوية ووقفت فيها على مخطوطات تعد من نفائس المخطوطات، وبعضها كتب بالفارسية، وأخرى بالتركية، كما أن بعضها يرقى إلى القرون الأولى للهجرة النبوية .

٤ - مخطوطات مكتبة مديرية الثقافة بوزارة الشؤون الدينية في العاصمة : قائمة يعدّها المشرفون على مصلحة المخطوطات في المديرية، وهي عبارة عن سجلات تجمع بين التوصيف والقائمة العادية، وقد حاولت أخذ معلومات تشفي غليلي بعد سفر امتد على مسافة خمس مئة كلم ، لكني فوجئت بمالم أضعه في الحسبان [٦٥] . وبعد لأي وجدت من أمدني بمعلومات تفيد أن عدد مخطوطات المكتبة (٧٠٠) مخطوطة . والعمل جار لإعداد فهرس لها . وقد وصل التوصيف إلى الرقم (٢٠٤)، ولكن أي توصيف ؟ فالعاملون على تسجيل بيانات البطاقة التوصيفية لم يزيدوا على ذكر الآتي : الرقم، والعنوان، والمؤلف، والموضوع، وتاريخ النسخ، والأوراق، والمقياس، وبداية المخطوط. هذا كل ما في هذا الفهرس الذي أحب أن أسميه قائمة ، وذلك لأنه يفتقر إلى كثير من عناصر البطاقة التوصيفية المعتدلة ، المعمول بها في ميدان الفهرسة .

أما المعارف العلمية التي تشملها المخطوطات الموصوفة فهي تمثل مختلف فنون المعرفة الإنسانية . وهذه المخطوطات جمعتها الوزارة من المساجد ، ومكتبات النظارات، والمراكز الثقافية المختلفة في الولايات . وهي لاتحتاج إلى قوائم عادية ، بل هي تحتاج إلى الفهرس العلمي التوصيفي المتكامل، حتى يستفيد الباحثون في حقل التراث من هذه الكنوز المحجوبة عنهم زمنًا طويلاً .

المناهج المتبعة في إعداد فهارس وقوائم مخطوطات الجزائر والعقبات التي تعترض المفهرسين :

أما بالنسبة للمناهج التي اتبعها المفهرسون ومعدّو القوائم ، في ثبت المخطوطات وتوصيفها، فيمكن حصرها في منهجين : الأول منهج يعتمد على القوائم الاسمية ، وأغلب الذين كتبوا في هذا النطاق لم يخرجوا عن ذكر الرقم التسلسلي،

وعنوان المخطوط، واسم المؤلف وتاريخ ولادته ووفاته، وموضوع المخطوط، وأوله ، وتاريخ نسخه، وقد يزيد بعض المفهرسين عناصر أخرى ، أو ينقصون، فتكون قوائمهم جامعة لبعض عناصر التوصيف العادي، لكنها تبقى ناقصة، ولا تلبي رغبة الباحث . وقد سبقت القوائم التي أخذ أصحابها بهذا المنهج ، ولذلك لا أرى ضرورة التمثيل لها .

أما الثاني فهو المنهج التوصيفي العادي، الذي يقوم على ذكر رقم المخطوط، وعنوانه، واسم مؤلفه، وتاريخ ولادته ووفاته، وموضوعه، وأوله، وآخره، وتاريخ نسخه ، ومكانه ، وناسخه، وما عليه من تمليكات ، وإجازات، وحواش، وزخرفة ، وخطه، ومداده، وأوراقه، ومسطرته، ومقياسه، وحالته، ونظام التعقيبة، والتجليد، وملاحظات أخرى تخص مصادر تخريج العنوان والمؤلف. وقد لوحظ تفاوت في ترتيب هذه العناصر في أثناء التوصيف .

وأجود الفهارس التي اعتمد فيها هذا المنهج ، تلك التي كتبها طلبة معهد علم المكتبات والتوثيق في جامعة الجزائر لمخطوطات المكتبة الوطنية ، وتقترب منها تلك التي أنجزوها لبعض الزوايا والمكتبات .

وهذا المنهج هو المعتمد علمياً في أغلب الفهارس، ويؤخذ به كثير من المفهرسين، والمشتغلين بعلم المخطوطات، وهو منهج يتصف بالوسطية، لابتعاده عن التطويل الممل والإيجاز المخل .

أما المنهج التحليلي الموسع، فلم أجد ضمن الفهارس والقوائم التي وقعت بين يدي من أخذ به ، ولكن من باب الإنصاف أقول : إن بعض الكتب التي أرخت للحياة الفكرية والثقافية في الجزائر، قد عرضت دراسات تحليلية لآثار العلماء ، وتناولت مخطوطات نهجت فيها نهجًا تحليلياً، وذلك ما نلمحه في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعدالله، الذي أشرنا إليه سابقًا، إذ وجدناه يتناول المخطوطات ويعرضها وفق المنهج التحليلي الموسع، فيذكر اسم المخطوط، وصاحبه، وتاريخ نسخه، ومكان نسخه، واسم الناسخ، وحالة المخطوط، ثم يتوسع في عرض محتوياته، من حيث موضوعاته، وأبوابه، وفصوله، وقضاياه الأساسية . ومع هذا ؛ فإنه لايمكن القول إن في الجهود التي بذلت لفهرسة المخطوطات في الجزائر،

فهارس تحليلية بمعناها الدقيق، المعروف في حقل الفهرسة .

ونعتقد أن الأخذ بالمنهج التوصيفي المعتدل ، أمر يساعد الباحثين على اختيار مايحتاجون إليه في أبحاثهم التي تقام على المخطوطات؛ دراسة وتحقيقًا .

ولاشك أن "الطريقة الوصفية المعتدلة التي توفر المعلومات الأساسية عن المخطوط، بعد تمحيص وتوثيق، وشيئًا من التوصيف المفيد" [٦٦]، غاية يصبو إليها كل باحث . ولكن تحقيقها يتطلب جهدًا ، وصبرًا وعزيمة.

أما الإطارات (الكوادر) التي أنجزت هذه الفهارس والقوائم الموصوفة، فمنها : المستشرق ، والأستاذ الباحث، والأستاذ المكتبي (المحافظ) والطالب، والموظف العادي، ويمكن تحديد هذه الفئات على النحو التالي :

١ - فئة المستشرقين : وقد ذكرنا جهودهم، وهؤلاء لهم خبرة بعلم المخطوطات، ومع أننا لم نقف على كل الفهارس والقوائم التي أنجزوها، فإننا نقول: إن ما قدموه يعد مبادرة إيجابية، إذ روعيت في أعمالهم بعض القواعد الرئيسة للتوصيف .

٢ - فئة الأساتذة الباحثين ومحافظي المكتبة الوطنية : وهم قلة ، ويمثل هؤلاء ابن شنب، ومحمد بن عبدالكريم، بعض محافظي المكتبة الوطنية سابقًا، وصاحب هذا البحث وبعض المشرفين على فهارس جمعية التراث بالقرارة، وكذلك الذين أشرفوا على مذكرات الليسانس في معهدي علم المكتبات، بجامعتي قسنطينة والجزائر .

٣ - فئة الطلبة الذين يدرسون في معاهد علم المكتبات والتوثيق : وهؤلاء أعمالهم جماعية، أعدوها في ضوء توجيهات مشرفيهم، من الأساتذة، وما قدموه عمل رائد ، لكنه مادام مخطوطًا، يبقى في حكم العدم .

٤ - فئة العاملين في مصلحة قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية : وبعضهم أساتذة لهم إسهامات طيبة في تحقيق التراث ونشره، وبعضهم الآخر يعملون موظفين في المكتبة ، وخبراتهم متفاوتة، وليس بين هؤلاء مفهرس متخصص بالمعنى الدقيق للمفهرس .

ويمكن أن نحدد أربع مراحل مرت بها الفهرسة في الجزائر، وهي :

١ - المرحلة الأولى (١٨٣٧ - ١٩٠٩م):

وهي فترة الاحتلال ، وفيها عمل المستشرقون على تأسيس النواة الأولى للمكتبة الوطنية ، ويضاف إليهم عمل ابن أبي شنب .

٢ - المرحلة الثانية (١٩٠٩ - ١٩٥٣م): وهي امتداد للمرحلة السابقة، لكنها اتسمت بالجمود، ولم تظهر فيها فهارس ودراسات حول المخطوطات .

٣ - المرحلة الثالثة (١٩٥٣ - ١٩٧٠م): وهي مرحلة الثورة التحريرية وما بعد الاستقلال . وقد عمل فيها محافظو المكتبة الوطنية على إعداد فهارس لمخطوطات المكتبة، وقد سبق ذكر أعمالهم ، وطبيعتها. كما ظهرت فيها كتب محققة في مجالات معرفية متعددة .

٤ - المرحلة الرابعة (١٩٧٠ - نهاية القرن العشرين) : وهذه المرحلة تعد من أخصب المراحل التي نشط فيها البحث في حقل المخطوطات ، إذ ظهرت فيها دراسات وتحقيقات وفهارس، وأرقى فترة للفهرسة هي العشرية الأخيرة من هذا القرن .

أما الحصيلة العامة للفهارس والقوائم والدراسات المنجزة حول مخطوطات الجزائر خلال المراحل السابقة ، فهي تقد بـ (٦٠) عملاً، ويمكن تحديدها كالآتي :

١ - ما أنجزه المستشرقون : (١٥) عملاً، والمتداول منها اليوم في المكتبة الوطنية (٣) فهارس .

٢ - ما أنجزه الجزائريون : (٤٥) عملاً[٦٧]، بين فهرس وقائمة وكتاب أو دراسة، والمتداول منها قليل جداً، وهو فهرس عبدالكريم بن محمد ، والفهارس المنشورة في المجلات، والكتب المطبوعة، وأما الباقي فمركون فوق الرفوف في المكتبة الوطنية، وفي معهدي علم المكتبات، بجامعتي قسنطينة والجزائر .

ولاشك أن الجميع يدرك أن العمل في حقل المخطوطات محفوف بجملة من العوائق والصعوبات، ولذلك أقول : إن معظم المحاولات والجهود التي بذلت في سبيل تحقيق هذا الرصد المعرفي حول مخطوطات الجزائر ؛ من فهارس وقوائم ودراسات، قد تمت وفق إمكانات شخصية (علمية ومادية) محدودة، إذ جل الذين ذكرت أعمالهم الموصوفة في هذا البحث، باستثناء المستشرقين ، فإنهم عملوا دون دراسة لعلم

المخطوطات، وكيفية فهرستها، بما في ذلك صاحب هذا البحث، وكذلك طلبة معاهد علم المكتبات، فإنهم يتلقون تكوينًا في الفهرسة العامة للكتب المطبوعة، ولا تقدم لهم أية معارف حول علم المخطوطات .

فالعمل في حقل المخطوطات ، ولاسيما "فهرسة المخطوط من أصعب الأعمال العلمية" (٦٨)، وذلك لما يمتاز به عن غيره من خصوصيات، في نواح عدة، يعرفها الخبراء في هذا المجال . والمفهرس يحتاج إلى ثقافة واسعة، وإحاطة بشتى فنون المعرفة الإنسانية ، ومهارات خاصة ؛ ينميها بالتدريب والممارسة ، حتى يتمكن من قراءة المخطوط قراءة سليمة ، تمكنه من استخراج العناصر الأساسية المطلوبة في التوصيف أو التحقيق والدراسة .

وهذا ما يؤكده خبير معهد المخطوطات ومديره السابق محمد عصام الشنطي في قوله: "بضاعة فهرسة المخطوطات، بضاعة نادرة وصعبة، وتحتاج إلى شغف ، وصبر ، أناة، وثقافة تراثية واسعة، وخبرة تراثية" (٦٩) .

إن المقبلين على فهرسة المخطوطات في الجزائر قليلون جداً، وهذا أمر لايقتصر على الجزائر وحدها، بل هو عام في البلاد العربية، ولو أردنا حصر العقبات التي تعترض المفهرسين ومعدّي القوائم في الجزائر، لأمكن تحديدها في الآتي :

١ - ليس في الجزائر عامة ثقافة تراثية - ولاسيما في الوسط التعليمي - تشعر الناس بالقيمة العلمية والحضارية للمخطوطات، على اختلاف المجالات المعرفية التي تحملها، والمشتغلون في هذا الحقل عندنا كثيرًا ما يُنعتون بأصحاب الكتب الصفراء، وبالسلفيين .

٢ - لوحظ - كما هو الحال في البلاد العربية عامة - أن العاملين في حقل المخطوطات والفهرسة هم أساتذة اللغة العربية وآدابها، وقلة أخرى من أساتذة التاريخ، وغياب أساتذة المجالات الأخرى عن الميدان .

٣ - انعدام كلي لمركز يعنى بإحياء التراث ؛ تعريفًا، وصيانة، وحفظًا، وفهرسة، وتحقيقًا، ودراسة، ونشرًا، وهذا جانب سلبي أثر على تراث البلاد عامة، مع أن وزارة الثقافة والاتصال تولي أهمية كبرى للآثار في السنوات الأخيرة (٧٠) .

٤ – كثرة المخطوطات وتوزعها في المراكز المختلفة (عامة وخاصة)، وفي أنحاء متفرقة من البلاد، مما صعب مهمة الباحثين في الوصول إليها بسرعة، إذ تبعد بمسافات طويلة تزيد على (١٠٠٠) كلم في المتوسط العام، وقد أصبح التنقل في العشرية الأخيرة صعبًا، ثم إن الباحث يقوم بمجهودات شخصية، ونادرة ما يلقى دعمًا من الجهات الرسمية المسئولة .

٥ – من العوائق التي تعترض الباحث صدّ مالكي المخطوطات من يقصدهم وعدم تمكينهم من الاطلاع على المخطوطات، خوفًا على موروثهم – كما يعتقدون – فالكثير يجهل القيمة الخطيرة للمخطوط في نقل العلم، وتنوير العقول .

٦ – أغلب الفهارس التي أعدها الطلبة بإشراف أساتذة متخصصين ، اشتكوا من انعدام الخبرة لديهم في التعامل مع المخطوطات، وهذا الأمر لايخص الطلبة، بل هو عام .

فقد ذكر الطلبة أنهم يبقون أسابيع في فك رموز بعض المخطوطات ، فهم يجدون صعوبة في التمييز بين علم وآخر لفقر معلوماتهم، كما تطرح مشكلة المجاميع، وتحديد عنوان المخطوط، واسم المؤلف ؛ إذ الطالب يصعب عليه التمييز بين الاسم واللقب والكنية والنسبة إلى الجد أو البلد أو الحرفة. وقل ذلك عن تحديد نوع الورق، والتجليد وتحديد تاريخ النسخ .

٧ – لما كانت أغلب المخطوطات – باستثناء مخطوطات المكتبة الوطنية – غير معالجة، فإن المفهرسين يجدون صعوبة كبيرة في قراءة بعض المخطوطات التي لم تفتح أوراقها منذ مئات السنين، فهناك عوائق صحية تحول دون رغبة المفهرس والباحث عامة .

٨ – عدم تشجيع الجهات المسئولة عن العاملين في هذا الحقل، يعد عامل تثبيط للعزائم .

٩ – خلو المكتبات العامة والخاصة من الفهارس المنجزة للمخطوطات العربية في المراكز العلمية ، في العالم العربي، وفي بعض البلدان الأوربية، التي تمكنهم من الوقوف على النسخ الأخرى للمخطوطات الموصوفة، وكذلك المصادر

والمراجع التي تساعد على إعداد مداخل المؤلفين والعناوين.

١٠- عدم طبع الفهارس المنجزة في المكتبة الوطنية، وفي غيرها من الأماكن أمر محير، لأن بقاءها في أماكنها دون أن يستفيد منها الباحثون خارج الجزائر ، كأنها غير موجودة ، كما أن المفهرس في الجزائر يحتاج إليها فيما ينجزه من فهارس. وهذه واحدة أيضًا من الصعوبات التي يلقاها المفهرسون .

وللتغلب على بعض هذه العقبات نقترح:

١ - دعوة الجهات الرسمية في الدولة إلى إشاعة الثقافة التراثية بين عامة الناس وخاصتهم، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وإقامة ندوات وملتقيات فكرية حول المخطوطات في المراكز المختلفة ، ودعوة الخبراء في معهد المخطوطات (الهيئة المشتركة لخدمة التراث) ليقدموا خلاصة تجربتهم في الموضوعات المعالجة .

٢ - إنشاء مركز لإحياء التراث على غرار ما هو الحال في عدد من البلدان العربية، تقام فيه دورات تدريبية، حول الفهرسة والترميم والحفظ والتحقيق . وهذا هو السبيل الأمثل لتكوين الإطارات المدربة على الفهرسة العلمية الدقيقة . وهو ما تفعله بعض البلدان العربية .

٣ - دعوة مالكي المخطوطات في المراكز المختلفة إلى تقديم العون للباحثين ، قصد الكشف عن كنوز المعرفة التي تحتفظ بها مراكزهم، لفهرستها وكي يتمكن الباحثون من الانتفاع بها .

٤ - ضرورة طبع الفهارس المنجزة على اختلاف أنواعها، وتوزيعها على المراكز العلمية المعنية بالتراث في البلدان العربية والإسلامية، وكذلك في البلدان الغربية، وذلك في إطار التبادل العلمي، لأن ذلك يكون مدعاة لجلب الفهارس المنجزة في تلك البلاد.

٥ - المرجو من المكتبة الوطنية ووزارة الثقافة والاتصال العمل على تجميع هذا التراث المتفرق هنا وهناك وتوفير وسائل صيانته وحفظه في أماكن لائقة ، حتى تضمن له أداء وظيفته .

٦ - إدخال مادة علم المخطوطات في مناهج التعليم بمعاهد علم المكتبات، ليتعرف

الطلبة على قضايا المخطوطات، وإذا أمكن إنشاء دبلوم في الفهرسة .

٧ – القيام بمسح شامل لأهم المراكز التي تحتفظ بالمخطوطات ، ومحاولة جلب وسائل علاجها في مرحلة أولية، في انتظار مرحلة الفهرسة .

٨ – استخدام الوسائل التقنية الحديثة في الفهرسة ، كالحاسوب والأقراص المليزرة، وغيرها .

هذا ما أمكن جمعه من مادة حول جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات خلال أزيد من قرن ونصف، ولعل ما قدم في هذا البحث يعطي فكرة واضحة عن واقع مخطوطاتنا، للإخوة العاملين في حقل المخطوطات .

الهوامش

١ – لمعرفة المزيد من أسماء المراكز العلمية، ينظر بحثنا "مراكز المخطوطات في الجزائر – أماكنها ومحتوياتها". **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد : ٣٩، الجزء ١، ص ٢٢ .

٢ – **المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط** / محمد عبدالقادر أحمد، ص١٩١.

٣ – كما نقل العلماء الجزائريون في أثناء هجرتهم أيام الاحتلال إلى كل من تونس والمغرب وبعض البلدان العربية الأخرى ما تحتفظ به مكتباتهم من كتب ومخطوطات خوفًا من أن تطالها يد المستعمر، وبقيت هناك حتى اليوم .

٤ – **المخطوطات الإسلامية في المكتبة الوطنية**، نعيمة بن عاشور، وفتحية بونفيخة، ص ٧٨٣ .

٥ – **فهرس فانيان**، ص ٢، و**المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط**، ص ١٩٤ .

٦ – **فهرس فانيان**، ص٢، و**المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط**، ص ١٩٥ .

٧ – المرجعان السابقان .

٨ – **فهرس فانيان**، ص ٣ .

٩ – **فهرس فانيان**، ص ٣ . وينظر مقال : مخطوطات قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة، سنة ١٨٣٧م / جلالي

صاري، ص ١٥٣ .

١٠- **فهرس مخطوطات مكتبة آل يدر**، ص:ز.

١١- **مخطوطات مكتبة آل يدر**، ص : ح، **وتقرير عن المخطوطات في الجزائر/** مختار حساني، ص ٢ .

١٢- **مخطوطات مكتبة آل يدر**، ص: ح، **وتقرير عن المخطوطات في الجزائر/** مختار حساني، ص٢ .

١٣- قصر المدة الزمنية التي أنجز فيها البحث لم تسمح بالتنقيب عن كل الدراسات التي أنجزها المستشرقون حول مخطوطات الجزائر، ولاسيما تلك التي نشرت في مجلات غربية منذ أزيد من قرن .

١٤- ينظر: مراكز المخطوطات في الجزائر أماكنها ومحتوياتها: عبدالكريم عوفي، ص ٩.

١٥- تجنبًا للتطويل لم أشأ ذكر بعض أسماء المخطوطات التي وردت في الفهارس الموصوفة .

١٦- مقدمة مدير المكتبة الوطنية الجزائرية لفهرس فانيان، في طبعته الجديدة .

١٧- قدم محمد عبدالقادر أحمد وصفًا لهذا الفهرس في مقاله (المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط)، ص(١٩٥ - ١٩٧)، المنشور في **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الثامن عشر ، الجزء الأول ، سنة ١٩٧٢م .

١٨- دامت زيارتي ثلاثة أيام (٢٧ - ١٩٩٧/٩/٢٩م)، أنجزت خلالها بعض متطلبات هذا البحث .

١٩- ينظر مقدمة مدير المكتبة لفهرس فانيان في طبعته الجديدة، ص١، **والفهرس الوصفي للمخطوطات العربية ....** طاهر ابن سالم وآخرون، ص٥ .

٢٠- عندما ندعو إلى استكمال جوانب النقص في الفهرس، فإننا لانلغي عمل المؤلف الأصلي، إذ إن المواد التي تستدرك ترتب وفق طريقة معينة داخل النص، ليعرف القارئ أن هناك تصحيحًا في الفهرس .

٢١- تم ذلك في اللقاء الذي جمعنا بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم بقسنطينة، يوم ١٩٩٧/١٠/١٨م .

٢٢- بلغ إحصاء مخطوطات المكتبة الوطنية، سنة ١٩٩٣م (٣٤٩٨) مخطوطة . ينظر **المخطوطات الإسلامية في المكتبة الوطنية** ، ص ٧٨٢ .

٢٣- **ملاحظات حول الخزائن المخطوطة في تونس والجزائر والمغرب** ، ص ٣٠٠ .

٢٤- **الفهرس التحليلي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي في المكتبة الوطنية الجزائرية** ، نعيمة بن عاشور وأخريات، ص ٥٨ .

٢٥- السابق، ص ٦٠ .

٢٦- السابق، ص ٥٨ .

٢٧- المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط ، ص ١٩٨ .

٢٨- أذكر أن لجنة قد شكلت برئاسة أحمد طالب الإبراهيمي ، سنة ١٩٦٩م، وأوكلت إليها مهمة جمع المخطوطات وتسجيلها ، و كلف مدير المكتبة الوطنية رابح بونار وجلول بدوي - و هما باحثان في قسم المخطوطات - بوضع فهرس شامل بالعربية، وتم إنجاز الجزء الأول منه، على أن يطبع في سنة ١٩٧٢-١٩٧٣م، ولم تتم المحاولة .

٢٩- **الفهرس التحليلي للمخطوطات العربية...**، نعيمة بن عاشور وأخريات، ص٥٢، والمكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط، ص ١٩٣ .

٣٠- مخطوطات مكتبة ابن رحال اقتنتها المكتبة الوطنية عن طريق الشراء من باريس، سنة ١٩٨٤م، بمناسبة الذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة التحريرية الكبرى . **الفهرس التحليلي**، نعيمة بن عاشور وأخريات، ص ٤٣ .

٣١- **الفهرس الوصفي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي في المكتبة الوطنية**، طاهر ابن سالم وآخرون، ص ٦، ٦١ .

٣٢- **الفهرس الوصفي**، طاهر بن سالم وآخرون، ص ٦، ٦١، **والمخطوطات الإسلامية في المكتبة الوطنية** ، ص٧٨٨.

٣٣- تنظر المجالات المعرفية المذكورة في الفهرس اللاحق، برقم : ٧ .

٣٤- لقد أشار الطالبان أيضًا في الدراسة النظرية إلى جملة من الصعوبات التي اعترضتهم في إنجاز الفهرس .

٣٥- تنظر العناصر المعتمدة في الفهرس السادس، لنعيمة بن عاشور وأخريات .

٣٦- زودتني لمياء بودوحة ببيانات هذا الفهرس عن طريق الفاكس يوم ١٩٩٧/١٠/٢٨م، وهي مشكورة على هذا الصنيع العلمي .

٣٧- ينظر : **المدن السبع في وادي ميزاب**، ص٦، وميزاب بلد كفاح ، ص ١٣، **وكتاب الجزائر**، ص ٢٢٦ .

٣٨- **ميزاب بلد كفاح**، ص ٤٦ .

٣٩- ينظر : **تقرير حول المخطوطات في الجزائر، لنا**، ص ١٣، **وجمعية التراث بالقرارة ومشروعها الطموح لحماية المخطوطات في منطقة وادي ميزاب، لنا** أيضًا (مخطوط)، ص ٧ .

٤٠ - عنوان الجمعية : جمعية التراث، بالقرارة، ولاية غرداية ص . ب ١٩/٤٧١١٠ - الجزائر .

٤١- ينظر **فهرس مخطوطات مكتبة إروان**، ص : ك؛ وسنشير إلى عناصرها في وصف فهارس الجمعية لاحقًا .

٤٢- ينظر على سبيل المثال (**فهرس مخطوطات مكتبة "إروان" بالعطف**)، ص: م، ن .

٤٣- **فهرس مخطوطات (إروان)**، ص : ل .

٤٤- ينظر الفهرس الموصوف، ص٣، **وفهرس مخطوطات مكتبة آل يدّر**، ص: ح .

٤٥- كلمت الأمين العام للجمعية في غرداية هاتفياً مستفسراً عن سبب عدم إيداع نسخ من الفهرس في المكتبة الوطنية، قصد الانتفاع بها، فرد قائلاً : قدمنا للمكتبة أعداداً منها، لكنها لم توضع تحت تصرف الباحثين بعد .

٤٦- أورد مفهرسو الجمعية في فهارسهم المنظومات الشعرية التي تخص المجالات المعرفية في العلوم الإنسانية والطبيعية، في مجموعة مستقلة، تحت اسم (الشعر والنظم) وهي تشمل مجالات معرفية متعددة .

٤٧- زيادة أضفتها من عندي ، ولم ترد في الأصل ، لأن المحاضرة بمثابة فهرس توصيفي.

٤٨- ينظر بشأنها **فهرس مخطوطات مكتبة آل يدّر**، ص : ز .

٤٩- **فهرس مخطوطات مكتبة آل يدّر**، ص:ح .

٥٠- السابق .

٥١- زيادة من عندي، وهي لم ترد في الأصل.

٥٢- ذكر المفهرس أيضًا كتب الشيخ طاهر المطبوعة .

٥٣- أحد الوجوه الثقافية في مدينة بسكرة، ومن هواة جمع الكتب التراثية، ولاسيما المخطوطات والكتب النادرة . وهو يعمل

مستشارًا في المركز الثقافي ببسكرة .

٥٤- مختار بوعناني من العلماء المهتمين بالتراث المخطوط، وقد حقق عدداً من الكتب والرسائل المخطوطة في السنوات الأخيرة . ولما طلبت منه إفادتي ببعض المعلومات المتعلقة بفهارس وقوائم مخطوطات الزوايا والمكتبات التي يتردد عليها في الغرب الجزائري، قصد استكمال متطلبات هذا البحث لأهميته، قام في ظرف وجيز بإنجاز هذا الفهرس، وهو مشكور على هذا الصنيع. وقد شاء القدر أن نلتقي يوم ١٨/١٠/١٩٩٧م، في جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة في مناقشة رسالة ماجستير، وسلّم لي نسخة من الفهرس، واقترحت عليه أن يهذّبه ويعدّه للطبع ، فواعد بتنفيذ الاقتراح قريبًا .

٥٥- سيأتي الحديث عن هذا البحث لاحقًا في المتن .

٥٦- الأدلة المدروسة تقدم وصفها مع مجموعة وادي ميزاب، وهي (فهرس مكتبة آل يدّر، وفهرس عمي سعيد، وفهرس البكري)، وبشأن المجالات المعرفية التي تمثلها المخطوطات المذكورة في البحث، ينظر وصفنا لهذه الفهارس في المتن أعلاه .

٥٧- لعل مصلحة المخطوطات في الوزارة هي التي أعدتها .

٥٨- أفادني المؤلف - أطال الله عمره - أنه قدم الجزأين الثالث والرابع إلى المطبعة في الأردن، ويعكف حالياً على تصحيح الجزء الخامس . ولعل الأجزاء تكون قد صدرت . (رسالة منه إليَّ مؤرخة يوم ٣١/٣/١٩٩٧م) .

٥٩- راجع تقريرنا حول المخطوطات في الجزائر الآتي في هذه المجموعة ، للوقوف على أسماء بعض المكتبات ومخطوطاتها بالأرقام .

٦٠- أصل البحث محاضرة ألقيت في الملتقى الأول حول (قراءة التراث الأدبي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة) الذي نظمه معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة سطيف، أيام ٢٢ - ٢٤ مايو ١٩٩٥م . وقد نقحت وأضيفت إليها مادة جديدة .

٦١- وفاءً لأهل الفضل والعلم، أشير إلى أن هذا البحث ، قد تفضل محمد هيشور

أستاذ الحضارة الإسلامية بإهدائه إليّ يوم ٢٢/٤/١٩٩٦م .

٦٢- كان المتوقع الفراغ من هذا الفهرس وتقديمه للطبع قبل خمس سنوات، لكن ظروف حالت دون ذلك، والحمد لله فقد شرعت في استكمال متطلبات الفهرس بعد أن يسر الله الأمر .

٦٣- ينظر بشأن مخطوطات الزاوية : تقريرنا حول المخطوطات في الجزائر، المقدم في الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي .

٦٤- طالب في السنة الرابعة ، بمعهد اللغة العربية وآدابها في جامعة باتنة . و قد تخرج في نهاية يونيو ١٩٩٧م . وهو من المولعين بجمع المخطوطات .

٦٥- زرت وزارة الشئون الدينية يوم ٢٩/٩/١٩٩٧م، وقد تعذر الاتصال برئيس المديرية ، لكونه في زيارة مع الوزير، وبنائبه لانشغاله باجتماع في الوزارة، و بالقائم على المكتبة لظروف مرضية . وكتبت رسالة إلى المعنيين قدمت فيها الغرض من زيارتي، واقترحت عناصر البطاقة التوصيفية لاستكمال التوصيف، كما عرضت اقتراحًا آخر ، وهو الإسهام في إنجاز فهرس مخطوطات المديرية، وطلبت معلومات حول مخطوطات المديرية، للحاجة الماسة، لاستكمال متطلبات هذا البحث، وتركت عنواني ورقمي الفاكس والهاتف على أمل أن أتلقى خبرًا يفيدني في ما ذكرته، ولكن لحد كتابة هذا الكلام (٢٩/١٠/١٩٩٧م). أي بعد شهر، لم أتلق أي رد .

٦٦- **مشكلة الفهرسة ، البحث عن حل :** عصام محمد الشنطي، بحث ألقي في الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، ص٢ .

٦٧- يوجد ضمنها أربعة أعمال لباحثين عرب غير جزائريين، وهم : عبدالكريم الدجيلي، وفرحات الجعبيري، وهلال ناجي، ومحمد عبدالقادر أحمد .

٦٨- **المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي**، ص ٢٠٦ .

٦٩- **قضايا التعريف بالمخطوطات، الجهود المبذولة وأوجه القصور** : عصام محمد الشنطي، ص ١٣١ .

٧٠- أخبرني مدير المكتبة الوطنية أخيرًا أن الوزارة تعد مشروعًا لإنشاء مركز يعنى بالتراث المخطوط . نأمل أن يتحقق ذلك قريبًا .

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

- **البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية** : الشيخ فرحات الجعبيري، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (١٦ – ٢٠م)** : أبو القاسم سعدالله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- **تاريخ الخزائن الخاصة في أولف** "مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس" : الحمدي أحمد، معهد الحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، ١٩٩٤م .
- **تقرير حول المخطوطات الجزائرية** : مختار حساني . أوراق في مكتب مدير معهد علم المكتبات ، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- **تقرير حول المخطوطات في الجزائر** : عبدالكريم عوفي، بحث ألقي في الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي في القاهرة ، يومي ١٨ – ١٩/١٢/١٩٩٦م . (مخطوط على الحاسوب) .
- تقرير عن المخطوطات في الجزائر وأماكن تواجدها : نوار جدواني، مجلة **المورد**، العدد : ٥، العدد : ١، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
- **فهرس مخطوطات مكتبة "إروان" دار التلاميذ بالعطف** : جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- **فهرس مخطوطات مكتبة آل يدّر**، جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، ١٩٩٤م.
- فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ التهامي صحراوي بباتنة (الأوراس) : عبدالكريم عوفي ، مجلة **المورد**، المجلد ١٨، العدد : ٣، وزارة الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .
- **فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ عمي سعيد** : جمعية التراث بالقرارة، غرداية، الجزائر، ١٩٩٤م .
- فهرس مخطوطات نظارة الشؤون الدينية بباتنة : عبدالكريم عوفي ، **مجلة معهد المخطوطات العربية** بالقاهرة، المجلد: ٣٩، الجزء : ١، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- **فهرس موضوعي لمخطوطات المركز الثقافي الإسلامي بقسنطينة**، (مذكرة ليسانس في علم المكتبات) : براهمية عمار، كساسرة محي الدين، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، ١٩٩٠م .

- **فهرس موضوعي لمخطوطات جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة،** (مذكرة ليسانس في علم المكتبات) : مزلاح رشيد ، وكريم مراد، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، ١٩٨٩م .
- **فهرس موضوعي لمخطوطات مكتبة القطب بيني يزجن** (مذكرة ليسانس في علم المكتبات): عاشور يحيى، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، ١٩٨٧م .
- **الفهرس الوصفي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي في المكتبة الوطنية (الأدب)، القسم الثالث** - (مذكرة ليسانس في علم المكتبات والتوثيق) : بلقاسم سليمة، وحائد شفيقه، معهد علم المكتبات والتوثيق، جامعة الجزائر، ١٩٩٥م .
- **قائمة المخطوطات بالمكتبة المركزية في جامعة قسنطينة** : مصلحة الفهرسة، (مخطوط)، يونيو ١٩٩١م .
- قضايا التعريف بالمخطوطات "الجهود المبذولة وأوجه القصور" : محمد عصام الشنطي، **مجلة معهد المخطوطات العربية** بالقاهرة (عدد خاص بندوة العيد الذهبي)، المجلد : ٤٠، الجزء ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- **كتاب الجزائر** : أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م .
- المخطوطات الإسلامية في المكتبة الوطنية الجزائرية التي لم يشملها الضبط البيبليوغرافي : فتيحة بونفيخة، ونعيمة بن عاشور، **مجلة الموافقات، مجلة المعهد الوطني لأصول الدين**، العدد ٤، السنة الرابعة، الجزائر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- مخطوطات الجزائر : هلال ناجي، **مجلة المورد**، المجلد ٥، العدد ٣، وزارة الإعلام العراقية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
- **المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠، بتوات وقرارة، وتدكلت** : مقدم مبروك (مخطوط)، مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، ١٩٨٧م .
- **المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي** : مجموعة من الأساتذة ، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٠م .
- **مخطوطات العلوم بمكتبات وادي ميزاب "محاولة بيبليوغرافيا"** : محمد بابا عمي، بحث قدم للندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، برأس الخيمة تحت

إشراف جامعة حلب الفتية (مخطوط)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

- مخطوطات مدينة قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة، سنة ١٨٣٧م : جلالي صاري، **مجلة الثقافة**، السنة الرابعة عشرة، عدد ٨٠، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **المدن السبع في وادي ميزاب** : إبراهيم محمد طلاي، جمعية التراث ، القرارة، غرداية، الجزائر، (د . ت) .
- مراكز المخطوطات في الجزائر : عبدالكريم عوفي، **مجلة معهد المخطوطات العربية** بالقاهرة ، المجلد ٣٩، الجزء ١، القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- **ميزاب بلد كفاح "دراسة تاريخية اجتماعية"** : إبراهيم طلاي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٧٠م .
- **مشكلة الفهرسة البحث عن حل** : محمد عصام الشنطي، بحث ألقي في الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي بالقاهرة، يومي ١٨ - ١٩/١٢/١٩٩٦م، (مخطوط) .
- المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط : محمد عبدالقادر أحمد ، **مجلة معهد المخطوطات العربية** بالقاهرة ، المجلد ١٨، الجزء ١، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- **من مراكز المخطوطات في الجزائر "زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة نموذجًا"**: عبدالكريم عوفي، (مخطوط على الحاسوب).
- **مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري ومخطوطات بعض الأعلام الجزائريين في مكتبة الأسد الوطنية السورية "دراسة وصفية تحليلية"** (مذكرة ليسانس في علم المكتبات) : عبدالغني عبدالرزاق، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، ١٩٩٥م .
- ملاحظات حول الخزائن المخطوطة في تونس والجزائر والمغرب : عبدالكريم الدجيلي، **مجلة المورد**، المجلد ٣، العدد ٤، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٤م.
- **Cataloge general . des manuscrits de la Bibliottheqe Par Fagnan** 2e edition . Bibliotheque Nationale D, Algerie - 1995 .
- مقابلات شخصية مع أصحاب المكتبات والزوايا ورجال العلم، وأحاديث إذاعية وحصص تلفزيونية، وملتقيات، وندوات فكرية ووطنية .

مقالة في مرض الشقفة ومعالجته
للطبيب موفق الدين ابن العين زربي المتوفى (٥٤٨هـ)

محمد فؤاد الذاكري

حلب - سورية

تقديم

المؤلف : موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور العين زربي [١] ، المولود في مدينة (عين زربة) [٢] وبها نشأ وترعرع والمتوفى في القاهرة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ولا يعرف تاريخ ولادته بالتحديد .

يذكر مؤرخ الأطباء (ابن أبي أصيبعة) بأنه [أقام ببغداد واشتغل بصناعة الطب بالعلوم الحكمية ومهر فيها وخصوصاً في علم النجوم] [٣]، وتلقى علومه الطبية وغيرها ... بإشراف عدد من العلماء والأطباء المشهورين في زمانهم أمثال : الطبيب الحاذق (ابن جزلة البغدادي) المتوفى (٤٩٣هـ) طبيب الخليفة المقتدي بالله [٤]، والطبيب المتميز (ابن هبة الله) المتوفى (٤٩٥هـ) طبيب الخليفة المستظهر بالله [٥] .

كما أن بيمارستانات بغداد أمثال : المقتدري والعَضُدي [٦] كانت تقوم بدور معاهد لتدريس الطب بالإضافة إلى كونها مشافي عامة قد هيأت له فرصة طبية للتدريب واكتساب الخبرة .

هاجر بعدها (ابن العين زربي) إلى القاهرة عاصمة الفاطميين حيث [خدم الخلفاء المصريين وحظي في أيامهم وتميز في دولتهم] [٧]، واكتسب شهرة كبيرة، وقد [صنّف بديار مصر كتباً كثيرة في صناعة الطب وفي المنطق وغير ذلك من العلوم][٨] . وقد اشتهر من تلامذته الطبيب المؤلف [ابن جُميع] المتوفى (٥٩٤هـ) [٩] .

كتبه وتآليفه :

قام (ابن العين زربي) بتأليف وتصنيف كتب عدة ، البعض منها مفقود مثل : الرسالة المقنعة في المنطق - شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس - مجرّبات في الطب على جهة الكنّاش - رسالة في

السياسة - رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل وتعاق الجاهل - مقالة في الحصى وعلاجه [١٠] .

أما مؤلفاته الباقية :

- الكافي في صناعة الطب : وهو من أكبر كتبه وأجلها، وتوجد منه نسخ خطية موزعة في مكتبات العالم [١١] .
- رسائل هندسية : وتوجد منه نسخة خطية في الخزانة المعلوفية [الجامعة الأمريكية - بيروت] [١٢] .
- فيما يحتاج الطبيب من علم الفلك : وتوجد نسخة في مكتبة الدولة الملكية [برلين - ألمانيا] [١٣] .

وصف المخطوط المحقق :

العنوان : مقالة في المرض المشهور اسمه بالشقفة عند المتأخرين وبعض المتقدمين ومعالجته، وعدد أوراقه ثمانية من الحجم المتوسط، وقياس الورقة [١٨٥×١٤٠ملم] ومسطرته ١٦ سطرًا في الورقة الواحدة، أما نوع الخط فهو نسخي جميل ولون الورق أصفر شاحب ولون الخط بني داكن ؛ بينما رءوس العبارات وعناوين الفصول مكتوبة بمداد أحمر والحالة العامة للمخطوط جيدة، ويقع ضمن مجموع طبي قديم يضم مجموعة من الأراجيز الطبية على الترتيب التالي :

١ - أرجوزة الشيخ ابن سينا في الطب علمًا وعملاً .

٢ - أرجوزة في تعريف النبض .

٣ - أرجوزة في أمراض جفن العين .

٤ - أرجوزة الشيخ الرئيس أبو علي الحسين ابن سينا في تدبير الفصول الأربعة.

٥ - أرجوزة في عدد العروق المفصودة للشيخ شمس محمد بن مكي بن دمرداش الدمشقي الشاهد، المتوفى (٧٣٢هـ) [١٤].

٦ - أرجوزة للشيخ ابن سينا في التشريح .

٧ - مقالة في الفصد لأمين الدولة وهي عشرة أبواب، والمقصود به أمين الدولة أبو الحسن هبة الله ابن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم البغدادي المعروف بابن التلميذ ، المتوفى (٥٦٠هـ) [١٥] .

٨ - رسالة في المرض المسمى بالشقفة، وتقع في آخر المجموع يتبعها ورقتان أخيرتان رقم (٩٥ - ٩٦) محشوتان بأبيات شعرية لا علاقة لها مباشرة

بمحتويات المخطوط الأخرى .

وعدد أوراق المجموع (٩٦) ورقة، كتبت بقلم الناسخ [يوحنا الهديابي] عام [١٠٦٤هـ/ ١٦٥٤م]، كما نجد على الورقة الثانية عدة تمليكات مكتوبة على الهامش وبقلم مختلف عن قلم المخطوط، تعبّر عن انتقال ملكية المجموع بين عدة أشخاص هم:

١ - ملكه الفقير إليه تعالى [محمد العطار] في ١٠ محرم سنة [١٣٧٧هـ] .

٢ - طالع فيه وتأمل معانيه واستفاد منه وكتب بعضًا منه ، وأنا العبد الداعي السيد [محمد أمين الأسطواني] في سنة [١٢٢٩هـ] .

٣ - ملك العبد الفقير عبدالغني ابن شيخ محمد سعيد فضل الله الطبيب سنة [١٢٦٢هـ] .

والنسخة المعتمدة في التحقيق فريدة، وتحمل الرقم العام [٥٠٦٤] في دار الكتب الظاهرية [دمشق]، وقد جهدت في البحث عن نسخة أخرى منه لكنني لم أوفق وأثناء التحقيق حافظت على الشكل العام للنص كما ورد مع إبراز عناوين الفصول وإفرادها، وقمت بشرح المصطلحات الطبية والفنية والنباتية في الحاشية ، وأثبت رقم كل ورقة في المتن داخل قوسين ، ولعلي أشارك بذلك في خدمة التراث الطبي الإسلامي وإبراز روائعه والتعريف بها، والله أدعو أن يتقبله مني وينفع به إخواني الباحثين ، إنه سميع مجيب .

دراسة وتقييم [مقالة في مرض الشقفة] :

الشقفة أو الخزفة أو الإسفنجة ، تسميات قديمة شائعة في بلاد الشام والعراق ومصر وخراسان لمرض جلدي شائع هو [الجمرة] CARBUNCLE (١٦) .

وقد اعتمد المؤلف في وصفه السريري المسهب على الملاحظة المدققة، كما وصف ببراعة الأسباب المولدة مع بيان الاختلاطات الناجمة عنه، وخصص الفصل الأخير لبيان المعالجة والمداواة، وتستوقفنا نقطة مهمة مفادها أن المؤلف يخالف طريقة العلاج التي اعتمدها الطبيب اليوناني الشهير [جالينوس] وينتقدها مظهرًا عدم جدواها العملية، ويقدم علاجًا بديلاً نابعًا من تجربته الطبية الخاصة، وتوضح هذه المقالة الدرجة العالية المتقدمة لمعالجة الأمراض الجلدية في

التراث الطبي الإسلامي، وهي فريدة في موضوعها .

ونلاحظ أن المعالجات الواردة دوائية بحتة تعتمد على الأعشاب والعقاقير، ولا يغفل المؤلف بأسلوب منطقي أثر الظروف والبيئة التي يتأثر بها الوضع الطبيعي للجسم، محاولاً الوصول لأصل وسبب العلة وتقديم المعالجة الأفضل لفائدة المريض .

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي،

مقالة ألفها الشيخ أبو نصر ابن عدنان ابن نصر ابن العين زربي الطبيب في المرض المشهور اسمه بالشقفة عند المتأخرين وبعض المتقدمين ومعالجته والعون بالله .

الفصل الأول : في ذكر الأوصاف العامية والخاصية لهذا المرض .

اعلم أن هذا المرض الذي شاهدناه يعرض في أكثر البلاد مثل أرض الشام والعراق وخراسان ومصر وأرض المغرب ويسمونه [١٧] بالشقفة ، وقد يسمونه [١٨] خَرَفَة [١٩] . وقد يسمى بأرض المغرب إسفنجة، وإنما هو ورم حار ملتهب إلى الصلابة حيث غار في عمق اللحم وأكثر عروضه في الظهر وخاصة بين الكتفين، وربما ظهر تحت إحدى الكتفين، وربما ظهر فوق القطن [٢٠] وقلما في الرقبة، وربما ظهر في النادر في الفخذين، وسنذكر علة كونه في هذه المواضع .

وهو ورم يبتدئ صغيراً كالدمل [٢١]، ثم ينفش [٢٢] ويتبين ما حوله ، ثم تنفقئ تلك البثور [٢٣] ويخرج منها [/٨٨و] مادة صديدية [٢٤] ويشتد فيه الوجع لسوء المزاج[٢٥] وتفرق الاتصال بالتمدد ويعلو[٢٦] الورم ويحمر إلى كمُودة [٢٧] .

فإن كان خبيثًا [٢٨] قتالاً مال إلى السواد، أو أسود بعض فم [٢٩] الجلد وما تحته وينفجر ثم يرشح منه، ويبرز منه مادة صديدية تخرج من أماكن شتى ولايزال الأمر يتزايد إلى أن يبلغ المنتهى في أول زمان التزايد أو فيما بعد ذلك، وربما قتل في الابتداء ، فإن بلغ المنتهى واستولت الطبيعة[٣٠] وانضجت المادة [٣١] سقط من اللحم ما تعفن ثم عادت الطبيعة فتنبت لحمًا خلفًا عما [٣٢] ذهب واندملت القرحة [٣٣]، وقد يتفق في بعض المرضى أن يبلغ المنتهى ولا تُصلح القرحة بسبب ما فيه [٣٤] من

العفن الخبيث وبخاره قد أفسد مزاج [٣٥] القلب وخاصة إذا كان محاذيًا له، فتعفن أخلاط [٣٦] القلب أولاً ثم يحدث من ذلك حمى ردية [٣٧] تشبه حميات الوباء [٣٨] مختلطة مختلفة الأخذ والكرات، ويتبعها أعراض صعبة من القلق والسهر والعطش، وربما يتبعها غشي [٣٩] [/٨٨ظ] وتواتر النفس، وإذا اشتدت هذه الأعراض هلك المريض .

وقد يعرض لكثير منهم الخلفة [٤٠] والنزل[٤١] وذلك لفساد الأخلاط وعَفَنها وتخلي القوم عن إصلاحها وتدبيرها فتندفع هابطة من العروق إلى الأمعاء بدفع قسري لاطبيعي، ويكونُ بذلك هلاك المريض في الأكثر.

الفصل الثاني : في الأسباب المولدة لهذا المرض .

إن السبب المولد لهذا المرض السابق، إنما هو فساد الغذاء في الهضم الثاني والثالث ، وذلك أن أبداننا لما كانت محتاجة بسبب تحللها إلى الغذاء ، وكان الغذاء يحتاج أن يكون شبيهًا بما تحلل ولم يكن في الممكن على الدوام أن يصير الغذاء في الهضم الثاني والثالث على الغاية مما يحتاج إليه، بل قد تبقى فيه بقية منافية لما يحتاج إليه ذلك ، أما لتقصير القوة أو من جهة مادة الأغذية أو لمجموعها، وقد يدخل في ذلك أسباب أخرى [٤٢] من أحوال الهوى والحركة والسكون والسن والأحداث النفسانية وهيئة المزاج الأصلي فإذا [/٨٩ و] اتفقت الأسباب في الهضم الثاني والثالث مهيئة لأن تبقي في الدم فضلة [٤٣] صفراوية فإنها إذا تمادت أحدثت في البدن الأمراض المختصة بغلبة المرار مثل: حُمى الغب [٤٤] والنملة [٤٥] وغير ذلك من الأمراض الصفراوية.

وإن كانت بلغمية أحدثت الأمراض المختصة بالبلغم مثل: الحُمَّى النائبة [٤٥]* والورم البَلغمي [٤٦] والاستسقاء اللحمي[٤٧].

وإن كانت سوداوية أحدثت السرطان[٤٨] والجُذام [٤٩] والأمراض المختصة بالسوداء، وإن كان الدم الذي يتولد غليظًا محترقًا تخالطه مائية رقيقة تولد منه الجمر [٥٠] الذي ذكره أبقراط [٥١] وجالينوس[٥٢] وهذا المرض المسمى شقفة، وذلك أن هذا الفضل [٥٣] إذا كثر دفعته الأعضاء [٥٤]، الباطنة إلى ظاهر البدن وأكثر ما يندفع إلى جهة الخلف لأن هذه الجهة من البدن أكثر عضلاً ولحمًا وأعظم سمكًا وأكثر

عروقًا، فالطبيعة تدفع الفضلة إليها [لأنها][٥٥] أقرب وأسهل، وجهة القدام بالعكس من ذلك وهذا المرض أكثر ما رأيته يعرض لأصحاب الأمزجة السوداوية [٨٩/ظ] ولمن كان كثير الفكر ولمن هو في سن الكهول، ويعرض للمشايخ ولكن في الأقل، وما رأيت عرض هذا المرض لأحد من الصبيان والأطفال وبذلك يوجب القياس[٥٦] .

وقد تعين مع ما قلنا في توليد الأمراض سالف التدبير من استعمال الأغذية المحرقة للدم[٥٧]، وبشرب الأنبذة[٥٧]* العكرة والغليظة، وبالجملة سائر ما يولد السوداء .

الفصل الثالث : في تحديد هذا المرض.

لما كانت الحُدود [٥٨] إنما تكون من الأشياء المُقومة لذات الشيء، وكانت الأسباب للذوات الجسمانية أربعة : مادة الشيء وصورته وفاعله وغايته، كانت الحدود قد يظهر فيها صورة الشيء ومادته في الأكثر وربما ظهر فيها الفاعل والغاية، والكلام في ذلك يطول عما نحن بسبيله وقد تكلمنا في صورة هذا المرض وأعراضه وخواصه وفي أسبابه، سهل الآن علينا أخذ الحد لهذا المرض .

فنقول إن حد هذا المرض ورم حار ملتهب خبيث إلى الصلابة، غائر في عمق اللحم متبثر السطح متولد من دم سوداوي - يخالط صديدًا [٥٩]، رقيقًا [٦٠] فهذا أكمل [٨٩/و] الحدود لهذا المرض .

فقولنا ورم حار هو الجنس الأقرب وقولنا ملتهب فصل يفصله عن الورم الحار الغير ملتهب، وقولنا خبيث فصل يفصله عن الورم الفلغموني [٦١] الذي مادته مادة طيبة أو مادته فيها عفن ليس بخبيث ، لأن هذا المرض مادته عفنة خبيثة من جنس الطواعين[٦٢] فلذلك صار قاتلاً في الأكثر ، وكذلك قولنا غائر في عمق اللحم مُتبثر السطح، وقولنا متولد من دم سوداوي ليظهر في الحد مادته المقدمة له ، فهذا ما نقوله في حدِّ هذا المرض .

الفصل الرابع : كلام كلي في مداواة هذا المرض .

أقول معلوم أن القانون في علاج كل مادة منصبة ، أن تستفرغ بالجذب إلى الجهة المخالفة فيجب أن يُنظر في هذا المرض فإن كان ظهر في أعالي الظهر فالصواب أن يُفصد [٦٣] في الصافن [٦٤] في الجهة التي إليها المرض أميل .

فإن كان في الوسط بين الكتفين على السواء فافصد الصافن الأيمن ، فإن لم يتهيأ فصد الصافن [/٩٠ ظ] فافصد الأكحَل [٦٥] من الجهة المخالفة للمرض، وإن كان في الوسط فالأكحل اليمين، ولتكن ضربة الفصاد واسعة ويكثر خروج الدم لاسيما إن كان غليظًا عكرًا، وإن عاودت بالتثنية[٦٦] بالفصد في اليوم الثاني إن قضت الدلائل وساعدت القوة، وبالجملة يجب أن تستكثر من إخراج الدم ولا يبلغ الغاية القصوى لئلا تُنهك القوة فإن المرض مزمن بطيء البرء، وناول المريض من الأغذية ما يُلطف ويقوي القلب من شراب الحماض [٦٧] مع شراب النيلوفو [٦٨] والسكنجبين الساذج[٦٩] والرّماني بالماء البارد، وإن كان الوقت والفصل باردًا فبالماء الحار، ثم بعد الفصد يجب أن تجيد النظر فيما ينبغي أن يوضع من الأدوية واللطوخات [٧٠] والأضمدة[٧١] على المواضع .

فإنك تعلم أن القانون في مداواة الأورام وخاصة الحارة، الردع بالأدوية المبردة والقابضة ، لكنك إن ردَعت هذه المادة الخبيثة وخاصة إذا كانت في محاذاة القلب عكستها إلى داخل وقد ازدادت [٧٢] شراً فلا يؤمن أن يموت فجأة، وإن أنت جعلت عليها الأدوية المرخية والمنضجة وخاصة في أول الابتداء أعنت على انجذاب المادة وازداد عفنها فعظمت البَلية واشتد كربُ المريض ، وإن جعلت عليها الأدوية والضمادات المحللة، حرارتها زائدة على مقدار حرارة البدن فهي بحرارتها تجذب المادة فلا يفي ما تحلل [منها] [٧٣]، ما يحدث، فما دواء هذه الحيرة؟ فلما تفكرت في هذه الوجوه بالطريق القياسي رأينا أن أضع الأدوية الرادعة حول المرض على بعد مثل: الصَندل[٧٤] والماميثا[٧٥] والحُضض[٧٦] والقاقيا [٧٧] وأقماع قشر الرمان [٧٨] محلولة بماء الورد وماء عنب الثعلب[٧٩] وماء لسان الحمل [٨٠]، وأضع على نفس المرض في أول يوم وثاني يوم الشمع الأبيض محلولاً بدهن الورد، ثم أنتقل بعد ذلك بأن أحل الشمع بدهن البنفسج ثم أتدرج بعد ذلك بأن أضيف [/٩١ ظ] إلى الشمع ودهن البنفسج، البنفسج نفسه المسحوق مع دقيق الخطمي[٨١] فإذا حدَست[٨٢] أن زمان الابتداء قد انصرم وحَصلَت [٨٣] في زمان التزيد واضطررت إلى الضمادات

واللبايخ[٨٤] المنضجة، وقد تقدم لنا التلويح في القول إن الأدوية المنضجة تزيد في العفن ونحن مضطرون إليها في هذا الوقت، فيجب أن نحتال بأن نجعل الأدوية المنضجة فيها تحليل لطيف غير جذاب فإياك أن تعتمد على مثل دقيق الحنطة [٨٥] المطبوخ بالماء والزيت، ولا يُغلطك قولُ (جالينوس) في أنه من أبلغ الأدوية المنضجة في المواد غير الخبيثة التي [فيها] [٨٦] الحرارة الغريزية[٨٧] باقية على صورتها، فإن (جالينوس) إنما اعتمد عليه في الإنضاج بطريق قياسي، وذلك أن مزاج حرارة الحنطة ملائمة لحرارة بدن الإنسان وفي دقيقه لزوجة وخاصة إذا طُبخ بالزيت، وذلك أن حرارة الزيت عنده معتدلة بإضافتها إلى مزاج الإنسان وفيه لزوجة، فإذا طبخ دقيق الحنطة وخاصة الدقيق النقي الخالي من النخالة من الحنطة المصمغة الكريمة [/٩٢ و] صارَ دواءً لزجًا حرارته معتدلة فإذا ضُمد به العضو الذي انصبَّت إليه مادة سدَّ مساحَهُ ومنعَ ما ينفشُّ من الحارِ الغريزي فانعطفت الحرارة في العضو فاشية[٨٨] في أجزائه متحركة في جهاته وهي بخارية فأنضجت المادة ونضرب في ذلك مثالاً، فيما ينضج بالطبخ من خارج.

فإن اللُحمان [٨٩] إذا جُعلت في القدور وغُمت [٩٠] وسُدَّت أوصالها بالعجين أو بالفطير [٩١] بحيث يرجع البخار ينعطف إليها ولا يتحلل كان أسرع لنُضجها، وهذا المرض مادته عفنة خبيثة، وقد أضعفت الحرارة الغريزية [٩٢] التي في العضو وقد بين (أرسطو طاليس)* أن الحرارة الغريبة[٩٢]* تنفي الحرارة الغريزية وتفشها وتبيدها، فإن أنت وضعت على هذا المرض دقيق الحنطة المطبوخ بالزيت أو ما شاهدته يعتمد إليه عامة الجرايحيين [٩٣] من لبيخةٍ يطحنوها من دقيق الخبيز [٩٤] المسحوق والبَصل المسلوق ووسخ طحين السمسم وربما جعلوا فيها دقيق القمح ثم يكمرون [٩٥] العضو بكثرة ما يجعلون منها عليه، ويجعلون من فوق ذلك الخرق [٩٦] واللفائف [٩٧] كل ذلك لتخيلهم أن ذلك يُسرع بالنضج ويمكنهم من العلاج، فإنهم إذا فعلوا مثل ذلك سددوا مسام العضو وأعدموه التحلل والتنفس، فانعطفت الحرارة الغريبة المعفنة إلى العضو وتحركت في جميع جهاته فعفنت اللحم، وعظم المرض وازدادت البَليّة وهم في كل يوم

يجدون المرض يَعظم ويتفاقم ويعتقدون أن ذلك من طباع المرض وهم مُكبون مجتهدون أن يضعوا عليه كل مُنضج ولزجٍ ومُرْخٍ .

فلما تفكَّرتُ في ذلك ، رأيت أن أضرب عن هذا الطريق وأرفضه رفض الخايف من الهلكة وأن أعتمد على ما يجمع مع الأنضاج التحليل ورأيت أن أوفق الأضمدة في هذا الوقت أن آخذ خبز الخشكار (٩٨) بسبب مافي النخالة (٩٩) من التحليل والجلاء وأعجنه بالماء الحار عجنًا محكمًا ثم أرفعه في قدر وأطبخه بالماء طَبخًا مُحكمًا ثم ألقي عليه في آخر طبخة من الخمير (١٠٠) مقدار السُدس لما رجوتُ في الخمير من التحليل والتلطيف بما فيه من الحموضة والملح ثم ألقي فيه من الدهن (١٠١) أما [/٩٣ و] دهن البنفسج إذا كانت الحرارة ملتهبة أو دهن الورد إنْ رأيت وجهًا لتسكين المرض والألم وبعض الردع، فإذا تحكم طبخها وضعتها على العضو وهي إلى الفتور أقرب وأجعل من فوقها خرقة كتان جامعة ولا أكمد العضو بالعصائب (١٠٢) بل أتركهُ بما عليه من الخرقة لا غير .

فلما حررت (١٠٣) هذا الضماد مع ما تقدم لي من القياس وجدته على غاية الموافقة من تحليل العضو وقلة سعي الورم ، وحصل لي منه ما أحتاج إلى الإنضاج، وتارة كنت أخلط فيه يسيرًا من دقيق الكرسنة (١٠٤) لما في دقيق الكرسنة من منع العفن والتحليل، وإذا انفجرت القرحة جعلت عليها دقيق العدس مع يسير من دقيق الكرّسنة مع الزبد(١٠٥) والجلاب (١٠٦)، ولا أزال كذلك إلى أن يسقط اللحم الميت جميعه ، فإذا احتاجت القرحة إلى غَسلٍ غسلتها بالعسل والجلاّب الرقيق فإذا نظفت القرحة واحتجت إلى ما ينبت اللحم فيجب [/ ٩٣ ط] أن تزيد في دقيق الكرّسنة ويخلط معه قليلاً من أصول السوسن الأسمانجوني (١٠٧)، وإن أردت المبالغة أضف إليه يسيرًا من زروانـد طويل(١٠٨) مسحوق فإنه يبلغ لك المراد .

وإن أمنت من حرارة الموضع وسكَن، فدبر أن تجعل عليه مرهم الباسليقون (١٠٩) وهو مرهم الزيت فلا بأس فيه فإنه ينبت اللحم بما يجذب من الدم .

وإن شئت أن ينبت اللحم [دهنته] (١١٠) بمرهم الزنجار (١١١) جزء من الاثني عشر جزءاً مع الشمع واعتمد (١١٢) أن تجعل في أكثر الأمر على شفاه (١١٣) القرحة وما حولها

بالمرهم النخلي [١١٤] مضروبًا بدهن ورد أو مرهم جالينوس الأسود [١١٥] المعروف باللازوق، فإذا بني اللحم وساوى قريبًا من سطح الجلد فأدمل بمرهم السلفون [١١٦] المعمول بالنورة [١١٧] المغسولة فهذا تدبير القرحة .

فأما مراعاة [١١٨] مزاجه وإصلاحه فيجب أن يُعتمد على الأشربة المقوية المبردة كشراب الحماض وشراب الرمان وشراب التفاح وشراب النيلوفر، وإن احتجت إلى تليين الطبع [١١٩] فاعتمد على السكنجبين الساذج مع شراب البنفسج أو شراب الورد المكرر أو شراب القراصيا [١٢٠] .

ومما ينفعهم ماءُ الشعير [١٢١] المطبوخ المحكم الطبخ، فإن احتجت إلى استفراغ فاستفرغهم بتوقٍ بمثل مطبوخٍ يُنقع فيه الأجاص [١٢٢] والقراصيا والأزهار ويجعل في طبيخه من الأهليلج الهندي [١٢٣] مفردًا أو مع الأصفر [١٢٤] بما يقع عليه الحدس[١٢٥] وصفته [١٢٦] راوند صيني[١٣٦]* نصف درهم مع شراب..... [١٢٧]، وربما جُعل فيه من الخيار شنبر [١٢٨] بحسب ما يحدس من يشاهد الحال.

فإن أصابتهم حُمى عَفَنية [١٢٩] وكثيرًا[١٣٠] ما يعرض لهم ذلك بسبب ما يتوالى من وصول بخار العفن إلى القلب فتعفن أخلاط القلب، فبادر بإعطائهم قرص الكافور [١٣١] بشراب الحماض وأعقبهم بعدهُ بماء الشعير المُحكم الصَنعة، وغذهم بأمراق[١٣٢] الفراريج [١٣٣] ليمونية وحماضية ورمانية وزيرباجًا [١٣٤] فإن المرض طويل ولايحتمل التلطف البالغ [/٩٤ظ] . وإن عرض لهم خلفاء [١٣٥] وكثيرًا ما يعرض لهم ذلك فانظر فإن كانت علامات المرض مائلة إلى السلامة وقوة المريض محتملة فلا تقطعهم عنهم فإنه ينقي أبدانهم به .

فإن أفرط وزاد وأثّر في القوة، فمل إلى إمساكه بمثل قبضِ الطباشير الحمّاضي[١٣٦] مع بعض ربوب [١٣٧] الفواكه، وإن عرض لهم البول وعلامات المرض رديّة معه فالمريض في أكثر أمر هالِك، والذي يُداوى به رب الفواكه القابضة والطيوب [١٣٨] الباردة وحفظ القوة بأمراق الفراريج ومياه الفواكه مثل التفاح والسفرجل والرمان وما أشبه ذلك .

تمت المقالة ولله الحمدُ دايمًا سرمدًا .

كملت بحمد الله تعالى بيد أفقر عبادهِ العبد الداعي الخوري يوحنا الهديابي في سنة / ١٠٦٤ .

الورقة الأولى من المجموع رقم (٥٠٦٤) في دار الكتب الظاهرية - دمشق، ويحوي فهرسة للمواضيع الموجودة فيه ومن ضمنها [رسالة في المرض المسمى بالشقفة] ونلاحظ بأنها تقع في آخر المجموع

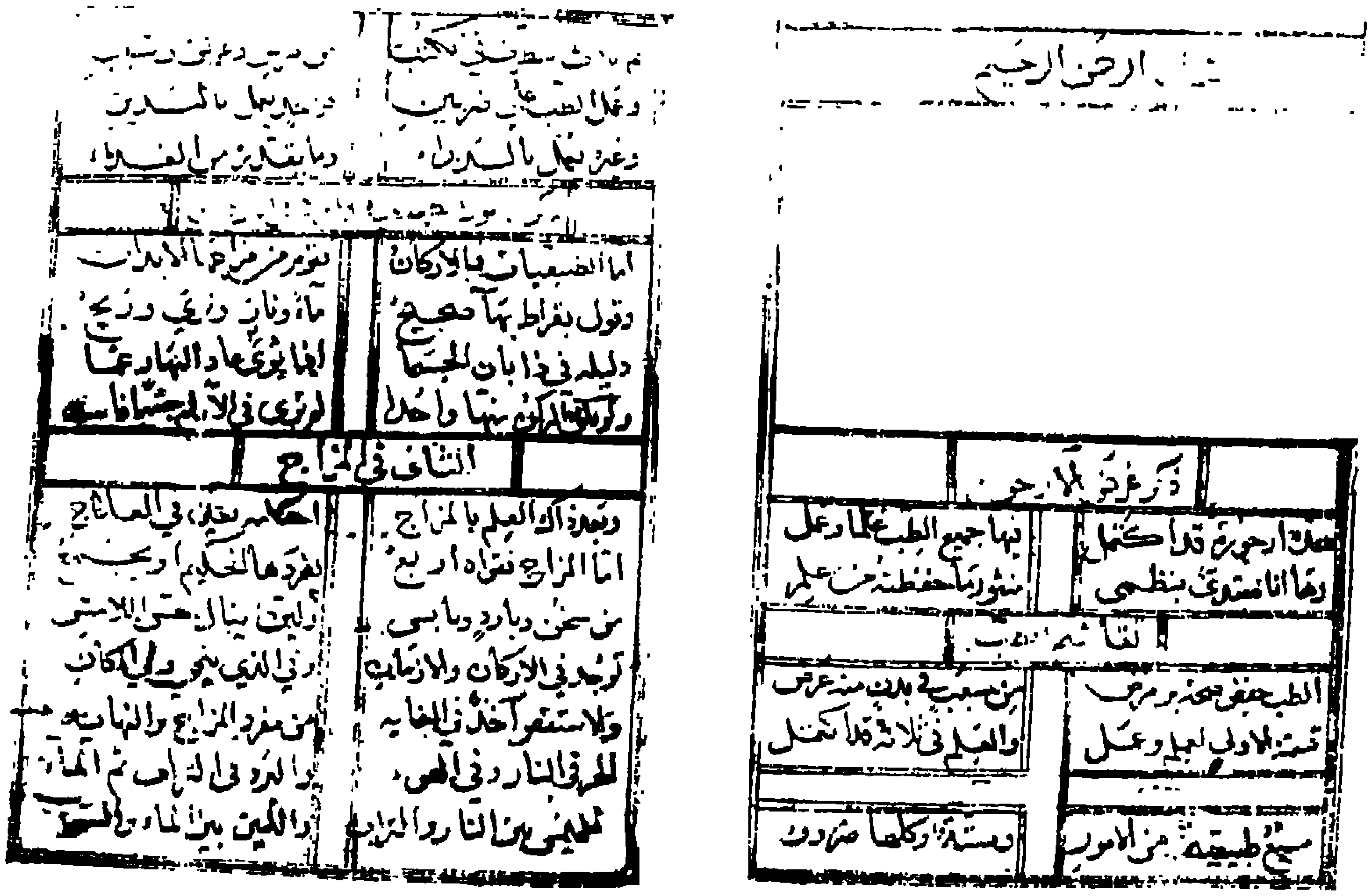

الورقة الثانية من المجموع الطبي المذكور

الورقة الثالثة من المجموع الطبي المذكور

الورقة الأولى من المخطوط موضوع الدراسة والتحقيق [مقالة في المرض المسمى بالشقفة]

الورقة الثانية من المخطوط موضوع الدراسة والتحقيق [مقالة في المرض المسمى بالشقفة]

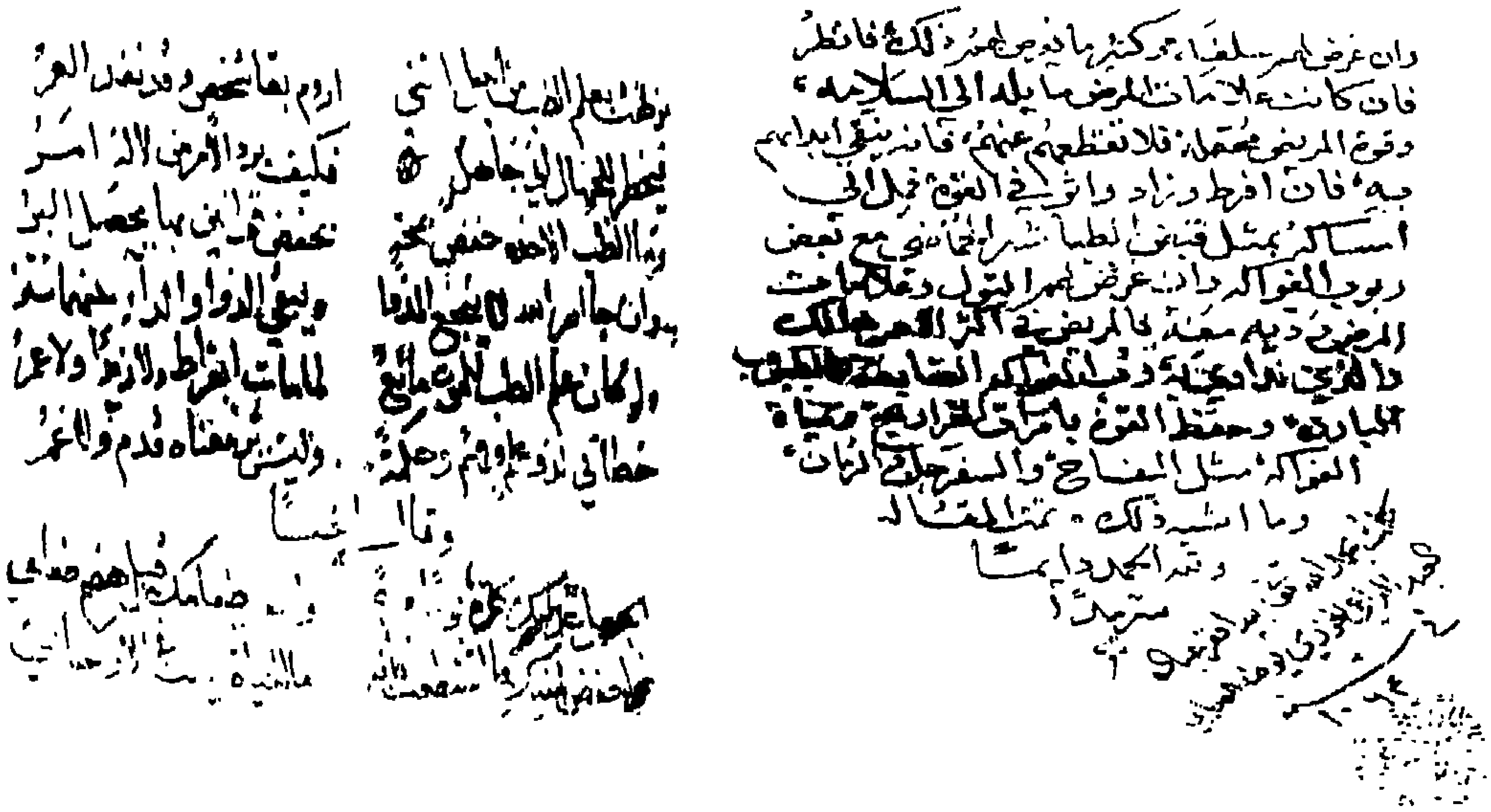

الورقة الأخيرة من المخطوط موضوع الدراسة والتحقيق [مقالة في المرض المسمى بالشقفة]

الإحالات والحواشي

١ – انظر ترجمته في المصادر الآتية : ابن أبي أصيبعة / **عيون الأنباء** ٥٧٠ – ٥٧٢، حاجي خليفة / **كشف الظنون** ١٣٧٧/٢، البغدادي/ **هدية العارفين** ٦٢٢/١، بروكلمان / **تاريخ الأدب العربي** (بالألمانية) ٦٤١/١ - الملحق ٨٩٠/١ ، لوكلير / **تاريخ الطب العربي** (بالفرنسية) ٥٢/٢، كحالة / **معجم المؤلفين** ٢٧٣/٦، سامي حمارنة/ **فهرس مخطوطات الظاهرية** / ٢٩٧، ٤٥٤ .

٢ – مدينة قديمة في تركيا الآسيوية، تقع في مقاطعة [كيليكية] وهي مسقط رأس الطبيب الحشائشي الشهير (ديسقوريدس)، عاش في القرن الأول الميلادي مؤلف أشهر كتاب في الأدوية المفردة في زمانه، وقد ترجمه إلى العربية [اصطفن بن بسيل] في زمن الخليفة العباسي [جعفر المتوكل]، انظر: **عيون الأنباء** ٤٩٣، القفطي / **أخبار العلماء** ١٢٦ .

٣ – **عيون الأنباء** ٥٧٠ .

٤ – المصدر نفسه ٣٤٣ .

٥ – السابق، ٣٤٢ .

٦– أحمد عيسى – **تاريخ البيمارستانات** ١٨٣–١٨٧.

٧ – **عيون الأنباء** ٥٧٠ .

٨ – السابق، ٥٧١ .

٩ – السابق، ٥٧٦ .

١٠- للتفصيل في ثبت مؤلفاته، انظر الإحالات في الحاشية رقم (١) .

١١- وقد بحث فيه تدبير الصحة وعلاج الأمراض، انظر : حمارنة / **فهرس الظاهرية** ٢٩٧، بروكلمان / ملحق ١/٨٩٠ .

١٢- بروكلمان / مجلد ١/٦٤٢ .

١٣- شخشن - **فهرس مخطوطات الطب الإسلامي** ٩٣ .

١٤- أحمد عيسى - **معجم الأطباء** ٤٤٢ .

١٥- **عيون الأنباء** ٣٤٩ .

١٦- ينشأ من قروح ناتجة عن إصابة الجلد بجراثيم المكورات العنقودية STAPHYL OCOA وتتجلى الأعراض السريرية بوجود قرحة جلدية مُحمَّرة ومتوذمة ذات حرارة موضعية تترافق بأعراض عامة وعروات وصداع وترفع حروري مع تسرع نبض، وقد تتطور (الجمرة) لتشكل خراجًا مليئًا بالقيح ومن الضروري المعالجة الجدية والفعالة خوفًا من المضاعفات الخطيرة، المصدر: سهيل ديات - **الأمراض الجلدية والزهرية**/٢٢.

١٧- في الأصل : ويسموه ، تحريف .

١٨- السابق .

١٩- مأخوذة من (خزَف) وهو الفخار، [**المحيط**، مادة : خزف] .

٢٠- مابين الوركين [ابن الحشاء - **مفيد العلوم** ١٣١ - ١٣٢] .

٢١- الخرّاج ، ج : دماميل [**المحيط** - مادة: دهل].

٢٢- فش الورَم : خف وهبط، ويقال انفشت علة فلان، زالت [**الوسيط** ٢/٦٨٩] .

٢٣- الخراجات الصغار واحدها بثرة [**مفيد العلوم** ٢٠] .

٢٤- ماء الجرح الرقيق والحميم أغلى حتى خثر [**المحيط** - مادة : صد]

٢٥- أن يغلب على العضو حر أو برد ولايمكنه أن يعمل ما كان يعمله على الاعتدال الذي كان [القمري - **التنوير في الاصطلاحات الطبية** ٧٦] .

٢٦- في الأصل : ويعلوا ، تحريف .

٢٧- لون يضرب إلى السواد [**مفيد العلوم** ٦٣].

٢٨- المقصود بالورم الخبيث هو أن الورم يمكن أن ينتقل من عضو إلى عضو أشرف منه، مثل : انتقال الالتهاب من الجلد إلى ناحية القلب والدماغ [ابن سينا - **القانون** ١/١٢٢] .

٢٩- يُستعمل لغير الإنسان مجازًا، فيقال : فم القربة وفم الوادي، أوله [**الوسيط** ٢/٧٠٢] .

٣٠- القوة المدبرة للحيوان [**التنوير** ٧٣] .

٣١- ما منها تحدث العلة ، مثل : الدم الفاسد [**التنوير** ٧٤ - ٧٥] .

٣٢- في الأصل : هما ، تصحيف .

٣٣- البثر إذا تدامى إلى فساد [**المحيط** - مادة : قرح] .

٣٤- الضمير في (فيه) عائد للورم .

٣٥- كيفية حاصلة من تفاعل الكيفيات المتضادات إذا وقفت على حد ما [**القانون** ٦/١] .

٣٦- الدم والصفراء والسوداء والبلغم وتسمى الأمشاج أيضًا [**التنوير** ٧٣] .

٣٧- مؤنث ردي وهو الفاسد وأصلها الرديئة بالهمز، ولم ترد هذه اللفظة مهموزة في النسخة المخطوطة فأبقيت بالياء المشددة في التحقيق .

٣٨- لمزيد من التفصيل حول أنواع الحميات، انظر : [الرازي - **التقسيم والتشجير** ٦٩٢] .

٣٩- إغماء [**المحيط** ، مادة : غشي] .

٤٠- والاختلاف ، كنايتان عن تواتر القيام للبراز [**مفيد العلوم** ٤٣] .

٤١- اسم منقول يخص به الأطباء مانَزَل من فضول الدماغ على جهة الحلق كما خصّوا مانزل عن طريق الأنف بالزكام [**مفيد العلوم** ٨٨] .

٤٢- في الأصل : اخر : تحريف .

٤٣- مؤنث فضل، وهو الشيء الزائد [**مفيد العلوم** ١٠٤] .

٤٤- تنوب يومًا ويومًا لا [**التنوير** ٦٧] .

٤٥- بثرة أو بثور تخرج وتحدث ورمًا يسيرًا وتسعى، وربما قرحت وربما انحلّت [**القانون** ١١٧/٣] .

٤٥*- لمزيد من التفصيل ، انظر : **القانون** ٤٢/٣ .

٤٦- الورم الرخو [**القانون** ١٢٩/٣] .

٤٧- ورم جميع البدن أو عظم البطن المفرط [**التنوير** ٥٩] .

٤٨- ورم صلب في البدن له أصل كبير [المصدر نفسه ٦٤] .

٤٩- علة يتناثر معها الشعر أولاً ثم تسقط الأطراف أولاً فأولاً كذلك إلى أن يموت العليل [المصدر نفسه ٦٢] .

٥٠ - أو الجمرة قرحة شبيهة بحرق النار مع ورم شديد يستدير حول الموضع فيجلب حُمى [المصدر نفسه ٦٤] .

٥١- (٤٦٠ - ٣٧٠ ق . م) من أشهر أطباء العالم وأعظمهم في التاريخ، فصل الطب عن الخرافات والغيبيات وأقامه على أساس علمي، كتب عددًا من المقالات الطبية ونسب إليه تلاميذه عددًا أكبر سماها مؤرخو الطب [**المجموعة الأبقراطية**] .

انظر: **عيون الأنباء** ٤٣، النديم - **الفهرست** ٤٠٠، القفطي - **أخبار العلماء** ٦٤ .

٥٢- (١٣١ - ٢٠٠م) طبيب يوناني شهير، ألف عدداً من الكتب الطبية الشاملة بالإضافة لكتب فلسفية، فسر أهم كتب [أبقراط] وانجلت تجاربه الطبية عن بعض الاكتشافات المهمة ولاسيما في وظائف الأعصاب .

انظر : **عيون الأنباء** ٤٣، **الفهرست** ٤٠٢، **أخبار العلماء** ٨٥ .

٥٣- في الأصل : الفعل ، تصحيف .

٥٤- في الأصل : الأغطاء ، تصحيف .

٥٥- مابين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

٥٦- في اللغة رد الشيء إلى نظيره [**الوسيط** ٧٧٠/٢] .

٥٧- في الأصل : الدم، تحريف .

٥٧*- مفرد النبيذ ، شراب مسكر يتخذ من عصير العنب أو التمر أو غيرهما ويترك حتى يختمر [**الوسيط** - ٨٩٧/١] .

٥٨- مفرد الحدّ ، في اصطلاح المناطقة القول الدال على ماهية الشيء [**الوسيط** ١٦٠/١] .

٥٩- في الأصل : صديد، تحريف .

٦٠- في الأصل : رقيق، تحريف .

٦١- الورم الصلب الذي يُدافع اللمس ويوجع [ابن المطران - **بستان الأطباء** ٢٤٣] .

٦٢- مفرد الطاعون ، قيل لكل ورم قتّال [**القانون** ١٢١/٣] .

٦٣- الفصد لكثرة الدم أو لرداءة الدم أو لكليهما [**القانون** ٢٠٤/١] .

٦٤- عرق يمتد مع الفخذ نازلاً إلى الساق [**مفيد العلوم** ٩١] .

٦٥- عرق في وسط الذراع وتسميه العامة عرق البدن [المصدر نفسه ٢] .

٦٦- المعاودة .

٦٧- بقلة معروفة تسمى بالعجمية اللبّاصة [**مفيد العلوم** ٣٩] .

٦٨- نبات ينبت في الآجام والمياه القائمة له ورق كثير وزهر أبيض . [ابن البيطار - **الجامع** ١٨٦/٤، **القانون** ٣٧٥/١] .

٦٩- شراب معروف من العسل والخل أو السكر والخل [**مفيد العلوم** ١٢١] .

٧٠- مفرد اللُطوخ، ما يُلطخ به العضو [**التنوير** - ٧٧].

٧١ - مفرد الضماد ، الأدوية التي تُخلط وتُبل بالأدهان أو تُليّن بالصُموغ وتوضع على العضو [المصدر نفسه ٨٩] .

٧٢- في الأصل : ازدات ، تحريف .

٧٣- مابين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

٧٤- خشب يؤتى به من الصين [ابن البيطار - **الجامع** ١٢٤/٤، **القانون** ٣٥٣/١] .

٧٥- حشيشة ساطعة الرائحة مُرّة الطعم زعفرانية العُصارة . [**الجامع** ١٢٤/٤، **القانون**

٣٥٣/١] .

٧٦- شجرة مشوّكة ولها ثمر مُر المذاق [**الجامع** ٢٢/٢، **القانون** ٣١٢/١] .

٧٧- رُب القرظ، والقرظ ثمرة الشوكة المصرية المعروفة بالسنط . [**الجامع** ٤/٤ ، **القانون** ٤٢٧/١].

٧٨- القمع من الرمان، ما فيه الزّغب الأصفر [**الوسيط** ٧٥٩/٢] .

٧٩- نبات يؤكل وأصنافه كثيرة [**الجامع** ١٣٥/٣، **القانون** ٣٩٧/١] .

٨٠- نبات عشبي مُعمَّر بري . [**الجامع** ١٠٧/٤، **القانون** ٣٥٣/١] .

٨١- نبات ذو أصناف كثيرة [**الجامع** ١١٧/٣، **القانون** ٤٠١/١] .

٨٢- في الأصل : أحدست ، تحريف .

٨٣- وقعت أو حلت .

٨٤- مفرد لبيخة ، دواء كالمرهم يوضع حاراً أو بارداً فوق العضو عند الألم . [**الوسيط** ٨١٢/٢].

٨٥- البر [**المحيط** - مادة الحنطة] .

٨٦- ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

٨٧- الحرارة التي خُص بها كل واحد من الأعضاء لاعتداله [**التنوير** ٧٤] .

٨٨- بمعنى ظهرت وانتشرت [**الوسيط** ٦٩٠/٢] .

٨٩- مفرد اللحم [**المحيط** - مادة: لحم] .

٩٠- غمَّ الشيء، غطاه [**المحيط** - مادة غمم].

٩١- العجين اختبزه من ساعته ولم يخمّره [**المحيط** - مادة : فطر] .

٩٢- يسميها الأطباء ، الروح الحيواني وبها تكون الحياة [**مفيد العلوم** ٢٢] .

* - أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين، له مصنفات كثيرة منها : المقولات - الجدل - الخطابة .

[**عيون الأنباء** ٨٦، **الفهرست** ٣٤٥، **أخبار العلماء** ٢١] .

٩٢*- الحرارة المكتسبة من الأغذية والأشربة والأهوية [**التنوير** ٧٤] .

٩٣- مفرد الجرائحي ، وهو الجرّاح الذي يعالج بالجراحة [**الوسيط** ١١٥/١] .

٩٤- نبات أنواعه متعددة [**الجامع** ٤٦/٢، **القانون** ٤٦٠/١] .

٩٥- في الأصل : يكمرون، تحريف . وتكميد العضو ، تسخينه [**المحيط** - مادة : كمد] .

٩٦- مفرد الخرقة ، القطعة من الثوب الممزق. [**الوسيط** ٢٢٩/١] .

٩٧- مفرد اللفافة ، مايلف به على الرجل وغيرها [**المحيط** - مادة لفف] .

٩٨- الدقيق الذي لم يُستَقص طحنهُ ولا نخله [**مفيد العلوم** ٤٠] .

٩٩- ما نُخِل من الدقيق وما بقي في المنخل مما يُنخل [**المحيط** - مادة نخل] .

١٠٠- عجينة مختمرة بها فطر خاص [**الوسيط** ٢٥٦/١] .

١٠١- مادة دسمة ذات قوام سائل [**التنوير** ٢٣] .

١٠٢- مفرد العُصابة ، ما يُشد به من منديل أو خرقة [**الوسيط** ٦٠٣/٢] .

١٠٣- دقق فيه وأحكمه [**الوسيط** ١٦٥/١] .

١٠٤- شجيرة صغيرة دقيقة الورق والأغصان [**الجامع** ٦٣/٤، **القانون** ٣٤٢/١] .

١٠٥- ما يستخرج من اللبن بالمخض [**الوسيط** ٣٨٨/١] .

١٠٦- معناه بالفارسية ، ماء الورد [**مفيد العلوم** ٣١].

١٠٧- من الحشائش ذات السوق، والأسمانجوني هو اللون الأزرق الخفيف. [**الجامع** ٤٢/٣، **القانون** ٢٥٥/١] .

١٠٨- نبات له ورق طوال وأغصان دقاق [**الجامع** ١٥٩/١، **القانون** ٣١١/١] .

١٠٩- من اليونانية، أي الملوكي [الإشبيلي، **عمدة الطبيب** - ٥٠٤/١] .

١١٠- ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق.

١١١- الزنجار، صدأ النحاس [**الوسيط** ٤٠٢/١]؛ وانظر تركيب المرهم [**القانون** ٤٠٥/٣] .

١١٢- مكررة في الأصل .

١١٣- مفرد شفة، شفة الشيء حرفه [**الوسيط** ٤٨٨/١].

١١٤- انظر تركيب المرهم، [ابن زُهر - **التيسير** ٤٨٦].

١١٥- انظر تركيب المرهم [**القانون** ٤٠٥/٣] .

١١٦- من اليونانية ، نبات من ذوات الجمم [**عمدة الطبيب** - ٦٩/١] .

١١٧- الكِلس [**الجامع** ١٨٥/٤] .

١١٨- مكررة في الأصل .

١١٩- الحال التي عليها طبع الإنسان [**التنوير** ٧٣].

١٢٠- حَب الملوك، شجرة مشهورة لها ثمر شبيه بالعنب [**الجامع** ٨/٤] .

١٢١- عصارة الشعير المطبوخ بالماء [**الجامع** ١٣٤/٤].

١٢٢- ثمر معروف، صنفان أسود وأبيض [**الجامع** ١٣/١، **القانون** ٢٥٨/١] .

١٢٣- الأسود، تستعمل ثماره لتنظيف جهاز الهضم [**الجامع** ١٩٦/٤، **القانون** ١٩٦/١] .

١٢٤- الهَليلج والمختار منه ماكان ثمره رزينًا ممتلئًا [**الجامع** ١٩٦/٤] .

١٢٥- إدراك الشيء إدراكًا مباشرًا [**الوسيط** ١٦٠/١].

١٢٦- في الأصل : وصفه على ، تحريف .

١٢٧- غير مقروءة في الأصل .

١٢٨- شجرة لها زهرٌ ياسميني الشكل [**الجامع** ٨١/٢، **القانون** ٤٥٧/١] .

١٢٩- لها أنواع ولزيادة التفصيل، انظر : الرازي - **التقسيم والتشجير** - ٦٦٠ .

١٣٠- في الأصل : وكثير ، تحريف .

١٣١- صمغ شجر ، ولونه أحمر [**الجامع** ٤/٤٢] وانظر : مكوناته وتركيبه [**القانون** ٣/٣٨٣] .

١٣٢- مفرد المرَق، الماء أغلي فيه اللحم فصار دسمًا [**الوسيط** ٢/٨٦٥] .

١٣٣- مفرد الفرَوج، فرخُ الدجاجة [**الوسيط** ٢/٦٧٩].

١٣٤- لون من الطبيخ يتخذ بالسكر واللوز والخل [**مفيد العلوم** ٥٦] .

١٣٥- مفرد الخلفة، اختلاف البطن وانطلاقه [**التنوير** ٥٨] .

١٣٦- رماد أصول القنا الهندي [**الجامع** ٣/٩٦، **القانون** ١/٣٢٦] .

١٣٧- مفرد رُبّ، خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها [**المحيط** - مادة : ربب] .

١٣٨- مفرد الطيب، ما يتطيب به من عطر ونحوه [**الوسيط** ١/٥٧٣] .

المصادر والمراجع

* ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أحمد ابن القاسم ابن خليفة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) .

عيون الأنباء في طبقات الأطباء / تحقيق نزار رضا بيروت - دار مكتبة الحياة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

* ابن البيطار : ضياء الدين عبدالله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) .

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية - بيروت - دار المدينة - د . ت .

* ابن الحشّاء : أبو جعفر أحمد بن محمد (القرن السابع الهجري) .

مفيد العلوم ومبيد الهموم / تحقيق جورج كولان و ب ج . ر نيو - الرباط - المغرب - المطبعة الاقتصادية - ١٩٤١م.

* ابن زُهر : أبو مروان عبدالملك (ت٥٥٧هـ/ ١١٦٢م).

التيسير في المداواة والتدبير / تحقيق ميشيل الخوري - دمشق - دار الفكر للطباعة - ١٩٨٣م.

* ابن سينا : الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م)

القانون في الطب - بيروت : دار صادر (د . ت).

* ابن المطران : أبو نصر أسعد بن إلياس (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) .

بستان الأطباء وروضة الألباء / تحقيق عبدالكريم أبو شويرب - طرابلس - الجماهيرية الليبية - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ١٩٩٣م .

* أبو الخير الإشبيلي (القرن السادس الهجري) .

عمدة الطبيب في معرفة النبات - الرباط - مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - ١٩٩٠م .

* البغدادي : إسماعيل بن محمد (ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) .

هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - أعادت طبعه بالأوفست ، مكتبة المثنى - بغداد - د . ت .

* حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - بغداد - مكتبة المثنى - د . ت .

* حمارنة : سامي خلف - **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الطب والصيدلة** - دمشق - مطبعة الترقي - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

* دياب : سهيل - **الأمراض الجلدية والزهرية** - دمشق - مطبعة دار الكتاب - ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* الرازي : أبو بكر محمد بن زكريا (ت٣١٣هـ / ٩٢٥م) .

التقسيم والتشجير - تقاسيم العلل / تحقيق صبحي محمود حمامي - حلب - مطبعة جامعة حلب - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* عيسى : أحمد - **تاريخ البيمارستانات في الإسلام** - الطبعة الثانية - بيروت - دار الرائد العربي - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- **معجم الأطباء [ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة]** - الطبعة الثانية - بيروت - دار الرائد العربي - ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

* الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) .

القاموس المحيط - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

* **فهرس مخطوطات الطب الإسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا** - إعداد رمضان ششن ورفاقه - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* القفطي : الوزير جمال الدين علي (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء - القاهرة - مكتبة المتنبي - د . ت .

* القمري : أبو منصور الحسن بن نوح (القرن الرابع الهجري) .

التنوير في الاصطلاحات الطبية / تحقيق غادة حسن الكرمي - الرياض - مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* كحالة : عمر رضا - **معجم المؤلفين** - بيروت - مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي - د . ت.

* **المعجم الوسيط** - مجمع اللغة العربية - إبراهيم أنيس ورفاقه - إستانبول - تركيا - المكتبة الإسلامية - د . ت .

المصادر الأجنبية

* بروكلمان : كارل - **تاريخ الأدب العربي** (بالألمانية) - ليدن - مطبعة بريل - ١٩٣٧م .

* لوكلير : لوسيان - **تاريخ الطب العربي** [بالفرنسية] - أعادت طبعه مطبعة فضالة - المغرب - ١٩٨٠م .

تراجم مغربية أندلسية تنشر لأول مرة

جمعها وصنعها

عبدالعزيز السّاوري

وزارة الشئون الثقافية – الرباط

«ولكن هذا لايعني أننا سنَصْنَع ترجمة .. من لاشيء . فما ادَّعيْنا أننا وفَّينا حقَّ الترجمة لأحدٍ ممَّن تتوافر عناصرُ ترجمتهم . فأحْرَى لمن كان يكادُ لايُعرف اسمُه على وجه التحقيق» *

عبدالله كنّون

١ – ابن يعلى الشريف الحسني

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف ابن يعلى الشهير بالشريف الحسني، من أهل مدينة فاس، أخذ عن أبي المكارم منديل بن آجُرّوم، وولده أبي محمد عبدالله ، وأبي محمد عبدالله المجاصي ، وأبي عبدالله محمد بن محمد المقّري ، وأبي موسى عمران المشذالي.

ويصف الحسن اليوسي صعوبة حصوله على بيت بمدرسة الوادي – بمصمودة أسفل جامع الأندلس ، وهي من تأسيس أبي الحسن المريني – فيقول : «وهي اليوم خَرِبَةٌ يقال إن فيها نحو سبعمائة أو سبعة آلاف أستاذ وكان لايعطى البيت فيها إلاّ من يحفظ جميع مختصر الحاجبي، ولذلك لما جاء الشريف وهو لم يحفظه ولم يجد بيتًا، قعد عند سارية واشتغل بشرح الجرومية حتى أكمله، فرفعه إليهم ليُعطى بيتًا» .

كان حيّاً سنة ٧٥٧هـ ، ولا تعرف وفاته، وكل ما في المصادر أنه مدفون قرب عتبة الباب الحمراء من الجهة اليمنى ملتصق بالسور، من عدوة فاس الأندلس ، ضجيع مؤلف الأجرومية والشريشي صاحب النظم المسمى بمورد الظمآن .

مصنّفاته :

١ – الدرة النحوية في شرح الأجرومية: شرح فيه ألفاظ المقدمة للشيخ الإمام النحوي أبي عبدالله محمد بن داوود الصنهاجي ، منه نسخ خطية كثيرة في الخزائن العامة والخاصة، حققه الباحث السعودي عبدالرحمن بن مردد الطلحي في رسالته الجامعية لنيل درجة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها تخصص النحو والصرف تحت إشراف عياد بن عيد الثبيتي بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، وتقع في مجلدين .

وعليه ثلاثة شروح :

الأول : بداية التعريف في شرح شواهد سيدي الشريف لأبي العباس أحمد بن محمد ابن يوسف الشهير بالدقون الصنهاجي المتوفى عام ٩٢١هـ، توجد منه نسخ خطية كثيرة في الخزائن العامة والخاصة .

والثاني : فتح المولى بشرح شواهد الشريف ابن يعلى لعبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الشهير بالفكّون المتوفى عام ١٠٧٣هـ، وقد ذكره عيسى الثعالبي في كنز الرواة وأبو سالم العياشي في رحلته .

منه نسخة خطية بمكتبة حسن حسني عبدالوهاب بتونس برقم ٤٠٦ .

والثالث : الأسرار العربية في شرح الدرّة النحوية لقاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المتوفى عام ١٠٢٢هـ، منه نسختان : الأولى بدار الكتب الوطنية بتونس برقم ٤٧٣٥، والثانية بمؤسسة علال الفاسي بالرباط ضمن مجموع برقم ٦٦٩ ع .

٢ - **روض الأحَاجي وبُستان المحَاجي** : ذكره المؤلف في كتابه زهر الروض الندي ص١٦، وقد جمع فيه منظوم الشعراء ومنثور كلامهم في معنى التغزل بذكر الأطيار .

٣ - **زَهْرُ الروض الندي في شرح مقصورة الأسدي** : (أي أبي صفوان في صفة الفرس) ، ذكره أبو القاسم الفجيجي في كتابه الفريد في تقييد الشريد ، ونقل عنه (انظر : ص ٥٤، ٨٦، ٨٩) .

وكان الفراغ من تمام إنشاء مبيضته عشية يوم الثلاثاء حادي عشر ذي الحجة متم عام أربعة وخمسين وسبع مئة .

منه نسختان :

الأولى : بالخزانة الحسنية - القصر الملكي بالرباط تحت رقم ٧٣٧٩ . انتسخت من نسخة قوبلت مع أصل المؤلف في شهر شوال في عام خامس ومئتين وألف ، تقع في ٤٦ صفحة .

والثانية : بمكتبة جامع ابن يوسف بمراكش تحت رقم ٤٦٢ (الكتاب السادس في المجموع) .

ويذكر الهشتوكي في رحلته «هداية الملك العلام» أنه وقف على نسخة منه بخط المؤلف. يقول: «وزرنا صالحي فجيج وعلماءها، السيد عبدالجبار وأولاده

وأصحابه، ودخلنا إلى خزانتهم العظيمة ، وتبركنا بها، ورأينا فيها كتبًا غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة، من جملتها ... شرح مقصورة الأسدي لمحمد ابن يعلى الشريف شارح المقدمة الجرومية بخط يده على ما قيل ... وغير ذلك من الكتب المتداولة وما ذكرنا إلا غير المتداولة جداً وإن كان معروفة الذكر».

٤ - **شرح نظم عروض ابن السقاط** : منه نسخة بخط المؤلف بخزانة الفقيه محمد ابن عبدالهادي المنوني لطف الله به، تقع في ١١٦ ورقة، وكان الفراغ من تمام إنشاء مُبيضتها عام سبعة وخمسين وسبع مئة .

٥ - **شرح الوصلة إلى معرفة الشعلة** : ذكره المؤلف في كتابه الدرة النحوية في موضعين :

أولهما في ص١٩٣ عند قوله : « وليس في إن وأن لغات غير ما ذكر، إلا أن الناس اختلفوا في أيهما الأصل، وأيهما الفرع، وقد كنت ذكرت في شرح كتابي المسمى بالوصلة إلى معرفة الشعلة ، أني لا أذكر أحدًا من النحويين ذكر أيهما هو الأصل» .

وثانيهما في ص ٢٥٨ عند حديثه عن تثنية أجمع وتوابعها، وهي أكتع وأبصع وأبتع، حيث قال : «والقياس يقتضي جواز ذلك ، وإنما منعه من منعه، لأنه لم يسمع من العرب، وعلى مذهبه عملنا في شرح الوصلة» (١) .

٢ - الغُرْبي

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن حسن الغربي ، أخذ عن الشيخ الفقيه الفاضل نخبة زمانه المبرز أبي عبدالله محمد ابن يحيى بن علي بن النجار التلمساني ، وكان فقيهاً له اليد الطولى في الفقه، وكان مفتيًا ونقل بعض فتاويه المازوني في درره المكنونة في باب النفقات (٢)، والونشريسي في المعيار (٣)، وسُمي فيها «الغُرْبي شارح تلخيص أعمال الحساب» .

منه نسختان :

الأولى : مبتورة من الآخر في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د ٣٢٨ رابع مجموع (من ص ٢٣٧ - إلى ٥٠٩) (٤) .

والثانية : في المكتبة العامة بتطوان تحت رقم ٨٤٤ (لم يذكر مؤلفها) (٥) .

ونقل عنه كثيرًا الشيخ أبو بكر يحيى بن الشيخ الفقيه القاضي أبي محمد عبدالله بن محمد بن محمد بن زكريا الغرناطي في كتابه : «حطّ النقاب بعد رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب» (٦) .

كان حيّاً قبل عام ٧٤٩هـ .

٣ - ابن عتيق

يصف سعد غراب في تحقيقه لكتاب «الجمل في المنطق» تأليف أفضل الدين الخونجي المتوفى عام ٦٤٦هـ [٧] (ص١٣) النسخة المعتمدة من مخطوطة المجموع رقم ١٨٥٢٣ من المكتبة الوطنية بتونس (رصيد حسن حسني عبدالوهاب)، فيقول : «والمخطوطة غير مؤرخة ولكن تبدو لنا قديمة من ورقها ونجد في آخرها اسم ناسخها وهو محمد بن عيسى ... ويقول لنا في آخر النسخة أنها مما أفادني بكتبها أخي وسيدي أبو الحسن علي بن عتيق ... والتعرف على الناسخ أو على صاحبه هذا يسمح لنا بتاريخ تقريبي للنسخة ولكنا لم نجد إلى الآن ما يشفي الغليل في هذا الشأن» .

وفي موضع آخر من ص ٣٩، هامش رقم ١١٢ يقول المحقق : «وجدنا في كتب التراجم شخصًا يحمل هذا الاسم : أبو الحسن علي بن عتيق الأنصاري القرطبي نزيل فاس وهو محدّث وحافظ ومقرئ مشارك في علم الكلام والأصول والطب ونظم الشعر . حجّ فسمع من السلفي وغيره (انظر: كحالة VII : ١٤٥) ... كان يمكن أن يكون هذا الشخص إلا أن تاريخ حياته (٥٢٣ - ٥٩٨هـ) متقدم قليلاً حتى عن الخونجي (٥٩٠ - ٦٤٨هـ) فضلاً عمن يأمر بنسخ كتبه ... اللهم إلا إذا ماافترضنا اضطرابًا في تاريخ حياته ولم نجد ما يبرر هذا الافتراض ... والتعرف على هذا الشخص أو على الناسخ هام لأنه يسمح بتاريخ نسبي لهذه المخطوطة» .

قلت وصوابه : أبو الحسن علي بن عتيق ابن العزّ، وقد وصف هذا الشيخ في ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي المتوفى عام ٩٣٨هـ بأنه : «الإمام الخطيب المقرئ العلاّمة أبو الحسن علي بن عتيق بن العزّ» [٨]، وذكر أنه كان عمدة في القراءات، وهو من شيوخ قاضي الجماعة أبي عمرو محمد بن محمد بن منظور القيسي المالقي المتوفى سنة ٨٨٨ أو ٨٨٩هـ [٩] .

وفي ديوان عبدالكريم القيسي الأندلسي بيتان ورّى فيها بالفقيه أبي الحسن علي بن عتيق، وهما : (من الطويل):

شُغِفْتُ به عزّاً عتيقًا جَوادُهُ
يُسابِقُ بالميدان كلَّ فريقِ
عجبتُ له يُعزى له السَّبْقُ في الهدى
ولا عَجَبٌ أن يَسْبَقَ ابْنُ عتيقِ [١٠]

وعلى هذا يتضح أن التاريخ التقريبي لمخطوطة الجمل في المنطق للخونجي هو القرن التاسع الهجري .

٤ – ابن أبي زرع

الحمد لله ، مؤلف كتاب «القرطاس في تاريخ مدينة فاس» هو : أبو الحسن بن عبدالله بن أبي زرع، نقل عنه ابن خلدون مُسمِّيًا له بابن أبي زرع في مواضع من كتابه «التاريخ الكبير»، وسمّاه بذلك ابن الخطيب في أول «الإحاطة» عندما ذكره في جُملة من عدَّ من المؤرخين للبلدان ؛ حيث ذكر أن كل واحدٍ منهم ألف في بلده ، ونقل عنه أيضًا، وترجمهُ بأبي الحسن بن عبدالله ابن أبي زرع؛ أبو الحسن الجزنائي صاحب «جنى زهرة الآس في أخبار مدينة فاس» .

كان – رحمه الله – في زمن السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق المريني، وله ألف كتابه ذلك كما ذكره هو في طالعته، ووقت تأليفه له كما يؤخذ مما ذكره هو في ترجمة أبي سعيد المذكور سنة ست وعشرين وسبع مئة .

له يدٌ في الأدب وبراعة قلم، حسبما يشهدُ له هذا التأليف البديع الشكل ، الظريف الأسلوب ، بما اشتمل عليه من بديع النظام، وحسن سبك الكلام ، وتفصيله وترتيبه، وتأصيله وتهذيبه، مع حُسن العبارة وحلاوتها ، ورونقها ولطافتها، ولم يكن مشتهرًا بعلم من العلوم ولا متميزًا بفن من الفنون سوى التاريخ الذي ألف فيه .

وقد نظَّر به الشيخ زرُّوق – رضي الله عنه – ابن البناء السّرقُسْطي في شرحه لأرجوزته المسمّاة بـ « المباحث الأصلية» ، فقال – رضي الله عنه – ما نصه : «مؤلف هذه الأرجوزة هو الشيخ الفقيه [الصالح] الناصح أبو العبّاس ابن البناء السّرقُسْطي، لم يكن مشهورًا بالعلم مع ماله فيه من القدم الراسخ الذي دل عليه كلامه، فعُدَّ من عجائب مدينة فاس ؛ إذْ كان من عامتها، وألف كابن أبي زرع صاحب التاريخ» (١١) انتهى .

ولعله بسبب ذلك لم يذكره من بعده ممن ألف في تاريخ الأعيان، خصوصًا الذين هم من المغاربة كصاحب «نيل الابتهاج في تكميل الديباج»، وصاحب «درّة الحجال في أسماء الرجال» المكمل لابن خلكان، حيثُ ذكر كل منهما من بعد تاريخ الكتابين المكملَيْن إلى زمانه، وهو أول المئة الحادية ، على أنهما لم يستوعبا ما قصداهُ، فلم يذكرا كثيرًا ممن هو أشهر منهُ، وأعلى رتبة في

العلم وغيره، بل اقتصرا على ما تيسر لهما ، وحضر لديهما ، مما وجداه معرفًا به في مُفترقات الكتب ، وتقاييد الفقهاء، وكم عالم كبير وولي شهير في القطر المغربي ، أهمل التعريف به المغاربة المتقدمون منهم والمتأخرون، حتى التحق عند المتأخرين بمن جُهل حاله وزمانه ، ولعله بسبب ذلك أيضًا أهمل ذكره في ترجمة صدر كتابه، حيث لايوجد في أوائل النسخ فيما وقفنا عليه، لاسيما ما يغلب على النفوس من الأنفة الحاملة على عدم الإذعان لمثله من أهل زمانه، وممن يأتي بعدهم ، مقتفيًا بهم ، فإنها أكبر باعث عند أهلها على إهماله، وأدعى عندهم إلى تركه وإغفاله، حتى جُهل اسمه، وتنوسي رسمُه، وإنّا لله ، ولاقوة إلا بالله ، على أن كتابه لم يلف من بعده له مثلاً، ولا وجد الناس له بدلاً، فقد أغنى وأقنى في تلك الأخبار، واشتهر عند الكافة أي اشتهار، ولأخباره مُسْتند، وأصله يعتمد، فما كان من خبر الدُّول الأول كثيراً ما ينقله عن كتب تاريخية يسميها، وما كان في زمانه أو قرب زمانه لم يحتج فيه إلى ذلك ، لإدراكه إياه أو إدراك من عاصره، فكان معتمداً في بابه عميداً ، ومعتبراً في فنه مُفيداً، لا يتطلب الإخباري عليه مزيداً .

وكانت وفاة ابن أبي زرع - رحمه الله - سنة إحدى وأربعين وسبع مائة .

قاله الشيخ أبو العباس أحمد الونشريسي صاحب «المعيار» في «فهرْستِه».

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله عبدالسلام بن الطيب القادري الحسني ، كان الله له آمين .

من خطّه رحمه الله تعالى (١٢) .

٥ - ابن باقٍ

هو الشيخ الحاج المجتهد أبو الحسن علي بن الشيخ أبي عبدالله محمد بن علي بن باقٍ الأموي (١٣) صاحب «زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض» (١٤) .

توفي ليلة السبت الرابع عشر لشوال عام ٧٦٣هـ (١٥)، وصلى عليه الخطيب أبو عبدالله بن منصور، ودفن بمقبرة الوسطى أم الحمام هناك مجاوراً تربة الرجل الصالح المشهور بذلك الموضع، نفع الله تعالى به، وأعاد علينا من بركات أوليائه .

من خط ابن أطاع الله (١٦) .

٦ - الصفّار (١٧)

الصفار أبو عبدالله محمد بن إبراهيم ابن محمد بن أبي بكر بن عبدالحق بن يحيى

ابن ملول التينملي، شهر بالصّفار - رحمه الله - جدّه لأبيه ملول أحد العشرة من أصحاب أبي عبدالله المهدي السوسي الملقب بالخليفة الإمام، وجده لأمه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور من بني عبدالمؤمن صاحب المهدي من ملوك مراكش .

كان إمامًا مقرئًا، فصيحًا نحويّاً ، مجودًا متقنًا، درب اللسان، محققًا في نقله، حسن التصنيف ، وكان مليح الوجه، حسن الرُّواء والشارة، متصوفًا متخلقًا .

وكان خطيبًا بحضرة مراكش ، ثم اصطفاه لنفسه بحضرة فاس أبو عنان فارس بن علي، فكان يقرأ عليه القرآن ، ولما بنى المدرسة المتوكلية بطالعة فاس؛ اتخذه مقرئًا بها، وله مشيخة جلة منهم : أبو التقى صالح بن علي بن صالح الأموي المقرئ بآسفي آخر المعمور بالمغرب على ساحل البحر المحيط قرأ عليه بالسبع وأجازه، والخطيب المقرئ أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي نزيل فاس، والخطيب الحاج الرحال أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، وأبو زكريا يحيى بن أحمد بن واش الحاج الرحال قرأ عليه بالسبع وبقراءة يعقوب الحضرمي .

وله تقاييد منها : «الزهر اليانع [في أصل مقرأ نافع]»، و«تخريج الخلاف بين محمد بن هارون المروزي وأحمد الحُلْواني»، و«الجُمان النضيد في معرفة الإتقان والتجويد» سفر واختصاره، و«جواب الخل الأود في كيفية أداء المد»، و«الأرجوزة الفريدة في قراءة يعقوب» ، و«الروض العطير في توجيه حرف التكرير» ، وتآليف في التصوف .

توفي - رحمه الله - في منتصف جمادى الأخرى من عام ٧٦٠هـ، ودفن بالقلة خارج باب الجيسة أحد أبواب فاس المحروسة، وحضر جنازته الأمير أبو علي منصور بن سليمان، وكان محاصرًا للمدينة البيضاء حينئذ، وحضرها خلق كثير ، وكان ذلك يوم الثلاثاء، ودفن بعد صلاة العصر، وصلى عليه خطيب جامع القرويين .

من خطّ ابن أطاع الله (١٨) .

٧ - البُرّي

قال ابن عبدالملك : هو إبراهيم بن أبي بكر بن عبدالله بن موسى الأنصاري التلمساني الوَشْقي نزيل سبتة، كنيته أبو إسحاق، تلا بمالقة على أبي بكر بن دحمان، وأبي صالح بن الزاهد، وأبي عبدالله بن

حفيل ، وأبي الحسن بن سهل بن مالك ، ولقي أبا بكر بن محرز، وأجازوا له ، وأجاز له كتبًا أبو إسحاق ابن جابر الدباج وأبو علي الشلوبين، ولقي بسبتة أبا العباس بن عصفور الهواري، وأبا المطرف أحمد بن عبدالله بن عميرة فأجاز له ، وسمع بها على أبي يعقوب يوسف بن أبي عيسى الغماري الحساني .

كان فقيهًا عارفًا بالشروط ، مبرزًا في العدد والفرائض، أديبًا شاعرًا ، محسنًا ماهرًا في كل ما يحاول .

ونظم في الفرائض - وهو ابن عشرين سنة - أرجوزة محكمة لعلمها ضابطة له ، وذكر له منظومات منها في السير، ومنها على أوزان العرب، ومنها في المولد الكريم أودعها مضمّن كتاب العزفي ، ومنها في الحكم ، وله مقالة في العروض .

وقال ابن عبدالملك : وكان ذا تيقظ وحضور ، وذكر وتواضع، وحسن إقبال، وجميل لقاء ومعاشرة، وتوسط صلاح فيما يناط به من التكاليف، واشتغال بما يعنيه من أمر معاشه، وتخامل في هيئته ولباسه، يكاد ينحط عن الاقتصاد حسب المألوف والمعروف بسبتة ، ولد آخر ليلة من جمادى الأخيرة أو أول ليلة من رجب بتلمسان سنة تسع وست مائة، وانتقل به أبوه إلى الأندلس وهو ابن تسعة أعوام فاستوطن غرناطة ثلاثة أعوام ، ثم تحول إلى مالقة فسكنها مدة وبها قرأ معظم ما قرأ، ثم انتقل إلى سبتة ، وتزوج بها أخت مالك بن المرحل وهي أم بنيه، وبها توفي بعد التسعين وست مائة [١٩] .

ووجدت طرة بخط كاتبها محمد بن محمد بن ناصر بن محمد الدرعي على هامش كتاب «شرح كتاب فرائض أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني الشهير بالبُري» تأليف الشيخ الفقيه الإمام الحافظ النحوي الفرضي أبي الحسن علي ابن يحيى بن محمد بن صالح العضوني المغيلي [٢٠]، نصها : «لم يتكلم هذا الشارح رحمه الله على مولده ، ولا على وفاته . وقد عرف به القلصادي رحمه الله تعالى في شرحه على هذا النظم ، فقال : هو الفقيه الفرضي الإمام المتفنن الصدر العلم أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبي بكر الأنصاري الشهير بالتلمساني رضي الله عنه . كان مولده بتلمسان سنة تسع وستمائة من آخر يوم من شهر جمادى الأخيرة ، أو أول يوم من رجب من العام

المذكور، وتوفي رحمه الله ظهر يوم السبت الثاني عشر من شهر شعبان من عام سبعة وتسعين وستمائة بسبتة، ودفن بسفح جبل المينا منها بظهر يوم الأحد بعده ، نضر الله وجهه وعفا عنه، هكذا وجدته بخط شيخنا وبركاتنا أبي الحسن علي بن موسى بن عبدالله القرباقي البسطي رضي الله عنه .

ورأيت لبعض التونسيين بعد ذكر نسبه؛ زاد بن موسى الأنصاري المعروف بالتلمساني نزيل سبتة، كان رحمه الله فقيهاً فرضيّاً ، مقرئًا بالسبع ، مجيدًا محققًا ، وقورًا سمحًا ، مليح المجالسة، معظمًا عند أهل سبتة (٢١) .

قال الغرناطي : رأيته زمان الرحلة وذلك سنة إحدى وسبعين، فأثنى عليه، وقال عنه : إنه ارتحل من بلد تلمسان زمن الفتنة وذلك عام سبعة عشر وستمائة ، فنزل به والده غرناطة، فأقام بها ثلاثة أعوام، ثم انتقل لسبتة فتزوج بها أخت مالك بن المرحل، وأخذ بمالقة وإشبيلية .

وقال في الإحاطة عنه : إنه قرشي الأصل ، فقيه عارف ، مبرز في العدد والفرائض، أديبًا محسنًا، نظم أرجوزته هذه وهو ابن عشرين سنة ، وهي محكمة العمل، وإنه لمشتغل بما يعنيه بحيث إنه يكاد ينحط عن منصب الاقتصاد . وذكره ابن عبدالملك وابن الزبير في تكميلهما ، وأثنى كل منهما عليه . قال ابن الخطيب : لم يصنف أحد مثل أرجوزته في فنّه، ومولده بتلمسان سنة ٦٠٩هـ . وقال الغرناطي : «ووفاته سنة ٦٩٧هـ» (٢٢) .

٨ - المُوَّاق

الحمد لله ، وجد بخط الشيخ الأستاذ النحرير أبي زيد سيدي عبدالرحمن بن القاضي رحمه الله تعالى ورضي عنه (٢٣) .

مؤلف هذا الكتاب : محمد بن يوسف ابن أبي القاسم العبدري الغرناطي ، عالمها ومُفتيها، عرف بالمُوَّاق بضم الميم وشدّ الواو آخره قاف ، الإمام العلامة الصالح الحافظ المحقق الحجة القدوة ، قاضي الأئمة بالأندلس .

أخذ عن جماعة : كالقاضي ابن سراج، والمنتوري، ومحمد بن يوسف الصنّاع، وغيرهم .

وعنه : أبو العباس الدقون، وأبو الحسن الزقاق، وأحمد بن داوود، وجماعة .

وصفه الشريف شارح (٢٤) الشفا بالإمام العالم العامل العلامة الخطيب ،

حافظ المذهب وضابط فروعها ، المطلع عليها . انتهى .

توفي في شعبان سنة تسعين وثمانمائة عن سن عالية .

وأخبرنا صاحبنا الشيخ المسن القصار مفتي فاس أنه لما دخل الروم غرناطة سألوا عن المقدم بها في العلم ، فأشير بالمواق، فطلبوا حضوره عندهم فأبى ، فكلمه الناسُ فجاء عند وزير الطاغية فبسط له يده فقبله المواق . فلما خرج من عنده أنكر الناس عليه ذلك ، فلم يلبث يد الوزير المقبّلة أن تورم وتوجّع منها، فأمر بردّ المواق إليه وطلب منه الدعاء . انتهى .

قلتُ : ودخولهم غرناطة كان في المحرم عام سبعة وتسعين [٢٥] وثمانمائة .

ألف «التاج الإكليل في شرح مختصر خليل» وشرحًا آخر اختصره من مُسوَّدته، وهما متقاربان في الجرم يزيد كل على الآخر في بعض المواضع، اقتصر فيهما [٢٦] على غرر مسائل الأصل وفقهه من أمهات المذهب دون تعرّض لألفاظه البتّة، فإذا لم يقف على نص مسألة خليل بيض لتلك القولة ، وهما في غاية الجودة في تحرير المنقول مع غاية الاقتصار . وقد تتبعتُ حاشية الشيخ ابن غازي فوجدته يعتمد فيها على المواق، ويتكلم أحيانًا على المواضع التي بيض لها المواق وعلى مواضع أشار لإشكالها فربما ذكر بعض إصلاحاته وعزاه لبعضهم .

وله كتاب « سنن المُهتدين في مقامات الدين» تكلم على آية ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا**﴾ [٢٧] إلى آخر الآية في تسع مقامات ترقيا وتدليا، أبان فيه عن معرفته بفنون الأصول والفروع والتصوف وغيرها . فيه فوائد نحا فيه منحى شيخ الشيوخ ابن لب في طلب التأويل لكثير من المحدثات . أرسله إلى الشيخ أبي عبدالله الرصاع [٢٨]. أوائل عام ستة وثمانين وثمانمائة مع أبي عبدالله محمد ابن الفقيه الأجل المعظم أبي العباس أحمد الشريف الحسني الغرناطي[٢٩] ، وأرسله أيضًا إلى أبي الحسن علي بن قاسم بن علي بن محمد ابن أحمد البيضاوي الأنصاري في أوائل صفر عام سبعة وثمانين[٣٠] وثمانمائة مع ولده أبي عبدالله محمد بن علي بن قاسم بن علي البيضاوي الأنصاري رضي الله عنهم بمنه ، فقرّ له بأنه كلام حسن، فيه نكت ومعاني أصولية وفقهية، وأنّ مؤلفه من أهل العلم والفهم والتخلق بطريق السلف . انتهى.

الهوامش

* ابن أبي زرع . **ذكريات مشاهير رجال المغرب** رقم ٢٩، ص ٨ - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦١ .

١ - انظر :

- **الفريد في تقييد الشريد** لأبي القاسم الفجيجي ص ٨٦ .
- **درة الحجال** لابن القاضي ٢/٦١٥ .
- **جذوة الاقتباس** لابن القاضي ١/٢٤٤ .
- **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج** للقادري ١/٢٨٣، ٢/٥٦٧ .
- **سلوة الأنفاس** للكتاني ٢/١١٩ - ١٢٠.
- **التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه للشراط** مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ٤١٤ ورقة ٣٦٧ .
- **رسائل اليوسي** ١/١٤٤ - ١٤٥ .
- **هداية الملك العلام** للهشتوكي ص ١٠٢ - ١٠٤ .

٢ - ١/٣٧٢، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ٥٢١ ق .

٣ - طبعة فاس ٤/٣١، وطبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ٤/٤٠ وفيها : «العزي»، وهو تحريف .

٤ - انظر : طرّة في مقدمة الكتاب وص ٤٦٣، ٤٩٢ .

٥ - انظر : مقال محمد المنوني - نشاط الدراسات الرياضية في مغرب العصر الوسيط الرابع (عصر بني مرين) - مجلة (**المناهل**) ع ٣٣ ، س ١٢ (ربيع الثاني ١٤٠٦هـ/ ديسمبر ١٩٨٥) ص٨٧ هامش رقم ٢٨، وفيه: «ولا تعرف له ترجمة» وص ٨٨ .

٦ - مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ٥٦١ ورقة ١١و ١٥ و ١٦ و ٢١ظ.

٧ - نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية - الجامعة التونسية - سلسلة الدراسات الإسلامية (٤) - المطبعة العصرية - تونس (بلا تاريخ).

٨ - ص ٢٠٤ دراسة وتحقيق عبدالله العمراني - منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر - دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وانظر أيضًا : البسطي آخر شعراء الأندلس - محمد بن شريفة ص ١٤٩ الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر - دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

٩ - **ثبت الوادي آشي** ص ٢١٦ **والبسطي آخر شعراء الأندلس** ص ١٦ .

١٠- ص٤٧٠ رقم ٣١٥ تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) تونس - قرطاج ١٩٨٨م.

١١- بعده في **شرح أرجوزة المباحث الأصلية في الطريق الصوفية** لأبي العباس أحمد ابن أحمد بن محمد زروق البرنسي الفاسي المتوفى سنة ٨٩٩هـ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٢٨٤ د، ص ١٣٤ : «وغيره ، كذا ذكر لي بعض عدول بلدنا عن صاحب له عَدْل ، وأنه ألف في التاريخ وذكره بما قُلناه ، ولم نقف على تاريخ وفاته ولا زمانه، غير أن الظن الغالب بأنه قريب العهد رحمة الله عليه» .

١٢- انظر : تقييد في ترجمة ابن أبي زرع مؤلف القرطاس لعبدالسلام بن الطيب القادري الحسني المتوفى سنة ١١١٠هـ . ذكره المرحوم العلامة سيدي عبدالله كنون في ابن أبي زرع - ذكريات مشاهير رجال المغرب رقم ٢٩ ص ٢٠، فقال عنه : «مع أنه (أي القادري) على ما يُذكر في ترجمته ألف في التعريف بصاحبنا المؤرخ (أي ابن أبي زرع) رسالة صغيرة لم نعثر عليها ولا وجدنا عند من عثر عليها علماً زائداً بحال المترجم» .

وأحال الفقيه محمد بن عبدالهادي المنوني في **المصادر العربية لتاريخ المغرب** ١٦٧/١ رقم ٤٠٨ على وجود نسخة خطية منه ضمن كناشة توجد بالخزانة العامة بالرباط رقم ٥٤ ك، ص ١٥٠ - ١٥١ .

١٣- قال حسن الوراكلي : «ولم نظفر بترجمة له فيما رجعنا إليه من معاجم الرجال» . انظر كتابه : أبحاث أندلسية ص ٤٥ - المطابع المغربية والدولية - طنجة الطبعة الأولى ١٤١١هـ /١٩٩٠م .

١٤- قال في مقدمته : « .. وبعد ، فإنه لما أسند إليّ النظر في تقدير الفرض بمدينة المرية حرسها الله تعالى ، استقصيت النظر والبحث فيما ذكره أئمة العلم في ذلك ، وقيدته هنا على جهة التذكرة مستعيناً بالله تعالى ومعتمداً عليه ، ورتبته على عشرة فصول ومقدمة في المُدّ الذي ذكره أئمة العلم . توزيع للفرض به ، وسمّيته زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض» .

وقد أعده للنشر حسن الوراكلي اعتماداً على نسخ ثلاث :

- مخطوط خزانة جامع القرويين بفاس رقم ١٤٦٢ .
- مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٤١٦ق.
- مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٣٦٥٥د .

كما أوشكت على إتمام تحقيقه السيدة أم كلثوم الصحراوي في رسالتها لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الشريعة - جامعة القرويين بفاس تحت إشراف العلمي محمد.

١٥- من أحفاده محمد بن باق كان حيّاً سنة ٨٥٢هـ . انظر : **مجلة الأندلس** - مجلد ١٢ - فصلة ٢ - سنة ١٩٤٧ - ص ٣٧٧.

١٦- من مخطوط خاص .

١٧- انظر :

- **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام** للعباس بن إبراهيم ٤ / ٤١٠ رقم ٦٠٩.

- **القراء والقراءات بالمغرب** - سعيد أعراب ص ٣٢، ٦٢، ٦٥ - دار الغرب الإسلامي ، بيروت : الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

١٨- من مخطوط خاص .

١٩- **شرح كتاب فرائض أبي إسحاق التلمساني** تأليف عبدالرحمن بن محمد ابن مسعود بن عمر بن موسى الفارسي (مخوط خاص) ص١ - ٢ .

٢٠- مخطوط خاص - ص ١ .

٢١- **شرح كتاب فرائض أبي إسحاق التلمساني** تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن علي القرشي القلصادي المتوفى سنة ٨٩١هـ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٦٠٦ د، ص ١ - ٤.

٢٢- **الإحاطة** ١/٣٢٦ - ٣٢٩ .

٢٣- في مقدمة كتاب «**سنن المهتدين في مقامات الدين**» تأليف أبي عبدالله محمد بن يوسف العبدري المشهور بالمواق المتوفى سنة ٨٩٠هـ - مخطوط خاص - ص ١ .

٢٤- في الأصل : «صاحب» .

٢٥- في الأصل : «وثمانين» .

٢٦- في الأصل : «فيهما» .

٢٧- سورة فاطر / آية ٣٢ .

٢٨- انظر تقريظًا له على الكتاب في آخر «سنن المهتدين في مقامات الدين» مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ١١٦١ / ق ورقة ١٤٩ظ - ١٥١و .

٢٩- في المصدر السابق ورقة ١٥١ و : «وقدم بهذا الكتاب المبارك على الحضرة العلية المولوية العثمانية الفاروقية أوائل عام ستة وثمانين وثمانمائة أدام الله تعالى أيامها الزاهرة ، وشفع لها بين نعيم الدنيا وبين نعيم الآخرة، الشيخ الأجل الأحظى الأرضي أبو عبدالله محمد بن الشيخ الفقيه الأجل المعظم أبي العباس أحمد الشريف الحسني الغرناطي بلغه الله تعالى أمله، وحسن قوله وعمله، وصيرنا وإياه من الناجين، وحشرنا وإياه في زمرة سيد المرسلين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل، كمل بحمد لله تعالى وحسن عونه» .

٣٠ - في الأصل : «وتسعين» .

إجازة عبدالرزاق البيطار الدمشقي
لراشد بن عبداللطيف آل مبارك الأحسائي

محمد بن ناصر العجمي

الكويت - وزارة الأوقاف

من البيوتات العلمية العريقة الرفيعة في بلد الأحساء بيت آل الشيخ مبارك ، فقد تسلسل أهل العلم والأدب والفضل في هذا البيت، وتوارثوا النبل كابراً عن كابر فهم بيت علم ومجد وفضل، والله يؤتي فضله من يشاء [1] .

ومن أفراد هذه الأسرة الجليلة الشيخ راشد بن عبداللطيف آل مبارك .

ولد الشيخ راشد بن عبداللطيف عام ١٢٧٣هـ ، وقرأ على أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الذي تربى في حجره كما أخذ عن أخيه الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف ، وأخيه الشيخ حمد، وأخذ أيضًا عن بعض العلماء من أهل الكويت بالأحساء . يقول ابنه الشيخ الجليل يوسف بن راشد - رحمه الله تعالى - ذاكرًا طرفًا من طلبه للعلم ورحلته في سبيله :

«قرأ على أخيه الشيخ عبدالله طرفًا من العلوم الدينية والعربية ثم تجول في البلاد العربية للاستزادة من العلم، فالتقى في بغداد بكبار العلماء كالسيد نعمان بن محمود الألوسي وغيره. وفي الشام أخذ عن عالمه الشيخ عبدالرزاق البيطار وأجازه ، ودخل الآستانة وقابل السلطان عبدالحميد واتصل بكبار رجال دولته مطالبًا بإصلاح أوضاع بلده في وقت كانت الفوضى سائدة فيه ، ثم عاد إلى وطنه وقام بعد ذلك بجولات أخرى لنشر العلم والدعوة والإرشاد وقد منحه الله بسطة في العلم والجسم وقوة حافظة وشدة عارضة وطلاقة لسان وذاكرة لاتخونه وبديهة حاضرة وقدرة إقناع المخالف بأسلوب لايدع في نفسه مجالاً للتردد والشك»[2] .

وحدثني أديب العلماء، وعالم الأدباء الشيخ المؤرخ أحمد بن علي آل مبارك - حفظه الله ورعاه - أن عمّه الشيخ راشد لمّا زار إستانبول، وكان ذلك نحو عام ١٣٢٢هـ تقريبًا رأى الناس والوفود لاتسلم مُباشرة على السلطان، وإنما كان هناك عمود مطلي بالذهب يقبله القادم للسلام على السلطان بدلاً من مصافحته، فلما دخل الشيخ راشد آل مبارك وقف وقال للصدر الأعظم (رئيس الوزراء) : أريد أن أصافح السلطان كما

كان الصحابة يُصافحون النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال ذلك للصدر الأعظم أمام الوفود والناس ، فترجم الصدر ذلك للسلطان فصافحه السلطان وعظم في عينه .

توفي الشيخ راشد بن عبداللطيف - رحمه الله تعالى - بعد مغرب يوم الأربعاء في الخامس من رمضان عام ١٣٤٠هـ [٣].

حصل الشيخ راشد بن عبداللطيف على الإجازة من العلامة المؤرخ الشهير الشيخ عبدالرزاق بن حسن البيطار الدمشقي في رحلته إلى دمشق الشام ، وقد وصفه في هذه الإجازة بالعلم والفضل ، وأثنى عليه ثناء عاطراً ولايعرف الفضل إلا ذووه .

والشيخ عبدالرزاق البيطار غني عن الترجمة والتعريف فهو أحد أركان النهضة العلمية والإصلاحية في دمشق الشام في القرن الماضي، وقد توفي عام ١٣٣٥هـ [٤] .

وهذه الإجازة محفوظة عند أحد أحفاد الشيخ راشد آل مبارك وهو الشيخ نعمان ابن إبراهيم آل مبارك بالأحساء ، وتقع في ثلاث ورقات .

وإليك نص هذه الإجازة التي تدل على أن أعظم صلة هي صلة العلم والدين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع مقام أهل القرآن والحديث، وجمع لهم بمنّه بين حُسن العمل وصدق الحديث، ووضع بسديد نقدهم كل ضعيف ومعلول ، وخلع عليهم خلعة الوصول إلى ذروة المأمول ، فامتازوا عن غيرهم باعتصامهم بحبل الكتاب والسُّنَّة، وفازوا بما حازوا عليه من جميل الإحسان وجليل المنة، فهنيئًا لهم . والله لقد وقفوا على محجة الصواب، وانصرفوا عن مواقف الشكوك وكسائف الارتياب وما أحسن قول من قال وأحسن ، وفاه بما هو أغلا من الدر وأحسن.

طوبى لعبد بحبل الله معتصمُه
على صراط سوي ثابتٌ قدمُه
رث الثياب جديد القلب مستترٍ
في الأرض مشتهر فوق السماء سمه
إذا العيون اجتلته في بذاذته
تعلو نواظرها عنه وتقتحمه
مازال يستحقر الدُّنيا بهمته
حتى ترقت إلى الأخرى به هممه
فذاك أعظم من ذي التاج مُتكئًا
على النمارق محتفًا به حشمه

فهذا هو الذي تمسك من دينه بالعروة الوثقى، وتنسك على طريقة هي أقرب عند الله وأتقى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة عبد تبرأ من دنس التدليس واعتزله، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله السيد المحبوب، المبعوث رحمة للأمة عند فترة الرسل ، وموت القلوب، المنزل عليه في الكتاب، الذي وقاه الله من التغيير والتبديل وحماه ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله**﴾ [الحشر: ٧]، وعلى آله وأصحابه الناهجين كل منهج قويم ، واللاهجين ملهج سيد سلك بأمته طريق الهداية والصراط المستقيم، وبعد :

فيقول العبد الفقير ، والذليل المذنب الحقير، خادم المتمسكين بصحيح النص وصريح الخبر، والمتسلكين في الطريق الوارد عن سيد البشر، عبدالرزاق بن المرحوم الشيخ حسن بن المرحوم الشيخ إبراهيم البيطار، أحسن الله إليهم وأدخلهم في زمرة السادة الأخيار، إن من أفضل العلوم وأجلها وأتمها عند الله قدراً وأجملها علم الحديث الذي أمر الله الأمة بالعمل بما فيه، وما من عارف إلا ونادى عليه برفعته على كل العلوم بملء فيه ، كيف لا وهو شرح للكلام القديم المعلوم ، وتبيين لما انطوى عليه من بديع المنطوق وبيان المفهوم ، ولا ريب أنه :

ليس الطريق سوى طريق محمد
فهو الصراط المستقيم لمن سلك
من يمشي في طرقاته فقد اهتدى
سبل النّجاح ومن يزح عنها هلك

وإن الله قد خص هذه الأمة المحمدية بالمحافظة على الإسناد، حفظًا لشريعة المبعوث لتأييد الملة وإرشاد العباد، وإن ممن استجازني وإن لم أكن للإجازة بأهلٍ برواية كتب الحديث التي هي لمعرفة هذه الملة أصل، حضرة الشهم الهُمام الفاضل، والسلفي الأثري العالم العامل ، الأخ الصادق المشمول بالعناية الربانية، والخل الفائق الموافق ذي الأوصاف المُحمدية الشيخ راشد ابن المرحوم الشيخ عبداللطيف بن المرحوم الشيخ مبارك سليل السادة الأفاضل، ذوي المناقب والمراتب والمعارف والفضائل، فأجزته كما أراد إجابة لمطلوبه، وأنلته مأموله موافقة لمرغوبه، وأذنت له بأن يروي عني المسانيد التي هي دواوين الإسلام المنسوبة لحضرة الأئمة البخاري، ومسلم، وأبي داوود،

والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم من الأئمة الأعلام .

وإني أروي هذه الصحاح ولله الحمد بالسند المُتصل إلى أصحابها بالأخذ لذلك بعضًا دراية وبعضًا رواية وبعضًا بالإجازة من أربابها ، وكان ذلك عن مشايخ مُكثرين ما بين دمشقيين وغيرهم من السادة المتمكنين، ومن أجلهم لديّ وأحبهم إليّ سيدي وسندي القدوة الملاذ حضرة والدي الشيخ حسن البيطار (٥)، أدخله الله دار كرامته مع الأتقياء الأبرار، وهو يروي ذلك عن شيخ الشام وعُمدة العلماء الأعلام الشيخ عبدالرحمن الكزبري ، وهو عن والده الشيخ محمد الكزبري، وهو عن والده الشيخ عبدالرحمن الكزبري وخاله الشيخ علي الكزبري، وهما عن العارف بالله الشيخ عبدالغني النابلسي، وهو عن النجم الغزي ، هو عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وهو عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، وهو عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو بسنده المتصل إلى أرباب الكتب الستة وغيرها من السادة المُحدثين كما هو في ثبته مذكور .

وأما صحيح سيدنا الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجُعفي ، فإن سيدنا الحافظ ابن حجر المذكور يرويه عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد التنوخي البعلي الأصل، الدمشقي المنشأ، وهو عن أبي العباس أحمد ابن أبي طالب الصالحي ، وهو يرويه عن سراج الدين أبي عبدالله الحُسين بن المبارك، وهو يرويه عن أبي الوقت عبدالأول بن عيسى الهروي، وهو يرويه عن أبي الحسن عبدالرحمن الداوودي، هو يرويه عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، وهو يرويه عن أبي عبدالله محمد ابن يوسف بن مطر بن صالح الفربري، وهو يرويه عن الإمام الحافظ المُحدث المجتهد أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي ، وهو يرويه عن إمام الدنيا في الحديث سيدنا مالك إمام المذهب (٦)، وهو يرويه عن سيدنا الإمام نافع ، وهو يرويه عن سيدنا عبدالله بن عمر عن السيد الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإني أسأل الله لي وللمستجيز بلوغ المرام مع التفضل علينا وعليه وعلى المسلمين بِحُسن الخِتام .

٢١ جمادى الثانية سنة ١٣١٦ بقلم الفقير إليه عبدالرزاق البيطار عفي عنه .

بعضا دراية وبعضا رواية وبعضا بالاجازة من أربابها وكان ذلك عن مشايخ كثيرين
ما بين دمشقيين وغيرهم من السادة المتمكنين ومن اجلهم لدي واخبرهم الي
سيدي الاستاذ وسندي القدوة الملاذ حضرة والدي الشيخ حسن البيطار
ادخله الله دار كرامته مع الاتقياء الابرار وهو يروي ذلك عن شيخ الشام وعمدة
العلماء الاعلام الشيخ عبد الرحمن الكزبري وهو عن والده الشيخ محمد الكزبري وهو
عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري وخاله الشيخ علي الكزبري وهما عن العارف بالله
الشيخ عبد الغني النابلسي وهو عن النجم الغزي وهو عن شيخ الاسلام البدر الغزي
وهو عن شيخ الاسلام القاضي زكريا الانصاري وهو عن شيخ الاسلام الحافظ
ابن حجر العسقلاني وهو سنده المتصل الى أرباب الكتب الستة وغيرها من السادة
المحدثين كما هو في ثبته مذكور واما صحيح سيدنا الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل
ابن ابراهيم البخاري الجعفي فان سيدنا الحافظ ابن حجر المذكور يرويه عن ابي اسحق
ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد التنوخي البعلي الاصل الدمشقي المنشأ وهو عن ابي
العباس احمد بن ابي طالب الصالحي وهو يرويه عن سراج الدين ابي عبد الله
الحسين بن المبارك وهو يرويه عن ابي الوقت عبد الاول بن عيسى الهروي
وهو يرويه عن ابي الحسن عبد الرحمن الداودي وهو يرويه عن ابي محمد عبد الله بن احمد
ابن حمويه السرخسي وهو يرويه عن ابي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الفربري وهو
يرويه عن الامام الحافظ المحدث المجتهد ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم
البخاري الجعفي وهو يرويه عن امام الدنيا في الحديث سيدنا مالك امام المذهب
وهو يرويه عن سيدنا الامام نافع وهو يرويه عن سيدنا عبد الله بن عمر عن السيد الاعظم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واني اسأل الله لي وللمستجير بلوغ المرام مع حسن الختام
علينا وعليه وعلى المسلمين
في ربيع الثاني سنة ١٣١٦ بقلم الفقير اليه عبد الرزاق البيطار عفي عنه

صورة الورقة الأخيرة من إجازة الشيخ عبدالرزاق البيطار بخطه للشيخ راشد آل مبارك

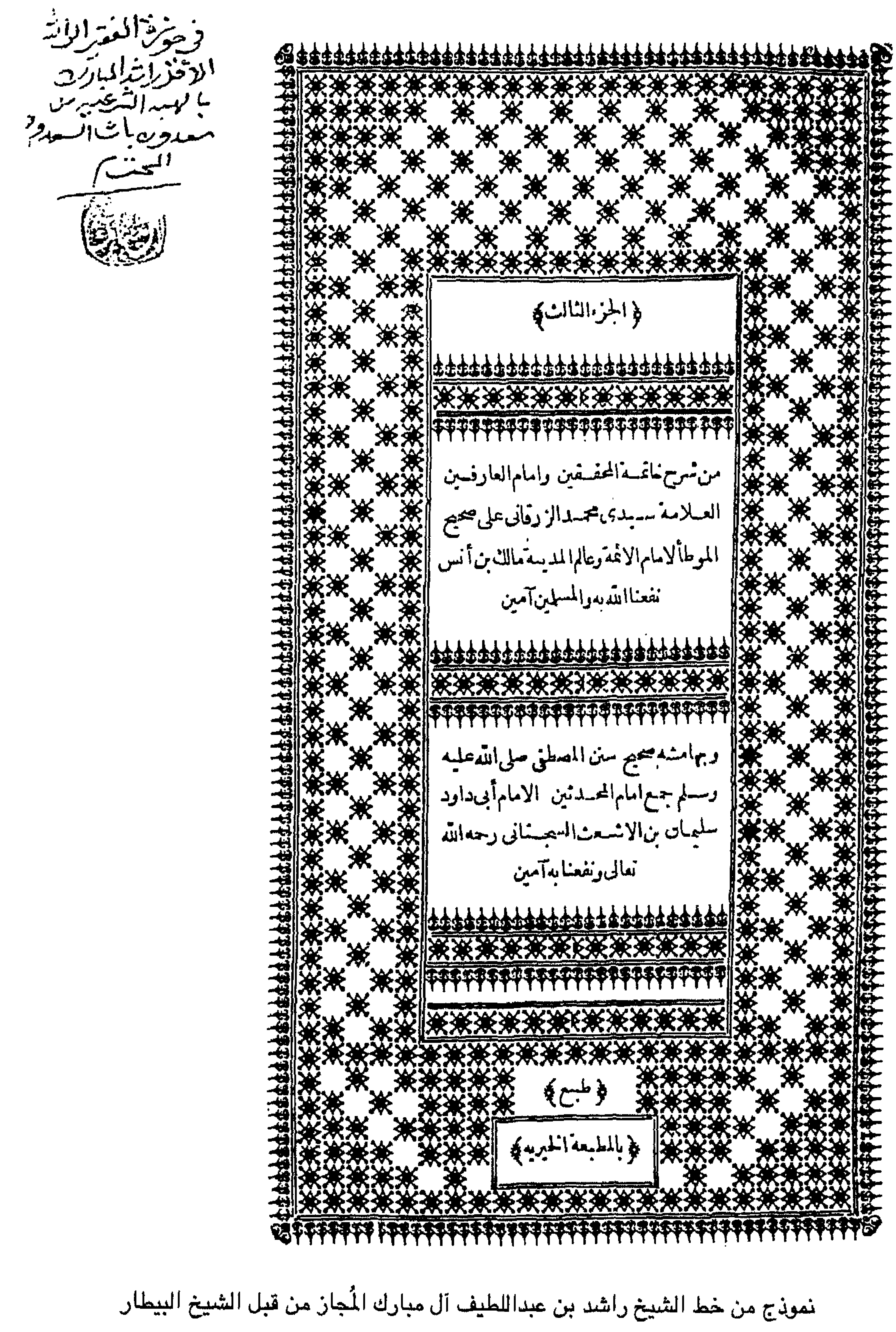
في حوزة الفقير إلى الله
الأخ راشد المبارك
بالهبة الشرعية من
سعدون باشا السعدون
المحترم

﴿ الجزء الثالث ﴾

من شرح خاتمة المحققين وامام العارفين
العلامة سيدى محمد الزرقانى على صحيح
الموطأ لامام الائمة وعالم المدينة مالك بن أنس
نفعنا الله به والمسلمين آمين

وبهامشه صحيح سنن المصطفى صلى الله عليه
وسلم جمع امام المحدثين الامام أبى داود
سليمان بن الاشعث السجستانى رحمه الله
تعالى ونفعنا به آمين

﴿ طبع ﴾

﴿ بالمطبعة الخيريه ﴾

نموذج من خط الشيخ راشد بن عبداللطيف آل مبارك المُجاز من قبل الشيخ البيطار

الهوامش والمصادر

١ - انظر : الدراسة التي عملها عبدالحميد آل مبارك عن المذهب المالكي، وترجمته لجمع من أجلاء علماء آل مبارك في تقديمه لكتاب **«تسهيل المسالك إلى هداية السالك»** للشيخ مبارك بن علي الأحسائي (٣٩/١ -٨٣) ط . مكتبة الإمام الشافعي بالرياض سنة ١٤١٦هـ.

٢ - **مجلة العرب**، سنة ١٣٩٤، ص٦٧٠.

٣ - المصدر السابق .

٤ - انظر : الدراسة التي أجريتها عن حياة هذا العلامة في التقديم لكتاب **«نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبّة النسر»** للشيخ عبدالرزاق البيطار (ص ٩ - ٧٧) ط . دار البشائر الإسلامية ، بيروت سنة ١٤١٨هـ .

٥ - ترجم العلامة عبدالرزاق البيطار لوالده في كتابه **«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»** (٤٦٣/١ - ٤٧٥) ط . مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٨٠هـ .

٦ - من المعلوم والمعروف عند علماء الحديث أن الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - لايروي عن الإمام مالك مباشرة وإنما يروي عنه بواسطة بعض تلاميذه .

مخطوطة كتاب
تاريخ أدباء مالقة

ويسمى : مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد مالهم من المناقب والآثار

تأليف : أبي بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي
(المتوفى بعد سنة ٦٣٩هـ)

قاسم بن أحمد السامرائي
لايدن - هولندا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

حديثي يدور حول مخطوطة فريدة، لا ثانية لها في ما أعلم (١)، في تراجم رجال مالقة تداولتها الأيدي على مدى خمسة قرون في الأقل لتظهر أخيراً، بعد رحلتها الطويلة التي فقدت فيها بعض أوراقها، عند الشيخ محمد العرائشي الذي كان مديراً لإحدى المكتبات العامة في مدينة مكناس ومن ثم عند أحد أصحاب دكاكين الكتب في الرباط الذي اشتراها، على ما يظهر، من الشيخ العرائشي .

تقع هذه المخطوطة في ١٠٥ ورقات إلا أنها تنقص ورقة أو اثنتين من خلالها(*) ومثل ذلك من نهايتها ؛ وتحتوي على ثمان وستين ومئة ترجمة (إضافة إلى جزء صغير من ترجمة ابن الوحيدي الضائعة مع غيرها)، لطبقات مختلفة من القضاة والفقهاء والشعراء والنحاة والأدباء والأمراء والولاة من المالقيين أو من الطارئين عليها من مدن الأندلس والمغرب .

لقد كانت مالقة أحد المراكز الثقافية العامرة في جنوب شرق الأندلس، كما كانت قاعدة لخلافة بني حمود العلويين وبني هود الجذاميين . وقد تتابع عليها الزيريون والموحدون وبنو حسون وغيرهم .

وأخيرًا استولى عليها بنو نصر أصحاب غرناطة في سنة ٦٣٥ للهجرة وضموها إلى ملكهم لتؤول بعد ذلك للمرينيين الذين تنازلوا عنها لأصحاب غرناطة حتى سقوطها بيد النصارى في ٢٧ شعبان من سنة ٨٩٢هـ / ١٨ أغسطس ١٤٨٤م لتتبعها غرناطة بعد ذلك في سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م .

الحق أن مؤلفها أبا بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي لم يكن أول من صنف في تراجم رجال مالقة . فقد ذكر السخاوي أن ابن خميس هذا استمد في كتابه من جملة من المصادر بما فيها كتاب **رجال مالقة** المؤلف للحكم المستنصر المتوفى سنة ٣٦٦هـ، فلعل السخاوي يشير إلى كتاب **أخبار رية** لإسحاق بن سلمة بن الوليد القيني الذي يقول فيه ابن الفرضي : "كان حافظًا لأخبار الأندلس معتنيًا بها، جمع كتابًا في أخبار الأندلس أمره بجمعه المستنصر بالله" (٢) .

ويؤكد الحميدي على أن للقيني هذا كتابًا "يشتمل على أخبار رية من بلاد الأندلس وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها" (٣) . وهناك أيضًا **تاريخ فقهاء ريَّة** للقاسم بن سعدان المتوفى سنة ٣٤٧هـ، الذي اقتبس منه ابن الفرضي وترجم له (٤)، وريَّة هو الاسم القديم لمالقة (٥) .

وذكر السخاوي أيضًا أنَّ أبا زيد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري القيرواني صاحب كتاب **معالم الإيمان وروضات الرُضوان من علماء القيروان** (٦)، كتب كتابًا في المشهورين من علماء مالقة رتبه على الطبقات (٧) .

ثم هناك كتاب **أدباء مالقة** لابن الصيرفي وهو أحد مصادر ابن خميس وابن الزبير وابن عذاري وكتاب **الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام** لأبي العباس أصبغ بن علي المالقي المتوفى سنة ٥٩٢هـ، وهذا هو الكتاب الذي كتب ابن عسكر صلته له وهو خال مؤلف هذه المخطوطة التي أحدثكم الآن عنها وعن مصادرها .

ترجع معرفتي بمخطوطة كتاب **أدباء مالقة** لابن خميس إلى أكثر من عشر سنوات خلت، فقد رأيتها لأول مرة عند أحد الكتبيين بالرباط في سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م،

فوصفتها في مقالة قصيرة ظهرت في مجلة **عالم الكتب** السعودية قبل أن أطلع على مقالة الشيخ محمد العرائشي المكناسي في مجلة دعوة الحق ومقالة الأستاذ محمد الفاسي في مجلة **المناهل**، قلت فيها : "الأمر الغريب في هذه المخطوطة أنها معروفة جداً عند غالبية المعنيين بالمخطوطات من العلماء المغاربة وبعض المشارقة بعامة وبالتاريخ المغربي والأندلسي بخاصة، إلا أن أحداً لم يجرؤ بعد على تحقيقها ونشرها، مع وجود أصلها وعدد من النسخ المصورة منها في حوزة جملة من هؤلاء العلماء [٨]، إضافة إلى وجود مصورة منها في الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بالرباط[٩] وأخرى في مكتبة مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود بالدار البيضاء".

إن إحجام المحققين عن نشرها يعود إلى أن الشيخ محمد العرائشي قد وعد بنشرها في مقالته عنها، فقال : "ومنذ أن قدمت هذا المخطوط لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات وأنا منهمك في تصحيحه وجمع شتاته، وبمجرد فراغي من تصحيح القسم الأول منه سأقدمه للطبع عندما تتيسر أسبابه بإذن الله تعالى، ونظراً لكوني أمتلك النسخة الأصلية فإنني أحتفظ بجميع حقوقي القانونية فيما يرجع للنشر، وكل من قام بعمل يتنافى وتلك الحقوق فإنني أعتبره مختلساً ومتعدياً على حقوق الغير بدون موجب" [١٠] .

ولهذا فما أظن أن أحداً يود أن يكون مختلساً ومتعدياً على حقوق الغير فيجرؤ على نشرها قبل أن يبيعها العرائشي للكتبي الرباطي ؟!

وفي نهاية المقالة قلت : "إن هذه المخطوطة نفيسة في تفردها بجملة من المعلومات عن أدباء وعلماء مالقة وغيرهم، إضافة إلى احتوائها على إشارات تاريخية ومناقشات نادرة لا تتوفر في كثير من المصادر الأندلسية التي وصلت إلينا فهي جديرة بالتحقيق وقمينة بالنشر والإشاعة" .

ومع هذا فلم أكن أول من نبَّه على أهميتها والتعريف بها، إذ سبقني كل من العلماء الأعلام : محمد الفاسي [١١]، ومحمد العرائشي [١٢]، ومحمد المنوني [١٣]، إلى التعريف بها والتنويه بأهميتها في ما نشروه عنها، ومن ثم فقد استعان بها كل من

محمد بن شريفة وإحسان عباس في تحقيقهما كتاب **الذيل والتكملة** لابن عبدالملك المراكشي معًا وابن شريفة في تحقيق قسم من كتاب **صلة الصلة** لابن الزبير، وعبدالسلام الهراس والشيخ سعيد أعراب في تحقيقهما كتاب **صلة الصلة** لابن الزبير أيضًا، وإبراهيم بن مراد الذي اختار من هذه المخطوطة جملة من القصائد في كتابه **مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها** (١٤)، التي اختارها من مجموعة مخطوطة بتونس اعتمد مؤلفها أو مؤلفوها على تتمة ابن خميس (١٥)، واعتمد عليها أيضًا أحد محققي كتاب **سير أعلام النبلاء** للذهبي وعياد بن عيد الثبيتي في تحقيقه كتاب **الإفصاح عن أوهام أبي علي الفارسي في كتاب الإيضاح** لابن الطراوة المالقي (١٦). ولا أكاد أشك في أن هناك آخرين، لم أقع على عملهم بعد، قد اعتمدوها في تحقيقاتهم؛ فهل عند مخبر خبرٌ ؟

يكاد يجمع كل من ترجم لأبي عبدالله محمد بن علي بن خضر الغساني المعروف بابن عسكر المتوفى سنة ٦٣٦هـ على أنه صنف كتاب **الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام** وهو صلة أو تكملة أو ذيل لكتاب **الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام** لأبي العباس أصبغ بن علي بن هشام ابن عبدالله المالقي المتوفى سنة ٥٩٢هـ، الذي ختمه بمن اسمه عبدالوهاب على قول ابن عبدالملك (١٧) . ويخبرنا ابن عبدالملك أيضًا: "أن لهذا الكتاب اسمًا آخر وهو **مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار**" (١٨)، بيد أن السخاوي الذي لابد وأن رأى نسخة منه نسب هذا العنوان لتكملة ابن خميس .

ويضيف هؤلاء المترجمون "إلا أن منيته (أي : ابن عسكر) اخترمته قبل أن يتم كتابه حيث وصل إلى حرف الميم من تراجمه، فتولى ابن أخته أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس إكماله" (١٩)، وكل هذا واضح جلي في المخطوطة إذ تبدأ بترجمة أبي عبدالله محمد بن عمثيل العاملي دون أية مقدمة أو ديباجة على غير عادة المصنفين

مما يوحي أن ابن خميس أكمل بالفعل كتاب خاله وأن هذه المخطوطة إنما هي قطعة من كتاب ابن عسكر، بيد أن السخاوي نقل لنا جزءًا كبيرًا من مقدمة ابن خميس في كتاب **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** من كتاب ابن خميس نفسه [٢٠]، مما يدل على أن ابن خميس أكمل كتاب خاله بكتاب مستقل، وهذا أيضًا تنفيه الإشارات الواردة في هذه المخطوطة وهي :

١ – في ترجمة خاله قال : "هو خالي رحمه الله مبتدئ هذا الكتاب" .

٢ – في ترجمة محمد بن الحسن الجذامي ، قال : "وقد ذكر خالي رحمه الله والده فيما تقدم من هذا الكتاب" .

وقد أكد النباهي في كتاب **المرقبة العليا** هذا، إذ اقتبس نصوصًا من كتاب ابن عسكر [٢١] تتعلق بهذا القاضي لا توجد في المخطوطة .

٣ – قال ابن خميس في ترجمة أبي عمران : "وللأدباء في أبي عمران موسى بن رزق أمداح رائعة أذكر طرفًا منها إذ وعد خالي رحمه الله فيما مضى من هذا الكتاب بذكر بعضها في باب موسى"، وقد فعل .

٤ – في ترجمة سليمان بن أحمد بن أبي غالب قال : "وقد تقدم ذكر والده"، وهو يعني في كتاب خاله في باب الألف .

٥ – في ترجمة أبي بكر يحيى بن الحسن بن صفوان القيسي قال : "وقد تقدم ذكر والد أبي بكر في باب الحسن"، ويعني في كتاب خاله .

يتضح لنا من كل هذه الإشارات أن ابن خميس لم يكن معنيّاً بتصنيف كتاب مستقل عن كتاب خاله بالرغم من تصديره بمقدمة مفردة، وهذا ما لاحظه أصحاب التراجم الذين اقتبسوا إما من أصل ابن عسكر أو من تكملة ابن خميس مثل ابن عبدالملك [٢٢]، وابن الزبير [٢٣] والنباهي وابن حجر [٢٤] العسقلاني والسخاوي حين نسبوا ما اقتبسوه من الأصل لابن عسكر أو من التكملة (التتمة أو التتميم) [٢٥]، لابن خميس. بل الغريب أن بعض هذه الاقتباسات منسوبة لابن عسكر وهي موجودة في مخطوطتنا بالنص والفص [٢٦]،

مما يوحي أن الأمر اختلط عليهم أو أن ابن خميس أعاد كتابة الترجمة وأضاف إليها ما وجده في كتاب خاله، ومع هذا فلا أكاد أشكُّ إطلاقًا في أن ابن الزبير وابن عبد الملك والنباهي ولسان الدين ابن الخطيب الذي نص على نقله من تكملة ابن خميس فقال : "وقد نقلت منه في هذا الكتاب" (٢٧) فإن هؤلاء قد نقلوا من كتاب ابن عسكر وتكملة ابن خميس دون عزو أكثر بكثير مما عزوه إليهما. ويظهر هذا واضحًا جليّاً من مقارنة بعض نصوص تراجمهم مع نصوص تراجم المخطوطة.

ابن خميس : حياته ومصادره

قبل أن نتعرض إلى مصادر ابن خميس، لابد لنا أن نعرف شيئًا عن حياة هذا المؤلف الذي لم يترك لنا الزمن له إلا هذه المخطوطة اليتيمة، فإن ما وصل إلينا من كتب التراجم التي تضمنت رجال عصره خالية من أية ترجمة له بالرغم من اعتمادها عليه في تراجم المالقيين، وذلك لأنها لم تصل إلينا كاملة ؛ والظاهر أن ابن عبدالملك قد ترجم له في الجزء السابع من كتاب **الذيل والتكملة** الذي لم يصل إلينا بعد، فإنه في معرض حديثه عن كتاب ابن عسكر قال : "فتولى إكماله ابن أخته أبو بكر بن محمد بن خميس المذكور" (٢٨) .

ومع هذا فإن المخطوطة تحتوي على معلومات جمة يستطيع الباحث أن يتعرف من خلالها على شيوخه وشيوخ شيوخه، ومن أجازه منهم وأقرانه وأصحابه والبيئة الثقافية التي نشأ فيها بل والعلوم التي تلقاها .

ومع كل هذا فإننا لانعرف عن أسرته شيئًا إلا عن خاله ابن عسكر بيد أنه ذكر لنا خالاً آخر هو أبو الحسن علي فقال : "أخبرني بعض أصحاب خالي أبي الحسن رحمه الله أن خالي كان قد استجازه في آخرين ممن أدركتهم ولادتي فأجازوني ولكن لم أقف على ذلك فلم أسامح نفسي في الرواية بهذه الإجازة"، فلعله أخو خاله أبي عبدالله محمد بن عسكر .

ثم أنه أورد لنا ترجمة لعلي بن محمد ابن علي بن عسكر الأنصاري فيقول فيه : "هو خال خالي" . وفي تعليق كتبه محمد بن إبراهيم بن سلمة الخزرجي على حواشي إحدى نسخ كتاب **الذيل والتكملة** لابن

عبدالملك المراكشي [٢٩]، يظهر لنا منها أنه كان يمتلك نسخة من تكملة ابن خميس[٣٠]، ويظهر لنا من تعليقه أيضًا أن لابن خميس ابن خال أو خالة آخر هو القاضي أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن علي بن بُرطال الأموي المالقي، وهو آخر من روى عن الشيخ عيسى بن سليمان الرُعيني المتوفى سنة ٦٣٢هـ، بإفادة خاله أبي عبدالله محمد ابن علي بن خضر بن عسكر . والغريب في الأمر أن ابن خميس ترجم للرعيني هذا فقال: "قرأت عليه بمالقة كثيرًا ووصل مالقة من ديار المشرق في أوائل عام واحد وثلاثين وست مئة، وكان رحمه الله قد قدم بواسطة خالي للإمامة بالمسجد الجامع بمالقة فمرض رحمه الله قبل أن يصلي بالناس واستمر مرضه إلى أن توفي"، إلا أنه لم يترجم لابن خاله أو خالته هذا بينما نجد النباهي يترجم لابنه القاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الأموي المعروف بابن بُرطال المتوفى بمالقة بالطاعون سنة ٧٥٠ للهجرة [٣١] . بل الغريب أنه لا يذكر لنا شيئًا عن أبيه أو إخوته إن كان له إخوة . ومع هذا فإن ابن خميس يذكر لنا في ترجمة محمد بن يوسف بن عمار المتوفى سنة ٦٢٤هـ أنه : "أول من أدبني وعلمني القرآن، فقد كنت أقرأ عليه القرآن في الصغر وأنا يومئذٍ من نحو ست سنين فربما كان النوم يَغلِبُني فكان يَضمُّني إلى نفسه ويُغطيني بردائه جزاه الله خيرًا" .

وفي حديثه حول قصيدة منسوبة للقائد أبي عامر قال : "وجدت بخط خالي رحمه الله ما نصه : أنشدني الفقيه القاضي أبو الطاهر السبتي ... هكذا ألفيتها بخط خالي، وذكر لي شيخي ومعلمي الفقيه الأجل العالم المحقق أبو عبدالله الأستجي أن هذه القصيدة صنعها للقائد أبي عامر أحد الطلبة وأنها ليست من شعره وهذا هو الصحيح والله أعلم"، وهذا يذكرِّنا بأن هذه الصنعة ليست جديدة . وأعاد هذه الألقاب في ترجمة والد الأستجي فقال : "هو والد شيخنا ومعلمنا الأستاذ العالم أبي عبدالله أبقاه الله"، فهو لم يصف أحدًا بـ : "معلمي" إلا هذا الشيخ وخاله ابن عسكر الذي كان أيضًا "مقرئًا نحويًا ماهرًا" [٣٢] . وقد كان

الأستجي "يغلب عليه الأدب" [٣٣] وأنه توفي بعد سنة ٦٣٩هـ بقليل، فمن هذه الإشارة نعرف أن ابن خميس كتب هذه الترجمة والأستجي لم يزل حيّاً وأن ابن خميس كان يغلب عليه الأدب وأنه لم يكن من أصحاب الحديث أو الفقه أو الشروط أو القراءات بالرغم من أنه درس هذه العلوم كلها على شيوخه، وهذا واضح في عدد الاقتباسات الأدبية والشعرية الكثيرة التي نقلها شفاهاً من شيخه النحوي أبي عمرو بن سالم أو من خطه، وذلك في قوله المتكرر : "حدثني الأديب أبو عمرو بن سالم"، أو "نقلت من خط أبي عمرو أو وجدت بخط أبي عمرو" . وأبو عمرو هو سالم بن صالح بن سالم اليحصبي المتوفى سنة ٦٢٠هـ" [٣٤] من نحاة مالقة المشهورين، كان يقريء فيها العربية [٣٥]، فقد نقل عنه أخباراً وقصائد تلقاها عن شيوخه في واحدٍ وستين موضعًا من المخطوطة . وهو أكبر عدد من الاقتباسات التي نقلها عن شيخ واحد . ولم يكن حظ خاله يسيراً أيضًا من اهتمامه به وحبه له، ويظهر هذا واضحًا جليّاً في الترجمة الطويلة التي عقدها له وفي تعويله على روايات خاله الكثيرة التي أخذها منه شفاهًا أو التي نقلها من خطه في اثنين وعشرين موضعًا . ذكر في واحد منها أنه كان هناك رجل يستطيع أن يقرأ ما يكتب له تحت أثوابه باللمس من غير أن يعاين ما في الطرس مكتوبًا، فأورد لنا شعر خاله في وصفه :

وقاريءٍ ما تحت أثوابه
كأنما ينظر في طرسه

قرائح فاضت بأعضائه
فانقلبت فيه إلى حِسِّه

كأنما قوةُ إبصاره
قد نُقلت منه إلى لمسه

كأنما الحرف له نابضٌ
وهو كجالينوس في جَسه

فيا لها من آية أعجزت
عن مثلها كلُّ بني جنسه

لقد حرص ابن خميس، كأي مصنف أمين على صنعته، على إسناد أخباره إلى مصادرها؛ إن كانت هذه المصادر كتبًا أو شيوخًا أو أقرانًا وأصحابًا، فعلمنا منه أنه اعتمد على كتاب أبي العباس أصبغ بن علي

المالقي السابق حيث اقتبس منه في ٢٦ موضعًا، وعلمنا منه أيضًا أنه كان يمتلك نسخة منه ، فقد أورد ترجمة عروة بن ماء السماء فقال : "وجدت هذا الاسم في مدرجة في كتاب ابن أبي العباس بخط الفقيه أبي الطاهر السبتي" . وأبو طاهر السبتي هذا هو أحمد بن علي بن عبدالله المالقي الشريف السبتي المتوفى سنة ٦١٢هـ، وهو أحد شيوخ خاله (٣٦) ، وله كتاب في تراجم موثقي أهل زمانه، ومن هذا الكتاب اقتبس ابن خميس أخبار الموثقين في اثني عشر موضعًا.

ويخبرنا في ترجمة صاحبه محمد بن حسن الأنصاري المعروف بالبنّالي أن له كتابًا سمّاه : **طلائع الزهرة الندية في سقوط زهرة الثنية** أثبت فيه أشعار الطلبة بمالقة وحُلاهُم فيه"، وقال : "وقد ذكرت له منه في مواضع من هذا الكتاب"، وقد فعل . وفي ترجمة شيخ خاله أبي محمد عبدالله بن الحسن القرطبي شيخ المحدثين بمالقة، المتوفى سنة ٦١١هـ، يخبرنا أيضًا فيقول : "ذكره شيخنا الفقيه المحدث الخطيب أبو القاسم الطيلسان أكرمه الله في كتابه المسمى بـ : **اقتطاف الأنوار واختطاف الأزهار** في ذكر شيوخه، وابن الطيلسان هذا هو القاسم بن محمد الأوسي المقرىء المتوفى سنة ٦٤٢هـ وهو شيخ أبي الحسن الرعيني أيضًا الذي أثنى عليه كثيرًا في برنامج شيوخه (٣٧). ومن ثم فإن قوله : "أكرمه الله" يدل على أن ابن خميس قد كتب كتابه هذا قبل هذا التاريخ مما يؤيد قول السخاوي : "وانتهى كتاب ابن خميس في سنة تسع وثلاثين وست مئة" (٣٨) . والظاهر أن السخاوي اعتمد دون شك في هذا التاريخ على تاريخ وفاة ابن الفخار في سنة ٦٣٩هـ الذي ذكره ابن خميس . وقد كان ابن خميس صديقًا وصاحبًا لأبي بكر أحمد المعروف بحميد ولد القرطبي الذي حدثه عن خاله أبي بكر ابن زنون، وهو من العائلة المالقية العريقة في العلم والرئاسة ، وأنشده شعرًا نقله عنه ، ومنه عرف أنه ألف في سيرة أبيه فقال : "وذكره ابنه صاحبنا الفقيه أبو بكر حميد في كتابه المسمى : **شكر المنة في محاسن خادم السنة** يعني أباه الأستاذ أبا محمد ، فإنه جمعه في

فضائله وعلمه وجملة أخباره" .

ولابد وأن صاحبه هذا قد أطلعه على برنامج شيوخ والده فلم ير فيه ذكرًا لابن أبي زمنين ؛ أحد شيوخ القرطبي فقال : "وحدث عنه جماعة من شيوخنا إلا أن الأستاذ أبا محمد القرطبي رحمه الله أسقطه من شيوخه". فنقل ابن عبدالملك المراكشي قول ابن خميس وحوره دون ذكر مصدره فقال: "روى عنه أبو محمد بن الحسن القرطبي ثم تركه ولم يذكر لذلك علة" (٣٩) .

ومن شيوخ ابن خميس يبرز قرطبيان آخران هما: محمد بن عبيدالله الأوسي القرطبي المتوفى سنة ٦١٧هـ الذي ترجم له فقال : "كان مقرئًا لكتاب الله تعالى، عالمًا بطرق الرواية قائمًا على تجويده وإتقانه، حافظًا للفروع"، فنقل ابن عبدالملك ترجمته منه (٤٠) دون إشارة إلى مصدره، وابنه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيدالله الأوسي القرطبي الذي لم نعثر له بعد على ترجمة إلا أن ابن خميس وصفه بالفقيه الأجل الخطيب المحدث.

الواضح أن ابن خميس لم يقتصر في تجميع معلوماته على المصادر المكتوبة المتوفرة لديه مما وصل إلينا مثل : **صلة ابن بشكوال** **وجذوة المقتبس** للحميدي **وقلائد العقيان** للفتح ابن خاقان **وتاريخ علماء الأندلس** لابن الفرضي **وبغية الملتمس** له أيضًا **والمقتبس** لابن حيان **وزاد المسافر** لصفوان بن إدريس التجيبي، أو ما لم يصل إلينا بعد مثل : كتاب **الاستيعاب في التاريخ** لأحمد بن محمد الرازي (٤١) الذي كان من مصادر ابن عبدالملك (٤٢)، وتاريخ أحمد بن سعيد ابن أبي الفياض الذي كان مؤلفه معاصرًا لابن حزم ومنه نقل الحميدي والنباهي، **وتاريخ ابن حمادة** الذي كان من مصادر ابن حيان وابن الخطيب وابن عذاري أيضًا، ورسالة شيخه أبي علي الحسن ابن كسرى (٤٣) المتوفى سنة ٦٠٣هـ إلى أهل سبتة في تراجم أدباء عصره ، **والمقامات المحسنية** لأبي عبدالله الجوني (٤٤)، وديوان شعر محمد بن عبدالعزيز بن عياش التجيبي الذي جمعه ابن مرج الكحل ورسالة ابن الحنّاط (٤٥) وتاريخ ابن الصيرفي في أدباء مالقة وهو من مصادر ابن الزبير وابن عذاري أيضًا وتاريخ ابن مزين الذي كان من

مصادر جملة من المؤرخين [٤٦]، **وتاريخ المظفري** لصاحب بطليوس الذي كان من مصادر العديد من المؤرخين الأندلسيين والمشارقة مثل ابن سعيد في **المغرب** وابن رأس غنمة الإشبيلي [٤٧] وابن خلكان وابن حجر في **الإصابة** [٤٨] مثلاً ، وأخيرًا كتاب خاله **نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر** الذي صنفه لعبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالملك بن سعيد، حفيد الصحابي عمار بن ياسر، بل إن ابن خميس كان يستمد أخباره من برامج من ترجم لهم مثل برنامج ابن الفخار وبرنامج القاضي عياض بن محمد حفيد صاحب **الشفا** وفهرسة أبي علي الرندي التي قرأها عليه وفهرسة أحمد ابن الباذش الذي انتقد عليه وصف المقرىء ابن يملى بالكذب فدافع عنه وأثبت خطل قوله بأن أحال على أقوال ابن بشكوال والرندي والسهيلي فيه، أو من تلامذتهم أو أقربائهم أو من أصحابه وأقرانه، فيقول حدثني صاحبنا فلان بن فلان وهو جده لإمه أو وهو قريبه، دون أن يَغفل عن ذكر مصدره إلا في خمس حالات حين لم يصرح باسم مصدره فقال : "وجدت بخط بعض الشيوخ"، و"حدثني من أثق به"، و"ولقد أخبرت" . وفي حالة واحدة فقط قال فيها : "قال بعض المؤرخين" وهي يعني الحميدي . وفي موضع آخر قال : ألفيت في بعض التعاليق" .

ولو استعرضنا قائمة شيوخه الذين قرأ عليهم أو الذين أجازوه فعلاً، فإنه يظهر لنا أن ابن خميس لم يرحل قط عن مالقة للأخذ عن شيوخ الأندلس من أهل عصره، بل إنه لم تكن له رحلة إلى المشرق على عادة علماء الأندلس والمغرب الذين كانوا يؤدون فريضة الحج ويأخذون عن علماء الأمصار التي يمرون فيها لأن شيوخه كانوا إما من المالقيين أو من الطارئين عليها . ومع كل هذا فإن ابن خميس كان قد ألم بعلوم عصره واحتوى عليها . فقد أخذ النحو والعربية عن أبي عمرو بن سالم ، شيخ نحاة مالقة المتوفى سنة ٦٢٠هـ، وأخذ القراءات والعربية والأدب عن أبي علي الرندي "المبرز في إقراء الكتاب العزيز وتعليم العربية والأدب"، وهو الذي قرأ عليه الرعيني كتاب سيبويه [٤٩] بمالقة، وعن أبي جعفر ابن الجيار، شيخ الرعيني أيضًا [٥٠] .

ولابد أنه قرأ القراءات السبع وسمع **صحيح البخاري** والنسائي **والشفا** لعياض **والموطأ** وما إلى ذلك على شيخه أبي زيد عبدالرحمن الخزرجي القمارشي المتوفى سنة ٦٣٧هـ، وذلك لأنه قال : "قرأت عليه وأخذت عنه وأجازني إجازة عامة". فقد كانت هذه الكتب من مروياته التي أخذها عنه الرعيني أيضًا(٥١) . وأخذ الحديث النبوي وصناعة التوثيق عن شيخه عبدالله بن عبدالعظيم (٥٢) المتوفى سنة ٦٣٠هـ، فقال فيه: "له تواليف عجيبة ككتاب **الأوليات من الخفيات والجليات** وكتاب **الاقتصار والتقريب في ذكر رجال الموطأ**، سمعت عليه بعضًا من الكتابين وناولنيهما . سمعت عليه رحمه الله كثيرًا وناولني وأجازني إجازة عامة" . وسمع على هذا الشيخ أيضًا حديث المشابكة المشهور في سنة ٦٢٦هـ . وأجازه أيضًا الشيخ عبدالله بن يوسف البلوي المتوفى سنة ٦٣٣هـ، الذي "كان متقدمًا في صناعة التوثيق، عارفًا بها، محققًا فيها" (٥٣) ، فقال فيه : "له رواية عن شيوخ جلّة، وقد أجازني وتلطف بالإجازة" .

وممن سمع منهم وحدثوه الشيخ أبو القاسم محمد بن عبدالواحد الملاحي، مؤرخ غرناطة وأديبها، كان مقدمًا في صناعة الحديث، شديد العناية بالرواية" (٥٤) ، وهو شيخ خاله وشيخ الرعيني أيضًا، توفي في سنة ٦١٩هـ على قول ابن خميس والرعيني(٥٥) وابن الأبار (٥٦) أو ٦٢٠هـ على ما نقل ابن عبدالملك (٥٧) .

فقد ذكر ابن خميس الأخذ عنه مرتين في المخطوطة بيد أنه لما ترجم له لم يذكر الأخذ عنه، وإنما نقل ما قاله خاله ابن عسكر فيه . والملاحي هذا كان فقيهًا محدثًا حافظًا، من علِية علماء الحديث والقراءات والأنساب، وهو مؤلف كتاب **علماء البيرة** الضائع **وتاريخ غرناطة** الذي كان من مصادر ابن سعيد في **المغرب** (٥٨) .

وأخذ أيضًا من أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن دحمان الأنصاري البلنسي(٥٩) ما رواه من علوم أخيه أبي محمد القاسم بن عبدالرحمن بن دحمان الأنصاري البلنسي المسمى بـ "الأستاذ الكبير" المتوفى سنة ٥٧٥هـ . والقاسم هذا

هو شيخ ابن دحية الكلبي، صاحب كتاب **المطرب في أشعار أهل المغرب** . قال ابن خميس فيه : "أبو محمد هذا من جلة العلماء المقرئين" ، وقال ابن دحية فيه : "كان إمام زمانه في الحرف والفعل والاسم (...) ثم رأى أن الحديث والفقه ثمرة المعارف وعارفة العوارف فأكثر منهما وأفرط واستقصر نفسه عن اشتغاله بغيرهما وفرط" [٦٠] . والغريب أن ابن خميس قد ترجم للقاسم هذا ولم يترجم لشيخه أبي عبدالله الذي قال فيه: "شيخنا الفقيه المحدث الراوية" ، وهو من شرطه . إضافة إلى كل هذا فإن ابن خميس استفاد من جملة من العلماء الذين زاروا مالقة أمثال شيخ النحاة ابن عصفور المتوفى سنة ٦٥٩هـ [٦١] الذي حدثه عن أخلاق عبدالرحمن بن يخلفتن الفازاري [٦٢] كاتب الأمير أبي العلاء ابن حمود ووصف له كراهيته لأهل الفلسفة . واستفاد أيضًا من القاضي أبي عبدالله محمد بن سعيد الغرناطي المتوفى سنة ٦٤٥هـ [٦٣]، ووصفه فقال : "شيخنا الفقيه المحدث المقرئ الراوية أكرمه الله"، مما يدل على أنه كتب هذه الترجمة قبل وفاة الغرناطي .

لم يكن التاريخ الأندلسي عند ابن خميس أقل أهمية من العلوم الأخرى، فإن علم التاريخ ومعرفته لم ينفصلا قط عن علم معرفة الرجال لأن التاريخ لايصنع الرجال بل الرجال هم الذين يصنعون التاريخ بكل ضروبه المتباينة، وهذا ما لاحظه ابن خميس في مقدمة كتابه التي حفظها لنا السخاوي فقال : "إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويُلم بجانبه، بعد الكتاب والسنة، معرفة الأخبار وتقييدُ المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه، وتنبيهٌ على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم وتدون مناقبهم وأخبارهم ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ومتصرفون ومخاطبون لك في كل حال ومعروفون بما هم به متصفون، فيتلوا سورهم من لم يعاين صورهم، ويشاهدُ محاسنهم من لم يُعطه السن أن يعاينهم، فيتعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم، ويعلم المتصرف منهم في المنقول والمفهوم والمتميز والمرسوم ويتحقق منهم من كسته

الآداب جليها وأرضعته الرياسةُ ثديها، فيجد في الطلب ليلحق بهم ويتمسك بسببهم".

وهذه النظرة إلى التاريخ لم ينفرد بها ابن خميس إذ تكاد تكون سمة مشتركة بين المؤرخين وأصحاب التراجم، لأن السعيد من وعظ بغيره فاتعظ [٦٤] . فهذا عليٌّ بن أنجب الساعي المؤرخ البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ يقول : "وأطيب الأخبار ما حصل به موعظة واعتبار (...) لأن فيها ما يبعث على اجتلاب الفضائل، واجتناب الرزائل ، وفي مصارع الأعيان، ومن ساعده الزمان وملك البنيان، اعتباراً لمن اعتبر، وتجربة لمن تفكر، إذ اللبيب يرى مكارم الأخلاق فيستحسنها ورذائل الأعمال فيستهجنها ، وعوائد الخير فيطلبها، وعواقب الشر فيجتنبها" [٦٥] .

وعودًا على بدء ؛ فإن مقدمة ابن خميس تدل دلالة واضحة على نضج معارفه التاريخية وسبل استخدامها في الغرض الذي أراده منها وهو العبرة والاعتبار، فقد عاش في فترة سياسية بل وأخلاقية مضطربة جداً من تاريخ الأندلس، فصل فيها القول من تناولها من الباحثين المعاصرين، فكانت لابن خميس تعليقات ساخرة تدل على مرارة وأسى عميقين مما صارت إليه الأندلس في عصر ملوك الطوائف . وتظهر أصالته التاريخية بخاصة في ترجمة هشام الدعي، فقال : "وهشام هذا قد اضطربت أقوال المؤرخين فيه والصحيح عندي"، فناقش كل روايات المؤرخين وأثبت بعضها ونقض بعضها الآخر دون تعمل أو محاباة أو هوى . ولما أشار عرضاً إلى كائنة الجزيري التي فصل ابن عذاري القول فيها[٦٦]، قال فيه : "لعنه الله"، ولا نفهم هذه اللعنة إلا إذا عرفنا أن الثائر الجزيري هذا كان قد أقلق الموحدين في المغرب والأندلس بما قيل من أنه كان "يتصور في صورة الحيوان الذي لايعقل مثل الحمير والكلاب والسنانير" [٦٧]، فتبعه الكثير من الناس فأشعل فتنة هوجاء لفت فيما لفت بعض علماء مالقة، ولم تخمد إلا بقتله في سنة ٥٨٦هـ .

ولما كان ابن خميس أديبًا لذلك كان للأدب وبخاصة الشعر أهمية كبيرة عنده، وهو لذلك أثقل كتابه بالنقول الطويلة من أقوال الأدباء وشعر الشعراء ورسائل البلغاء

من أهل عصره ؛ بل إنه أظهر معرفة واسعة بنسبة بعض الأشعار فقال في موضع من كتابه : "ورأيت ابن أبي العباس نسبها لعبادة (بن ماء السماء) والصحيح أنها للمنذر الرعيني" . وفي موضع آخر قال : "وهذه الأبيات نسبها ابن أبي العباس لعبادة والصحيح أنها لابن خروف لأنه لم يكن ممن ينتحل شعر غيره وينسبه لنفسه" . ومع هذا فهو لم يورد في كتابه شيئًا من شعره أو أي إنتاج أدبي له قط، بيد أنه أورد لنا نماذج جميلة من أشعار الفقهاء الأندلسيين والمالقيين التي تنمُّ عن ذوق رقيق وحس أنيق ورهافة في الطبع ولطافة في الصنع مثل قول العالم النحرير والفقيه المشهور أبي زيد السهيلي صاحب القصيدة المشهورة :

يا من يرى ما في الظلوع ويسمع
أنت المُعد لكل مـا يُتوقَعُ

الذي قال أيضًا :

قد أجمع الناس على بغض لا
ولست أنسى أبدًا حبُّ لا
لأننــي قلــت له : سيـــدي
تحــبُّ غيري أبدًا قال لا

وأمثال هـذا كثير جـداً .

متى كتب ابن خميس كتابه ؟

لم ترد في المخطوطة أية إشارة إلى بدء عمل ابن خميس فيها، ولم ترد أيضًا أية إشارة إلى انتهائه منها، وذلك لأن المخطوطة ناقصة في آخرها . وكل ما لدينا الآن هو قول السخاوي الذي وجدنا له سندًا في المخطوطة نفسها. ولم يبق أمامنا إلا الافتراض وهو أضعف الإيمان مع أن محمدًا الفاسي سبقنا أيضًا إلى الافتراض فقال : إن "ابن خميس كان يعيش في النصف الأول من القرن السابع، وآخر تاريخ ورد في تتميمه هو سنة وفاة محمد بن عيسى بن معنصر الموماني وهي سنة ٦٣٨هـ ؛ بسنتين بعد وفاة خاله (...) ولكن لا نستطيع تحديد سنِّه إنما باعتبار أن خاله توفي في السنة الحادية والخمسين من عمره، يمكن أن نقدر أن ولادة ابن خميس كانت في حدود سنة ٦٠٥هـ، ويكون عمره عند تأليف تتميم تاريخ خاله نحو الثالثة والثلاثين" (٦٨) .

الحق إن هذه الافتراضات لم تقم على دليل إلا سنة وفاة ابن معنصر الموماني

التي ذكرها ابن خميس في ترجمته فقال : "ووصل مالقة خبر موته في أوائل ذي القعدة عام ٦٣٨هـ" . أما أنه كان يعيش في النصف الأول من القرن السابع ، فلا جدال فيه، أما أن تكون ولادته في سنة ٦٠٥هـ، فلا! لأن ابن خميس نفسه يقول : "واتفق لمحمد بن حسن بن صاحب الصلاة في أول خطبة له وأنا حاضر، وقد كنت جالسته وحضرت مجلسه غير مرة فلم يتفق لي سماع منه ولا رواية عنه، وبتنا معه بوادي أكتابة في جماعة من الطلبة ليلة خروجه في كائنة العقاب سنة ٦٠٩هـ وودعناه هناك ودعا لنا وكان آخر العهد به"، فهل يُعقل أن يخرج مع جماعة من الطلبة ويبيت خارج مالقة وهو ابن أربع سنوات ؟ وقد رأينا أنه كان يقرأ القرآن على ابن عمار وعمره يومئذٍ من نحو ست سنين، فلابد أنه لم يزد على الرابعة عشرة إذ ذاك أو أكثر بقليل، فيكون مولده على هذا الافتراض في حدود سنة ٥٩٥هـ، ويكون عمره حين توفي خاله في حدود الأربعين، وهو عمر النضوج العلمي والعقلي معًا . فلعله قد بدأ بتكملة كتاب خاله بعد سنة ٦٣٧هـ، وذلك لأنه عندما ترجم لشيخه عبدالرحمن القمارشي المتوفى سنة ٦٣٧هـ، لم يذكر سنة وفاته واكتفى بقوله : "كان رحمه الله" مما يوحي أنه كتب هذه الترجمة بعد وفاة شيخه، إلا إذا رأينا أن هذا من إضافة الناسخ، وانتهى منه في حدود سنة ٦٣٩هـ كما رأينا .

متى نسخت هذه المخطوطة ؟

المعروف عند المفهرسين أن الإشارات الواردة في المخطوطة مثل التملكات والسماعات وتعليقات القراء وما إلى ذلك يمكن أن تعين على تحديد زمن نسخها إذا كانت خلوًا من تاريخ النسخ، إضافة إلى نوعية الكاغد والمداد وطراز الخط . وبقدر ما يتعلق اهتمامنا هنا بالإشارات فإن المخطوطة تحتوي على إشارة مهمة في معرفة زمن نسخها، وهي قوله : "أعادها الله" التي وردت في موضعين بعد اسم مالقة مباشرة، مما يوحي أن هذه المخطوطة قد نسخت بعد سقوط مالقة بيد النصارى . ولابد أن تكون هذه الإشارة من الناسخ، لأن مالقة سقطت في سنة ٨٩٢هـ، ثم أن نوعية

كاغد المخطوطة ، الذي رأيته بنفسي وفحصته، يتكون من نوعين من الكواغد، أولهما: أندلسي أو مغربي – وهو الأقل عددًا – ، وثانيهما : فرنجي – وهو الأكثر – الذي يحتوي على الخطوط المائية البدائية والعلامة المائية وهي عنقود عنب . وقد كان هذا النوع من الكواغد يصنع في جنوة في حدود نهاية القرن الثامن للهجرة وأوائل التاسع للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر للميلاد) . أما خط المخطوطة فهو دون أدنى شك نسخ أندلسي الطراز والأسلوب، فعلى هذا يمكننا أن نفترض أن مخطوطتنا قد نسخت إما في غرناطة وهو الأرجح، لأن الناسخ لم يكتب بعد ورود اسم غرناطة ما كتبه بعد اسم مالقة، أو في المغرب ما بين سنة ٨٩٢هـ وسنة ٨٩٧هـ، ثم نُقلت بعد سقوط غرناطة إلى المغرب. أو أن أحد الأندلسيين نسخها من نسخة غرناطة ونقلها معه إلى المغرب . وهذه كلها افتراضات لا دليل عليها . بل والأمر الوحيد الذي لا يحتاج إلى دليل هو أن هذه المخطظوطة فريدة في بابها مهمة في محتواها .

وأخيرًا :

أكرر مرة أخرى ما قلته قبل أكثر من عشر سنوات، إن هذه المخطوطة مهمة وأن أهميتها تقع في المعلومات التي تحتوي عليها وفي كونها حلقة تاريخية تجمع بين التاريخ الأندلسي الإسلامي وتاريخ المغرب بخاصة والتاريخ الإسلامي بعامة، فهي جديرة بالنشر وقمينة بالإذاعة ، وها أنا قد ذكرت ! وبعد كل هذا، فهل تستحق هذه المخطوطة النفيسة أن تهمل هذا الإهمال الشنيع من أهلها ؟ فلهذا قررت أن أتحمل أعباء نشرها (٦٩) .

أمرتهُمُ أمْرِي بمُنعرجِ اللوي
فلم يَسْتَبِينُوا النُصح إلا ضُحى الغد
وهل أنا إلا من غزيّةَ إنْ غَوَت
غويت وإن ترشد غزيّةُ أرشد(٧٠)

وأرجو المعذرة من وقاحتي في العرض فإنني والله كما يقول الشاعر :

في انقباضٌ وحشمةٌ فإذا
لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها
فقلت ما قلت غير محتشم(٧١)

الهوامش

* وقد علمت أن الشيخ السائح الذي يعمل في الأسسكو بالرباط يمتلك ورقتين منها فكتبت إليه منذ سنين طويلة أن يتفضل عليَّ بصورة منهما فوعد في رسالة منه إليَّ إلا أنه لم يفِ بوعده حتى الآن.

١ - سبق لي أن عرفت بهذه المخطوطة في مقالة قصيرة نشرتها لي مجلة **عالم الكتب** مج٩، عدد٣ (محرم الحرام سنة ١٤٠٩هـ)، بعنوان : "مخطوطة أندلسية فريدة في تراجم رجال مالقة" حيث ذكرت فيها أنني رأيت المخطوطة وفحصتها في بيت مالكها في مدينة الرباط بصحبة الأخ يحيى بن محمود ساعاتي وصديقي المستشرق الهولندي بيتر شورد فان كوننكزفيلد في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤٠٨هـ .

٢ - **تاريخ علماء الأندلس**، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٧٣ .

٣ - **جذوة المقتبس**، القاهرة ١٩٦٦م، ص١٦٩؛ وانظر: **بغية الملتمس** للضبي، مدريد ١٨٨٤م، ص ٢٢١ .

٤ - **تاريخ علماء الأندلس**، المصدر نفسه، ص ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

٥ - **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٤٢٣ .

٦ - أكمله وعلق عليه ابن الدباغ ، انظر بروكلمان، ملحق ٣٣٧/٢ وطبع بتونس سنة ١٩٠٧م والقاهرة بتحقيق إبراهيم شبوح سنة ١٩٧٢م .

٧ - **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي** (**في علم التاريخ عند المسلمين** لروزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي) بيروت ١٩٨٣م، ص ٦٤١ .

٨ - ذكرت في مقالتي حولها في مجلة **عالم الكتب** جملة من العلماء الذين لديهم نسخة مصورة منها في صفحة ٣٣٥ . ومنها نسخة في حوزة محمد إبراهيم الكتاني والأمين بوخبزة وعبدالله بن محمد المرابط الترغي ومحمد المنوني .

٩ - رقم الرقيق (الميكروفلم) في الخزانة العامة : ٢٦ .

١٠- صفحات من المخطوط النادر : بعض فقهاء مالقة وأدبائها ، مجلة **دعوة الحق**، العدد ٢، السنة ٢٣، ١٩٨٢م (جمادى الأولى ١٤٠٢هـ)، ١١٠ حاشية .

١١- كتاب ابن عسكر وابن خميس في مشاهير مالقة ، مجلة **المناهل** التي

تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية - الرباط ، العدد ١٣، السنة الخامسة ، محرم ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م، ص ١٢٥ - ١٣٥ .

١٢- صفحات من المخطوط النادر - بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائها، المصدر نفسه ، ص ١١٠ - ١١٤ .

١٣- **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الرباط ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م صفحة ٥٢ . وأشار إلى وجود مصورة منها في الخزانة العامة ضمن مصورات جائزة الملك الحسن الثاني لعام ١٩٧٠م، برقم : ٢٦، من مخطوطة العالم محمد العرائشي .

١٤- نشرة دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

١٥- المصدر نفسه، ص ٨٧ - ٨٨ .

١٦- نشرة دار التراث - مكة المكرمة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

١٧- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٣م، ٤٥١ .

١٨- المصدر نفسه .

١٩- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** للسخاوي، ص ٦٤٠ .

٢٠- المصدر نفسه ، ص ٤١٧ .

٢١- **المرقبة العليا**، بيروت ١٩٨٠م، ص٩١- ٩٤. وفي ترجمة الحسن بن عبدالله الجذامي ص ٨٢ ، ١٠١، ١٠٩، ١١٤، ١١٨ .

٢٢- **التكملة لكتابي الموصول والصلة**، ٤٤٢/١؛ **صلة الصلة** ، ص ٨٤ .

٢٣- **صلة الصلة**، نقل ابن الزبير المتوفى سنة ٧٠٨هـ **من تاريخ مالقة** لابن عسكر في **صلة الصلة** المنشور مع الجزء الثامن من **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** لابن عبدالملك المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣هـ تح محمد ابن شريفة ٥١٠/٨ نقل ترجمة محمد ابن عيسى بن مع النصر المومناني، وقال: "وذكره صاحب تاريخ مالقة" وهو يعني تاريخ ابن عسكر لأن ابن خميس نقل ترجمة المومناني من خط خاله .

٢٤- **لسان الميزان**، حيدر آباد ٢٩٧/٤، في ترجمة ابن دحية الكلبي : "وقال ابن عسكر في رجال مالقة" .

٢٥- **صلة الصلة**، تحقيق عبدالسلام الهراس وسعيد أعراب، ص٧٣، ٨٤، ١٣٠، ١٣٨ (ثلاث مرات) .

٢٦- **الذيل والتكملة** ٩٠/٦ (محمد بن إبراهيم ابن الفخار)، **المرقبة العليا** ص١٠٩ (القاضي محمد بن سماك) .

٢٧- **الإحاطة** ، تح محمد عبدالله عنان، ١٧٤/٢، وفي موضع آخر قال في ترجمة أبي عمرو بن سالم : "ومما كتب له ابن خميس قوله" وذكر بيتين هما في المخطوطة.

٢٨- المصدر نفسه ، ٤٥١/٦ .

٢٩- الجزء ٤٩٧/٥ . انظر : مقدمة إحسان عباس للجزء الخامس ٥ - ٦ .

٣٠- لعل نسختنا نسخت منها .

٣١- **المرقبة العليا** ١٤٨ .

٣٢- **الذيل والتكملة** ٤٥٠/٦ .

٣٣- المصدر نفسه ٢٣٩/٦ .

٣٤- ترجم له ابن الزبير في **صلة الصلة**، تح الهراس وأعراب ، الرباط ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٢١٨/٤ - ٩ .

٣٥- **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٦٤م، ٤٣٣/١ .

٣٦- **الذيل والتكملة** ٣٠٩/١، جاء في المخطوطة أن اسمه قاضي الجماعة الشريف أبو عبدالله محمد بن طاهر السبتي .

٣٧- **برنامج شيوخ الرعيني**، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق ١٩٦٢م، ص٢٧؛ **الذيل والتكملة** ٥٥٧/٥ .

٣٨- **علم التاريخ عند المسلمين** ٦٤١ .

٣٩- **الذيل والتكملة** ٣١١/٦ .

٤٠- المصدر نفسه ٣٣٣/٦ .

٤١- ترجمته في **جذوة المقتبس** ٩٧ .

٤٢- اقتبس منه ابن عبدالملك في **الذيل والتكملة** ٢١٤/١ .

٤٣- انظر عنه : **التكملة لكتاب الصلة** لابن الأبار / مدريد ١٨٨٦، ترجمة : ٤٨، صفحة ٢١ ؛ **تحفة القادم** لابن الأبار ص٩١، **الإحاطة** ٤٦٩/١ .

٤٤- لم نعثر له بعد على ترجمة .

٤٥- انظر : **الذيل والتكملة** ٢٢١/٦ - ٢٢٧.

٤٦- انظر : تعليقات محمود علي مكي رقم : ١٢٧ في **المقتبس** لابن حيان، بيروت ١٩٧٣م، ص٤٦٣؛ وما قاله حسين مؤنس عنه واقتباساته منه في **فجر الأندلس**، الدار السعودية للنشر، جدة ١٩٨٥م، ص٦١٥ .

٤٧- في كتابه **مناقل الدرر ومنابت الزهر**، ومنه نسختان في المكتبة الحسنية بالرباط وأخرى في مجموعة جستر بيتي بدبلن . وانظر ما كتبته عنه في مجلة **عالم الكتب** السعودية ، المجلد ١٢، ج٢، ١٩٩١م، ص ٢٥ .

٤٨- طبعة القاهرة ١٩٣٩م، ٢٩٧/٢، ٣١٨، ٤٦١؛ ١٠٧/٣، ١٨٩ مثلاً .

٤٩- **برنامج شيوخ الرعيني** ص ٨٦ .

٥٠- المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

٥١- المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

٥٢- نقل ابن الزبير ترجمة هذا الشيخ من كتاب ابن خميس دون ذكر مصدره ، واكتفى بقوله : "وألفيت بخط من أخذ عنه" .

٥٣- **صلة الصلة** (الهراس) لابن الزبير ص١٤٢ .

٥٤- **التكملة لكتاب الصلة** ، مدريد ١٨٨٦م، ترجمة رقم : ٩٦٠، ٣٢٤ .

٥٥- **برنامج الرعيني** ص٦٥ .

٥٦- **التكملة لكتاب الصلة**، المصدر نفسه، ص٣٢٥ .

٥٧- **الذيل والتكملة** ٤١٨/٦ .

٥٨- **المغرب في حلى المغرب**، ١٢٦/٢، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٩ .

٥٩- ترجم له ابن عبدالملك ترجمة قصيرة في **الذيل والتكملة** ٣٥٧/٦ .

٦٠- **المطرب**، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

٦١- ترجمته في **الذيل والتكملة** ٤١٣/٥ .

٦٢- انظر ترجمته في **صلة الصلة** لابن الزبير (الهراس) ص ٢٢٣ .

٦٣- انظر ترجمته في **الذيل والتكملة** ٢١١/٦ .

٦٤- هذا حديث شريف ، انظر : **تاج العروس** للزبيدي ٢٦٦/٥ "وعظ" .

٦٥- **التوبيخ** للسخاوي، المصدر نفسه ص٤٢٣.

٦٦- **البيان المغرب (قسم الموحدين)** ، ص٢٠٧ - ٢٠٨ .

٦٧- المصدر نفسه .

٦٨- المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

٦٩- وبعد أن أنجزت قدرًا صالحًا من تحقيق الكتاب سمعت من صديقي الكريم الأستاذ عبدالواحد العسري سلمه الله أن الأستاذ عبدالله الترغي من جامعة عبدالمالك السعدي بتطوان قد قدم الكتاب محققًا إلى دار الغرب الإسلامي لنشره فتوقفت عن تحقيقه .

٧٠- البيتان من قصيدة مشهورة لدريد ابن الصمة ، أوردها أبو تمام في **الحماسة** ٣٩٦/١ (تحقيق عبدالله عسيلان) كاملة .

٧١- أذكر أن الطبري ذكر البيتين في تاريخه، ولما كانت طبعة دي خويه التي في مكتبتي لا تحتوي على فهرس الشعر فأرجو البحث عنهما في غيرها من طبعات التاريخ .

الآثاري وديوانه «المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع»
(مخطوطة فريدة بها خط المؤلف وإجازته)

أحمد خان

مركز حماية المخطوطات العربية

إسلام آباد - باكستان

هو زين الدين أبو سعيد شعبان بن محمد بن داؤد بن علي الموصلي المصري، وعرف بالآثاري نسبة إلى الآثار النبوية لإقامته بها مدة [١] . ولد بالموصل في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وستين وسبع مئة [٢] . ولم يصرح في كتب التراجم بأحوال طفولته، ولا نشأته العلمية، إلا أنه تلمذ على شيوخ بلده صغيراً ، واشتغل بالكتابة [٣] عند أبي علي الزفتاوي (٧٥٠ - ٨٠٥هـ) [٤]، حتى تمهر في الخط المنسوب، وصار رأس من كتب عليه، حتى أجازه الشيخ فصار يكتب للناس .

ومن سوء حظه اتفق له أن شرب البلاذر، فطرأ عليه مرض نشاف، وكان آنذاك شاباً فأقام مدة عارياً من الثياب حتى راح في الشتاء مكشوف الرأس . ثم أفاق عنه قليلاً، فتواصل جهوده في العلم عند الشيخ شمس الدين الغماري، والشيخ نور الدين البدر الطنبذي (٧٥١ - ٨٣٢هـ) [٥] وغيرهما . حيث كان جيد الحفظ فتمكن من حفظه على عدة مختصرات في عديد من الفنون في مدة يسيرة . ثم اشتغل بقرض الشعر، فنظم نظماً سافلا، وما زال يكثر منه حتى انصقل ونظم نظماً متوسطاً . وبعد أن تمهر في قرض الشعر أقبل على ثلب الأعراض وتمزيقها بالهجو المقذع، وتعلق على توقيع الحكم فقرر به، ثم عمل نقيب الحكم بمصر، فاستقر في حسبتها بمال، وعد به في ثاني عشر شعبان سنة ٧٩٩هـ عوضاً عن نور الدين علي بن عبدالوارث البكري[٦] .

وبعد الإهانة البالغة لجماعة، فرّ إلى الحجاز في عام ٨٠٧هـ، فدخل اليمن ومدح ملكها فأعجبه وأثابه، وفي الأيام نفسها مدح أعيان الدولة، فتقرب منهم . ثم انقلب فهجاهم كعادته، وأثار بها شرّاً، فاقتضى نفيه إلى الهند بأمر الناصر بن الأشرف [٧] .

وقد أقام مدة بالهند، ولكننا لا نعرف أين ألقى عصا الترحال، بيد أنه أكرِم بها . ومن الغريب لم يلائمه هذا الإكرام هنا كذلك، فعاد إلى سيرته الأولى، فأخرج منها أي الهند، بعد أن استفاد منها مالاً وفيرًا ، وعاد إلى اليمن، فدخلها مرة أخرى .

ويبدو أنه في هذه المرة لم يقم باليمن إلاّ مدة قصيرة، فتوجه إلى مكة المكرمة، وجاء بها وقطنها نحو عشر سنين . ومن المعلوم أنه عند جمعه ديوانه "المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع" كان بمكة المعظمة، ومكث هاهنا حتى آخر عام ٨١٩هـ . وجرت له هنا أمور غير طائلة ونصب نفسه غرضًا للذم، كما يخبرنا السخاوي [٨] .

وبعد شهور نراه بداخل الشام عام ٨٣٠هـ، وفي العام التالي دخل القاهرة بعد غيبته الطويلة عنها . فأكرمه جماعة من الأعيان والعلماء كالزيني عبدالباسط (٧٨٤ - ٨٥٤هـ)[٩] .

ووقف الآثاري هنا كتبه وتصانيفه بمدرسة الزيني، ومدح الناس كعادته . ويبدو أنه لم يستقر بالقاهرة إلاّ لمدة قصيرة، ورجع إلى الشام، فاستوطنها . وكان يتردد إلى القاهرة ويرجع حتى أنه مات بالقاهرة في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمان مئة الهجرية [١٠] .

في حياته الحافلة بالمدح والذم للأعيان والعلماء اكتسب الآثاري شهرة كشاعر وأديب، ونظمه أكثر من نثره . وقال نفسه : إن تصانيفه الأدبية تزيد على الثلاثين ، غالبها منظومات [١١] .

وإنه يروي عن علماء كثيرين، لم أقف على أسمائهم إلاّ قليلاً منهم، وأشرنا إليهم سابقًا . وهو أي الآثاري أجاز روايته عنه لابنه محمد، وكتب بخطه هذه الإجازة [١٢]، ولولده الآخر المسمى بخير الدين خير ، وكتب إجازته بآخر كتابه : "القلادة الجوهرية في شرح الحلاوة السكرية" [١٣] . كما أنه أجاز لأبي عبدالله محمد بدر الدين بن الخواجا، الشهير بابن المزالق، بديوانه وجميع ماله من منثور ومنظوم من الكتب، بروايتها بشرطه عند أهله . ونرى هذه الإجازة بآخر ديوانه "المنهل العذب البديع"[١٤] .

٢ - تصانيفه :

له مؤلفات أكثر من ثلاثين، كما أخبرنا نفسه، ومعظمها منظومات . ويبدو من

قريحته أنه، وإن كان كاتبًا ماهرًا، قد أظهر موهبته في قرض الشعر . وهذه ظاهرة تدلّ على مقدرته الشعرية وطول باعه في أساليب الكلام، وكذلك نظم البدائع، وأنه فاق أقرانه في هذا المجال كما تدل إليه بديعيته المسماة بـ "العقد البديع في مديح الشفيع" .

وعناوين أكثر مؤلفاته مسجعة لعلها كانت تعجبه هذه الظاهرة التي كانت سائدة على المؤلفات للعلماء آنذاك . وفيما يلي ثبت آثاره في مختلف الميادين :

*** في علم النحو :**

١ – ألفية ، في النحو، وسماها بـ "كفاية الغلام في إعراب الكلام" . قرظها جلال الدين البلقيني (٧٩٣ – ٨٣٤هـ)، في حياة مؤلفها . وتوجد نسخة منها بدار الكتب المصرية [١٥] .

٢ – الحلاوة السكرية في علم العربية، وهي أرجوزة في النحو [١٦] ثم شرحها شرحًا بسيطًا فأصبحت كتابًا مستقلاً، وسماه:

٣ – القلادة الجوهرية في شرح الحلاوة السكرية [١٧]، وقد فرغ من هذا الشرح في اليوم الآخر من ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وثمان مئة ، بالصالحية من دمشق . ونسخته موجودة بدار الكتب المصرية بالرقم ٢٢٦ نحو . وهي مقابلة ومصححة من المؤلف . ونسخته الأخرى بمكتبة برلين بالرقم ٦٧٦٠ .

٤ – عنان العربية ، وهي أرجوزة في النحو[١٨].

٥ – شرح ألفية ابن مالك، في ثلاثة مجلدات، ولم يكمله [١٩]، لعل المنية لم تمهله أن يستكمله، ويبدو أنه تأليفه الأخير .

*** في مدائح النبي صلى الله عليه وسلم:**

٦ – مفتاح باب الفرج [٢٠]، وهو مجموع نظم في المدائح النبوية . وهذه مجموعة غير التالية .

٧ – المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع [٢١]، سوف أقيم عليه وأبسط القول عنه فيما بعد .

٨ – شفاء السقام في نوادر الصلاة والسلام[٢٢].

في هذين الميدانين كان أكثر أعماله، وأما المجالات الأخرى التي ركض فيها فرسان موهبته، فكانت :

*** في علم العروض :**

٩ – الوافي في علمي العروض والقوافي[٢٣].

١٠– الوجه الجميل في علم الخليل [٢٤]، وهي أرجوزة .

*** في علم الأدب والكتابة :**

١١- لسان العرب في علم الأدب [٢٥]. و هي منظومة في العلوم العربية، ضمنها الكلام على علم الصرف والخط والنحو، ومخارج الحروف ، وعلمي العروض والقافية، وفن ضرورة الشعر ، وعلم البلاغة . وفرغ من نظمها بمكة المكرمة في عام ٨٠٩هـ. ونسختها موجودة بدار الكتب المصرية، بخط علي عبدالرزاق المنشيلي المالكي، الذي فرغ من كتابتها في عام ١١٨٣هـ. وهي في ٣٥ ورقة كبيرة .

١٢- في أدب الكاتب ورسم الخط [٢٦].

١٣- أرجوزة في علم الكتابة [٢٧] .

*** في فن الشعر :**

١٤- العناية الربّانية في الطريقة الشعبانية[٢٨]، وهي منظومة ، وطبع في مجلة "المورد"، مج٨، ع٣ (١٩٧٩م) .

١٥- ديوان شعره [٢٩] .

*** في المراثي والمدائح :**

١٦- منائح القرائح في مختار المراثي والمدائح[٣٠].

*** وفي الفقه، أو بفن لم أتمكن من معرفته :**

١٧- الرد على من تجاوز الحدّ [٣١] .

١٨- الهداية في شرح الكفاية [٣٢] .

١٩- المنهج المشهور في تلقيب الأيام والشهور، طبع في مجلة "المورد" مج٩، ع٤، (١٩٨٠م).

وتزيد تصانيفه على الثلاثين، كما أشار الآثاري نفسه إليها . وعرفنا منها ١٨ عنوانًا في سبعة ميادين . وأما كتبه الأخرى فما زالت في زاوية الخمول، والتي عرفنا عناوينها لم أتمكن من الوقوف إلاّ على وجود القليل منها، ومن الممكن أن يتعرف على البقية إن لم تلعب بها أيدي الزمان .

طبع عدة بديعيات للآثاري، ببغداد بتحقيق هلال ناجي عام ١٩٧٧م، والبقية موجودة في هذا الديوان الذي نحرز الشرف بتعريفه التالي.

٣ - المنهلُ العذبُ البديع في مديح المليح الشفيع :

للآثاري قصائد مستقلة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد عارض تارة قصائد لشعراء قد سبقوه، أو خمّس أو سمّط لهم . فإننا نرى أنه عارض قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه، كما خمس قصيدة البوصيري، وأتى فيهما ألوانًا من البدائع معنوية ولفظية.

وهذه القصائد في مجموعة مستقلة ،

جمعها امتثالاً لأمر ابن المزلق تاجر الخواص آنذاك ببلاد اليمنية والشامية، وسماها بـ : "المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع"، واستهلّها بـ :

"الحمد لله الذي جعل مدح الرسول سببًا إلى بلوغ المأمول . أحمده حمد من كرّمه بالدخول إلى بيته، وصرفه في مديح الشفيع . وأشكره شكر من أنعم عليه بزيارة حبيبه، وأقامه في خدمة الجناب الرفيع . وأصلي وأسلم على خير خلقه وعلّم حربه المفلحين، سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين" (٣٣) .

وأخبرنا في مقدمة الكتاب سبب تدوينه وترشيح قصائده به، وتحوله من مدح الأعيان إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فقال :

«قد كنت مدحت جماعة من أعيان عصري بقصائد عديدة من شعري، وأعملت فكري في نظمي لهم وشعري . ولم أقصد بذلك إلا التمرين في صنعة التأدب، لا للاستكثار لها، ولا للتكسب . ثم رأيت الصواب في الإقلال منها حيث لم أجد سبيلاً إلى الإقلاع عنها، خوفًا من ارتكاب الأهوال، ورغبة في صالح الأفعال والأقوال، ورجاء في فضل من قال في محكم الآيات ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ [سورة هود/ الآية ١١٤]، وإما بأن أكون ممن سبقت لهم العناية أو سهقت، وعملاً بقوله تعالى : ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحًا، وآخر سيئًا ، عسى الله أن يتوب عليهم**﴾ [سورة التوبة / الآية ١٠٣]» (٣٤) .

وليس "المنهل العذب" أول مديح في الرسول صلى الله عليه وسلم بل كان قد نظم عدة قصائد في مدحه ﷺ، لكنه حينما أراد تأليف "المنهل العذب" وجه عناية خاصة إلى تنويع البدائع بالمدائح وجعلها وسيلة إلى الكريم في ستر العورات والفضائح ، فقال في المقدمة نفسها :

"وكنت قد نظمت في مدحه صلى الله عليه وسلم جملة من القصائد فيها تنويع البدائع بالمدائح وجعلتها وسيلة إلى الكريم المسامع في ستر العورات والفضائح يوم يكشف عن القبائح، ويعاقب عليها العبد بشهادة الجوارح" .

ورتب الكتاب على مقدمة وعشرة أقسام، وخاتمة . أورد في المقدمة فضائل الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ،

ووضع عنوانها "خير الكثير في الصلاة والسلام على البشير النذير" ، وقسم هذه المقدمة على عدد أبواب الجنة . وجمع في كل باب خمسة أحاديث للبركة ، فأصبحت أربعين حديثًا. ورتبها على طريقة حسنة دالة على تنويع فضلها، كما يلي :

- الباب الأول في تضعيف أجر المصلي على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثاني في فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث في الإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع في طلب الوسيلة له مع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الخامس في تبليغ الصلاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس في وجوب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب السابع في كيفية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثامن في السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبآخرها بيان المشكل من هذه الأحاديث الأربعين.

وأورد في كل قسم من الأقسام العشرة من الكتاب قصائد، مفتتحًا بمقدمة تارة طويلة وتارة قصيرة في النثر آتيًا فيها أمثلة من مدح النبي صلى الله عليه وسلم لغيره .

القسم الأول :

ويشتمل على مقدمة وجيزة وقصيدة في تخميس قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه، وسماها بـ : "نيل المراد في تخميس بانت سعاد" . وأورد بالمقدمة واقعة كاملة ضمن قصيدة بانت سعاد، واستهل التخميس بـ :

قل للعوازل مهما شئتموا قولوا
فليس لي بعد من أهواه معقول
ناديت يوم النوى والدمع مسبولُ
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيَّم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

وجاء في هذه القصيدة بثمان وخمسين مخمّسة ، آخرها :

إن قامت الحرب تعجب من أمورهم
.... (*)
من الجراحات عاموا في نحورهم
لايقع الطعن إلا في نحورهم
وما لهم عن حياض الموت تهليلُ

القسم الثاني :

ويحتوي على قصيدة في تخميس البُردة للبُوصيري (ت ٦٩٤هـ)، وسماها بـ "حل العقدة في تخميس البُردة" . ولها مقدمة مختصرة عن قصيدة البوصيري، وعن قصيدته نفسه، فقال:

"جئت بها مخمسة على أحسن معاني التخميس . وهذه قصيدة واحدة لسهولة اللغة وحسن الموارد، وحيث كان البيت مشكلا بمبانيه كان التخميس مظهراً لمعانيه". وأورد فيها قواعد تحقيقية ولطائف بديعية، ونكت وملح وغريب، وأولها :

ياقلب قد فاض دمع العين كالدِّيم

وصرت من حرقة الأشواق في ألم

حتى استحال وجودٌ منك للعَدَمِ

أمِنْ تذكر جيران بذي سَلَم

مزجت دمعًا جرى من مُقلةٍ بدم

وجاء فيها بمخمسات قدر ما وجد الأبيات الصحيحة من البردة، وآخرها (٣٥):

وآله الطيبين الأصل والنجباء

والتابعين أولي الأفضال والقربا

ومن له لحظةٌ في الدِّين قد صحبا

يا مَن أجابهم من فضله رتبا

وانشُرْ سلامًا عليهم قد نما وربا

وانشُرْ عليهم سلامًا طيبا عذْبا

ما رَنّحت عذبات البان ريح صبا

واطرب العيس حادي العيس بالنغم

القسم الثالث :

قصيدة بديعية، سماها بـ :"العقد البديع في مديح الشفيع"، واستهلها بالمقدمة، وقال فيها:

"وهي حاملة لأسماء الأنواع البديعية ضمن أبياتها، حاوية لأقسامها الضرورية . أردتُ أن ينتفع بها ولدي، فجاءت بحمد الله في أربع مائة بيت من البديع، لم يسمع بمثلها ، ولم يَنظر في القصائد الجميع" .

وأولها (٣٦) :

حَسن البراعة حمدُ الله في الكَلِمِ

ومدحُ أحمد خير العرب والعجم

فيه براعة المطلع وبراعة الاستهلال .

سام على الجنس حام تمّ في شرف

من عهد سام وحام ثم في القِدَم

وفيه جناس التام مع الاسم .

وآخرها (٣٧) :

واحتسى مقطعا فالفضل متّصل

بمدح أحمد في نثر ونظم

وفيه المقطع .

صلّ وسلّم ربي دائما أبدًا

عليه في المبتدا مع حسن مختتم

وأظهر فيه حسن الختام .

القسم الرابع :

قصيدة مسماة بـ : "رفيع البديع في مديح الشفيع" . وقال في مقدمة هذا القسم سبب إنشاء هذه القصيدة، فسرد :

"لمّا وقف مولانا وسيدنا الملك أحمد بن إسماعيل بن العباس بن علي على قصيدتين مشهورتين، وما فيهما من الفوائد والمباحث، رسم لي، نصره الله تعالى، أن أعززهما بثالث، وكان ذلك على لسان المولى الكامل القاضي شهاب الدين أحمد بن مُعيبد" .

ومطلعها [٣٨] :

دَعْ عنك سلعًا وسَلْ عن ساكن

وخل سلْمَى وسَلْ ما فيه من كرم

وفيه براعة المطلع والتجنيس المركب المتماثل لفظًا .

وآخرها [٣٩] :

يفنى المديح ويبقى البدرُ في شرف

على مدّ الدهر في غزو وفي نظم

فيه مخلص المقطع .

صلّ وسلّم ربي دائما أبدًا

عليه في مبتداها مدحي ومختتمي

وتشتمل هذه القصيدة على ١٦١ بيتًا مشتملة على ألوان البديع وأضرابه الشتّى.

القسم الخامس :

وهو قصيدة بديعية عارض بها من عارض البردة ، وسمى هذا القسم بـ "بديع البديع في مديح الشفيع"، وتكلّم في بدايتها:

"التزمت في هذه البديعية الصغرى تجريد ألقاب الأنواع التي ضمنتها في البديعية الكُبرى مع اشتمالها على ما فيها ، وفي الوسطى من جميع الأولى والأخرى وجاء الإيضاح" [٤٠] .

وقسم البدائع على ثلاثة أنواع، وخص لكل نوع فصلاً .

- الفصل الأول : في أنواع البديع الراجعة إلى اللفظ، وهي وظيفة الفصاحة ، وفيه ستون نوعًا دون البراعة . وأورد بهذا القسم أربعين بيتًا، نحو [٤١] :

كم كفٍ كفّ الأذى عن سائل وكفى

ثوابه من ثوى به فلم يضم

- الفصل الثاني : في أنواع البديع الراجعة إلى المعنى، وهي وظيفة البلاغة، ويشتمل على أربعين ضربًا، وجاء فيها بـ ٤٠ بيتًا . ومدح فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، ومستهلها [٤٢]:

فآله خير آل بيتهم علم
بفضله والذي يشناه كالعدم

- الفصل الثالث: في أنواع البديع الراجعة إلى اللفظ والمعنى، وهي وظيفة الفصاحة والبلاغة، ويشتمل على مئة نوع، وأورد فيها أكثر من ثمانين بيتًا، التي يتضمن مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فقال [٤٣] :

الفضل واللُّطفَ والخيرات قد جُمعت
فيه مع الحُسن والإحسان عن الحكم

القسم السادس :

يحوي قصيدة بديعية أيضًا، يقول في شأنها : إنني جعلتها في مئة وأربعين بيتًا، وجئت بها على بحر الرجز . واستهل القسم بمقدمة وجيزة ، صرح فيها أنه أورد هذه القصيدة في براعة المطلع والتصريح، ولزوم ما لا يلزم، والتجنيس التام . وسمى القسم بـ : "غريب البديع في مديح الشفيع" . وجاء فيه ثلاثة فصول مثل القسم السابق .

- فالقسم الأول : في أنواع البديع الراجعة إلى اللفظ، وهي وظيفة الفصاحة . وقال فيه ٣٨ بيتًا، مطلعها [٤٤] :

حمد البديع في السماء والأرض
عدن البديع في نهار العرض

وأظهر فيه براعة المطلع والتصريح، ولزوم ما لا يلزم، والتجنيس التام .

- والفصل الثاني : في أنواع البديع الراجعة إلى المعنى، وهي وظيفة البلاغة . وأورد فيه ٣٨ بيتًا، مطلعها [٤٥] :

وآله الغر الكرام كالعلم
فينا ومن يشناهم مثل العَدَم

وفيه الافتنان .

- والفصل الثالث: في أنواع البديع الراجعة إلى اللفظ والمعنى، وهو وظيفة الفصاحة والبلاغة معًا . وجاء فيه بـ ٦١ بيتًا، مطلعها [٤٦] :

الوجد قام لي وعزمي لم يقُم
والشوق دام لي وصبري لم يَدم

فيه الطاعة والعصيان .

القسم السابع :

وسماه بـ : "وسيلة الملهوف إلى أهل المعروف" . وهي قصيدة عارض بها "بانت سعاد" . ويشتمل هذا القسم على مقدمة وجيزة والقصيدة، وأخبرنا الآثاري في المقدمة عن سبب إنشاء القصيدة ، فقال : "هي قصيدة دعوت بها على شخص كان يؤذيني بلسانه، فحوّل الله فكه من مكانه في أقل مدة وأقرب زمان، كرامة لتعلقي بسيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم" .

وفي القصيدة ، التي تشتمل على عشرة ومئة بيت، استغاثة في جناب النبي عليه الصلاة والسلام ، نحو (٤٧) :

يا سيدي يا رسول الله خُذ بيدي

عبدٌ ضعيف ولي بالباب تطفيلُ

القسم الثامن :

وهو مشتمل على مقدمة مختصرة وقصيدة عارض بها "البردة"، فيها مئة معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، في ١٠٣ أبيات، فاستهلها بـ (٤٨) :

سَلْ ما عداني على سلمى بذي سلم

يوم الرحيل من الأحزان والألم

وقال فيها مادحًا النبي صلى الله عليه وسلم، على غرار حسان بن ثابت (٤٩) :

وما مدحناه لكن باسمه مُدِحَت

أقوالنا في حديث المدح والقِدَم

وسمى هذا القسم بـ : "منتهى السئول في معجزات الرسول" .

القسم التاسع :

سمى القسم بـ : "نزهة الكرام في مدح طيبة والبيت الحرام"، الذي يشتمل على مقدمة وقصيدة طويلة على البحر الكامل، فيها ثمانون بيتًا، أولها (٥٠) :

أبدًا مُحّبك في مديحك يشرع

يا من له الجاه العظيم الأرفع

وآخرها (٥١) :

ما دام في الدنيا لشمسٍ مغربٌ

أبدًا، وما للبدر فيها مطلع

القسم العاشر :

هذا القسم ليس بقصيدة بل هو رسالة وجيزة في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم. أورد فيه نوادر الصلاة والسلام، وهي خمس وثلاثون نادرة، منها ثلاثون في الصلاة وخمس في السلام، وسماه بـ : "عرف المدام في نوادر الصلاة والسلام ". وذكر فيه نوادر نفسه، كما لغيره . ومن نفسه :

"ومما اتفق بمكة المشرفة في سنة إحدى عشرة وثمان مائة قبل سفري إلى اليمن المحروسة ... إنني كنت قد مرضت بمكة مرضًا شديدًا أشرفت فيه على العدم . فاستعنت بالله تعالى في نظم قصيدة أمدح بها السيد الشفيع والجناب الرفيع صلى الله عليه وسلم، وأستشفي به من ذلك الألم ، اقتداء بالخير وسببًا لحصول الخير فنظمت، مطلعها :

إن جئت بدرًا فطب وانزل بذي سلم

سلّمْ على من سبا بدرًا على علم

وهو مطلع قصيدتي "بديع البديع في

مديح الشفيع" . ثم سرد بأنه نام، وجاء إليه رجل من مكة المكرمة، وهو أخبر الآثاري عن منامه بشأنه ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم، سلامه على شعبان ورده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بعد هذا الخبر المبهج قال الآثاري للرجل : جزاك الله عني خيراً وأحسن إليك . وبعده زال عن الآثاري ذلك المرض (٥٢) .

خاتمة الديوان :

سماها بـ : مسك الختام في أشعار الصلاة والسلام . وفيها ستة عشر بيتًا على ستة عشر من بحور الشعر . وقال الآثاري: تتضمن الصلاة والسلام على خير الأنام، ووريت لاسم كل بحر بكلمة في بيت وميزتها بالجرة ليبينه الطالب بها إليه . والغرض بذلك تنويع فضائل الممدوح صلى الله عليه وسلم .

وقال على بحر الطويل (٥٣) :

إذا شئت أن تحيى حياة طويلة
وتغنم في الدنيا أمانًا وفي الأخرى
صلِّ على خير الأنام محمد
يصلّي عليك الله عن مرة عشراً

وبآخر هذا الكتاب (٥٤) :

"وكان الفراغ من تأليفه ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره عام ٨١٣هـ، بأم القرى مكة المشرفة برسم خزانة المولوي القضائي الأصيلي العريقي الفاضلي خادم السنة الشريفة، أبي عبدالله محمد بدر الدين الخواجا أبي الخير محمد خير الدين الشهير بابن المزلق، تاجر الخواص الشريفة بالديار المصرية والمملكة اليمنية والبلاد الشامية، الساعي في طرق الخيرات والقائم في سبيل الهدايات، والمشير بتأليف هذا الديوان وجمعه، محبة في سميه ورغبة في نفسه، وخدمة لسيد المرسلين"

ونجد بطرة هذه الخاتمة بقلم الآثاري :

"وقد أجزت له – أدام الله النفع بوجوده – أن يروي عني هذا الديوان المبارك، وجميع ما لي من منثور ومنظوم بشرطه عند أهله بتاريخ أول يوم من شهر شوال عام ٨١٣هـ".

كما وجدنا بأعلى الورقة ١١٨ توقيع الآثاري على الديوان هكذا :

"نظم الفقير إلى عفو الله وكرمه، أبي سعيد شعبان بن محمد عفا الله عنه" .

وختم الديوان بـ ٢٢ بيتًا من ثلاث قصائد، وتلك في مدح أبي عبدالله محمد بدر الدين بن الخواجا أبي الخير محمد المشهور بابن المزلق(٥٥).

هذه نسخة جميلة بخط ثلث، كتبت بحبرين : الأسود والأحمر . إن الأبيات في الديوان كله بحبر أسود، والبدائع – كما

وضعها الشاعر نفسه أو عالم ما آخر - بحبر أحمر بإزاء هذه الأبيات .

والنسخة - بلا مراء - بديعة، بيد جامعها، وإن لم ، فقرئ عليه وثبت إجازته ووقع عليها . وهي فريدة في العالم ، كاملة من جميع النواحي، إلاّ وريقات من القسم الأول من الديوان (٥٦) .

وقدم الآثاري - كما أشرنا سابقًا - الديوان إلى التاجر المذكور أعلاه، فإنه أضاف أو أحد من أسرته بآخره ١٣ ورقة وألحقها به . وليس فيها الأشعار بل هي سماعات لكتب الحديث على أبي حامد محمد ابن عفيف الدين بن ظهيرة القرشي (٧٨٩ - ٨٣٧هـ) (٥٧)، فتجرى :

"فقد سمع جميع كتاب الجامع الصحيح تأليف الإمام البخاري على أبي حامد محمد ابن عفيف الدين أبي محمد عبدالله بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي، الناظر في الأحكام الشرعية والأمور الدينية بمكة المشرفة المعظمة وأعمالها، والخطيب بالمسجد الحرام، والناظر على مصالحه، أعزه الله تعالى" (٥٨) .

والسامع: محمد بن الجناب العالي القضائي الكبيري محمد بن الجناب المرحوم نور الدين أبي الحسن علي الدمشقي الشهير بالمزلق ملك التجار بالديار المصرية والبلاد الشامية.

بقراءة أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد القطوري الأصل النحريري المولد والمنشأ ، الشهير بأمين الحكم .

وكان السماع السامع المسمى فيه والسامعين معه للجامع الصحيح للإمام البخاري، في مجلس آخرها يوم الجمعة المبارك السابع عشر من جمادى الأخرى عام ثلاث عشر وثمان مئة، أحسن الله تعالى، وذلك بالمسجد الحرام الشريف تجاه الكعبة المشرفة المعظمة .

- وللجامع الصحيح لمسلم، في مجالس آخرها يوم الجمعة المبارك بعد صلاتها النصف من شعبان المكرم عام ٨١٣هـ .
- ولجامع الترمذي، في يوم الأحد المبارك التاسع وعشرين من شهر رمضان عام ٨١٣هـ، بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المعظمة .

وبأول كل سماعة سلسلة الرواة التي روى عنهم أبو حامد محمد بن عفيف الدين، وبآخرها توقيعه في التاريخ واليوم نفسه .

وأثبتنا هذه السماعات هنا لما فيها من إفادة تاريخية ، كما تشير إلى منهج التعليم للحديث النبوي الشريف .

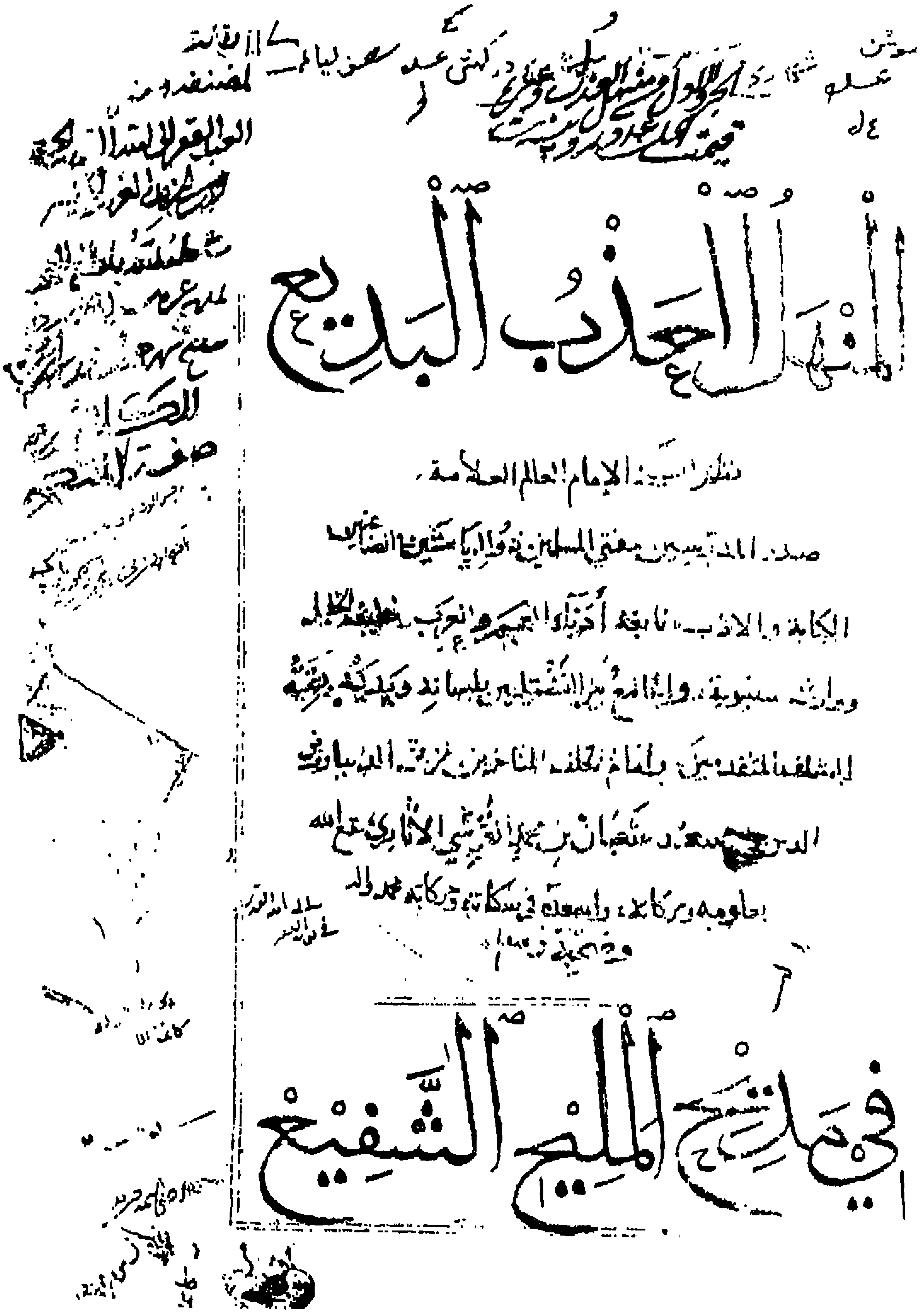

المنهل العذب البديع

نظم سيدنا الإمام العالم العلامة

في مدح المليح الشفيع

الصفحة الأولى من ديوان المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع

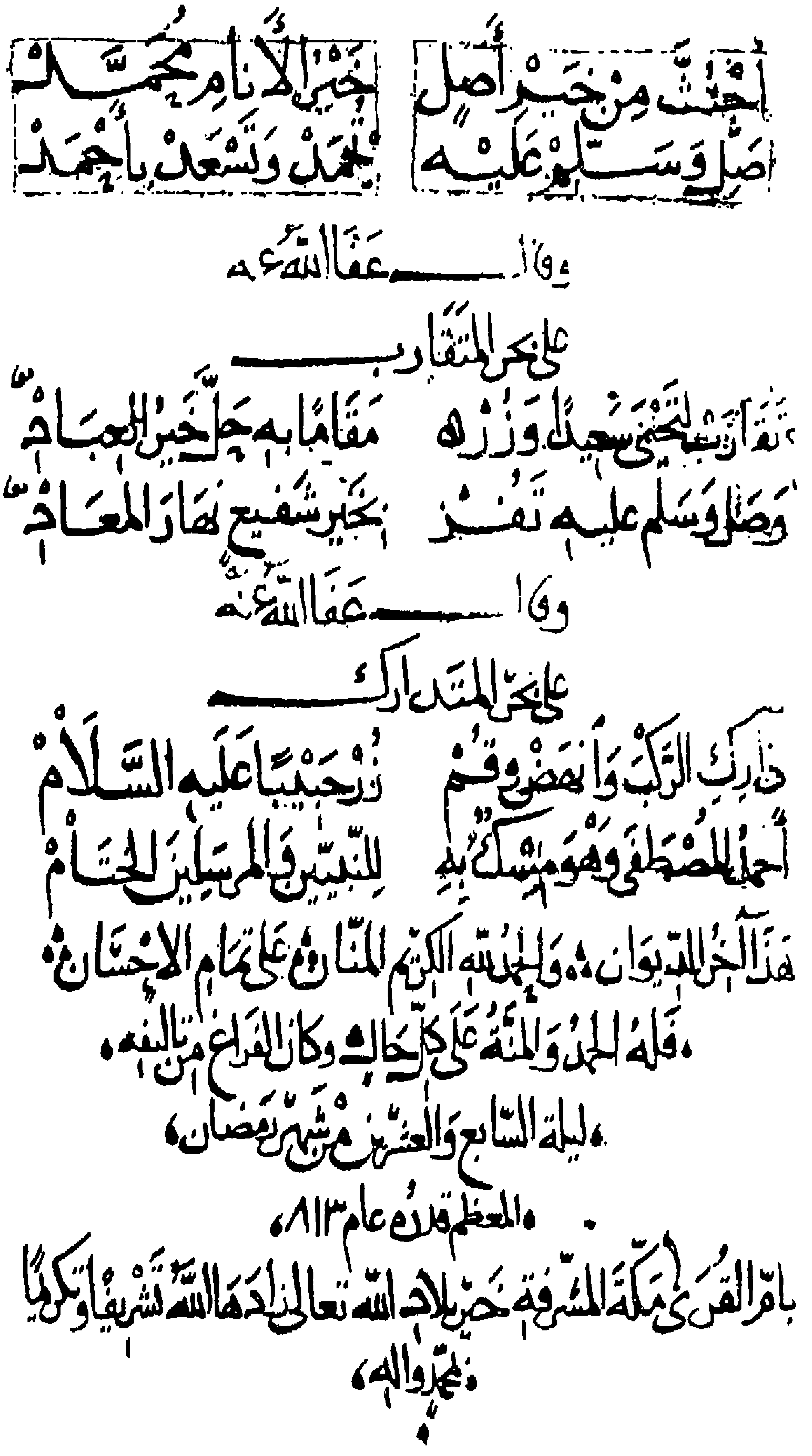

أحببت من خير أصل بخير الأنام محمد
أصلي وسلم عليه بحمد وتسعد بأحمد

وقال أيضاً عفا الله عنه
على بحر المتقارب

تقارب لتحيى سعيد وزره مقاماً به حل خير العباد
وصل وسلم عليه تفز بخير شفيع نهار المعاد

وقال أيضاً عفا الله عنه
على بحر المتدارك

دارك الركب وانهض وقم زر حبيباً عليه السلام
أحمد المصطفى وهو مسك به للنبيين والمرسلين الختام

هذا آخر الديوان والحمد لله الكريم المنان على تمام الإحسان
فله الحمد والمنة على كل حال وكان الفراغ من تأليفه
ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان
المعظم قدره عام ٨١٣
بأم القرى مكة المشرفة حرسها الله تعالى زادها الله تشريفاً وتكريماً
بمحمد وآله

الصفحة الأخيرة من ديوان المنهل العذب البديع في مديح المليح الشفيع

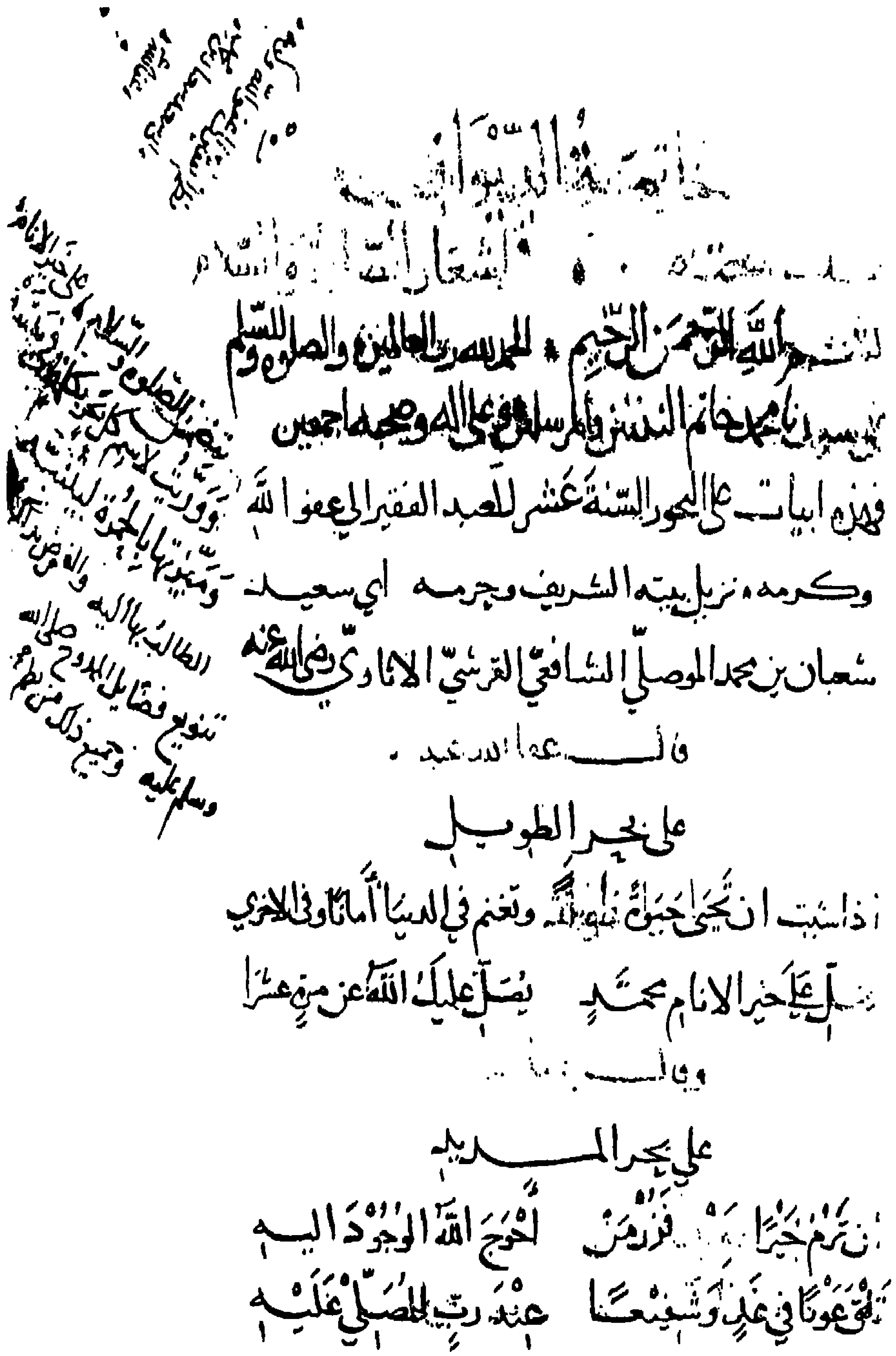

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين
وهذه ابيات على البحور الستة عشر للعبد الفقير الى عفو الله
وكرمه نزيل بيته الشريف وحرمه ابي سعيد
شعبان بن محمد الموصلي الشافعي القرشي الاثاري رضي الله عنه
على بحر الطويل
اذا شئت ان تحيى حياة [illegible] وتغنم في الدنيا أمانا وفي الأخرى
[illegible] على خير الانام محمد يصلّ عليك الله عن مرة عشرا
على بحر المديد
[illegible] فزر من لحوج الله الوجود اليه
[illegible] عونا في غد وشفيعنا عند رب المصلي عليه

خاتمة الديوان

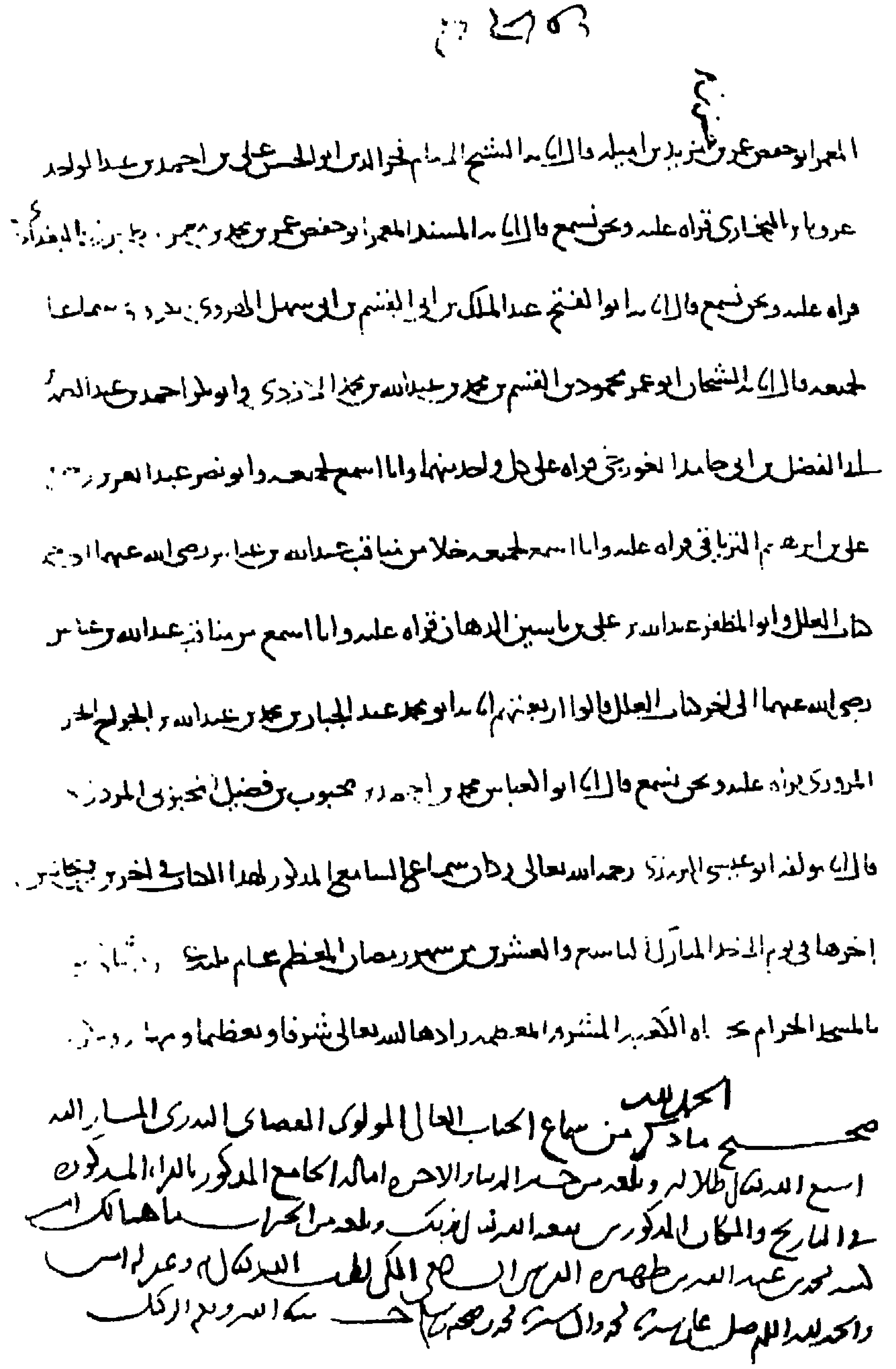

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الديوان

الحواشي والتعليقات

١ - كتب له شمس الدين السخاوي، وكان معاصراً له، ترجمة مسهبة في كتابه **الضوء اللامع** ٣/٣٠١ - ٣٠٤، كما تجد ترجمته الوجيزة في **الأعلام** ٣/١٦٤، **ومعجم المؤلفين** ٤/٣٠٠ - ٣٠١.

٢ - وردت سنة ولادته تسع وخمسين وسبع مئة كذلك في **الضوء اللامع** (٣/٣٠٤)، ولم يصدقه السخاوي .

٣ - **الضوء اللامع** ٣/٣٠١ .

٤ - السابق، ٧/٢٤ .

٥ - السابق ، ١/٣٣٢ .

٦ - السابق ، ٣/٣٠١ .

٧ - السابق .

٨ - السابق .

٩ - **البدر الطالع** ١/٣١٥ (الترجمة ٢٢٢). **والضوء اللامع** ٣/٥٦ .

١٠- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٢ .

١١- السابق نفسه .

١٢- السابق .

١٣- نسخته بدار الكتب المصرية، الرقم ٢٢٦ نحو .

١٤- ق ١٣٠ ظ .

١٥- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٣، **وكشف الظنون** ١٤٩٧، بروكلمان (بالألمانية) ٣/١٨٠.

١٦- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٣، **هدية العارفين** ١/٤١٦، بروكلمان ٢/١٨٠ .

١٧- **فهرس دار الكتب المصرية** ٣/٢٥٧، **فهرس مكتبة برلين** : الرقم ٦٧٦٠ .

١٨- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٣ .

١٩- السابق نفسه .

٢٠- **هدية العارفين** ١/٤١٦ .

٢١- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٣، **عصر سلاطين المماليك** ٨/٣٨٠ . ونسخته الفريدة بمكتبة الكلية الإسلامية ببيشاور، باكستان، الرقم ١١٤٣ .

٢٢- **هدية العارفين** ١/٤١٦ .

٢٣- بروكلمان ٣/١٨٠ .

٢٤- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٣، **معجم المؤلفين** ٤/٣٠١ .

٢٥- **الضوء اللامع** ٣/٣٠٣، **فهرس المخطوطات العربية الموجودة بدار الكتب المصرية** ٤/١٨٨ .

٢٦- **هدية العارفين** ١/٤١٦ .

٢٧- **الضوء اللامع** ٣/ ٣٠٣ .

٢٨- **هدية العارفين** ١/٤١٦ .

٢٩- **الأعلام** ٣/١٦٤ .

٣٠- **هدية العارفين** ١/٤١٦ .

٣١- السابق نفسه .

٣٢- السابق نفسه .

٣٣- ق . أ . ظ .

٣٤- ق ٣ و .

(*) مطموس بالأصل .

٣٥- ق ٥٠ و .

٣٦- ق ٥٥ و .

٣٧- ق ٦٨ ظ .

٣٨- ق ٧٣ ظ .

٣٩- ق ٧٩ ظ .

٤٠ - ق ٨١ ظ .

٤١- ق ٨٣ ظ .

٤٢- ق ٨٥ و .

٤٣- ق ٨٦ظ .

٤٤- ق ٨٩ ظ .

٤٥- ق ٩١ ظ.

٤٦- ق ٩٣ ظ .

٤٧- ق ٩٧ ظ .

٤٨ - ق ١٠٠ ظ .

٤٩- ق ١٠٣ ظ .

٥٠- ق ١٠٤ ظ .

٥١- ق ١٠٧ و .

٥٢- ق ١١٦ و - ١١٧ و .

٥٣- ق ١١٨ و .

٥٤- ق ١٢٠.

٥٥- ق ١٢٠ ظ .

٥٦- وهي تشتمل على تخميس بانت سعاد، وآخر تخميس البردة، ونسخ الأخيرة موجودة بمكتبة برلين بأرقامها ٥٨ - ٦٠، ٧٣٥٧، وكذلك بدار الكتب المصرية.

٥٧- **النجوم الزاهرة** ١/١٢ .

٥٨- توفي سنة ٨٣١هـ، انظر **شذرات الذهب** ٧ / ١٥٨ .

المصادر والمراجع

* **الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، تأليف خير الدين الزركلي. طبعة ثامنة . بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٩م .

* **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، تأليف محمد بن علي الشوكاني. القاهرة : مطبعة

السعادة، ١٣٤٨هـ .

* **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تأليف ابن العماد الحنبلي . القاهرة : مطبعة المقدسي، ١٣٥٠هـ .

* **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، تأليف شمس الدين السخاوي . القاهرة : مكتبة المقدسي .

* **عصر سلاطين المماليك، ونتاجه العلمي والأدبي**، تأليف محمود رزق سليم . طبعة ثانية ، القاهرة : مكتبة الآداب، ١٩٦٣م.

* **فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار، لغاية آخر شهر مايو ، ١٩٢٦م** . طبعة أولى . القاهرة : مطبعة الدار، ١٩٢٧م .

* **فهرس الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية**، تأليف محمد الببلاوي، وأحمد الببلاوي . القاهرة . المطبعة العثمانية، ١٣٠٧هـ.

* **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة . إستانبول : مطبعة المعارف، ١٩٤١م .

* **معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية**، تأليف عمر رضا كحالة . دمشق: مطبعة التركي، ١٩٥٧م .

* **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تأليف ابن تغري بردي . القاهرة : مطبعة الدار، دون تاريخ .

* **هدية العارفين**، تأليف إسماعيل باشا. إستانبول : مطبعة المعارف، ١٩٥١م .

* بروكلمان : Brochalaman, Carl Leskichte der Aradischen Literarar . Leiden : E . J . Arill, 1934, and Supplnmts.

* فهرس مكتبة برلين : : W . Aklwasdt Verzeichmiss der Arsbischen Hadschriften der Kiniglichen, Bibliuthck zu Berlin Berlin : A. Asker and , co, 1899 .

* مجلة "**المورد**" البغدادية .

نسخة مغربية من صحيح الإمام البخاري

عبدالله بن محمد المنيف

مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

المقدمة : الحمد لله حمداً حمداً، والشكر له شكراً شكراً . اللهم لا علم إلاّ ما علمتنا. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت سبحانك تجعل الحزن سهلا . ثم الصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف ولد آدم محمد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم . وبعد :

فليس بخافٍ ما لصحيح الإمام البخاري من مزية فائقة عند المسلمين إذ هو أجلّ كتب الإسلام إطلاقاً وأعظمها شأناً وأصحها بعد القرآن الكريم[1] كما هو رأي جمهور العلماء . لذا نجد أن هذا الصحيح لم يغفل منذ أُلّف عن الدراسة والتحقيق والاستفادة بل إنك لو تقرأ فيه مرات عدة لابد وأن تكون قراءتك الأولى أقل من الثانية كما أنك سوف تظفر في قراءتك الثانية بما لم تظفر به في الأولى . لذا كانت عنايتي في دراسة هذه النسخة المخطوطة المحفوظة في إدارة المخطوطات والنوادر بمكتبة الملك فهد الوطنية، وهي نسخة نادرة ومهمة قد تكون كتبت في القرن الرابع الهجري بخط أندلسي، وعليه مقابلة مؤرخة بسنة ٥٧٠ هـ [2] .

نسب المؤلف :

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برْدِزْبة [3] الجعفي البخاري ، ولد عام ١٩٤ هـ، وتوفي عام ٢٥٦ هـ / ٨١٠ م - ٨٧٠ م[4] .

التعريف بصحيح البخاري :

اشتهر هذا الكتاب بـ (صحيح البخاري) على خلاف ما أطلق عليه جامعه وهو "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه"، كما ذكر أن اسمه «الجامع المسند الصحيح، المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه» [5] ؛ ولذيوع العنوان المتداول بين الناس (صحيح البخاري) . ذهب أحدهم إلى دعوة الناشرين إلى العناية بالاسم الأصلي للكتاب عنايتهم باسمه المختصر، واقترح أن يجمع الاسمين عند نشره [6] .

بداية دخول الجامع الصحيح للمغرب والأندلس :

كان لعناية المغاربة بموطأ الإمام مالك دور في تأخر دخول صحيح الإمام البخاري إلى المغرب والأندلس، فموطأ مالك دخل المغرب على يد علي بن زياد التونسي (ت ١٨٠ هـ) (٧) والأندلس على يد غازي بن قيس القرطبي (ت ١٩٩ هـ)(٨)، وقد سبق صحيح البخاري دخولاً للمغرب أيضًا سنن أبي داود السجستاني ، وسنن النسائي(٩) ، بالإضافة إلى جامع الترمذي (١٠) ولعل هناك من برّر تأخر دخول صحيح البخاري إلى المغرب وأرجعه إلى أن أهل المغرب أهل فقه أكثر منهم أهل حديث لذلك تأخر دخوله إليهم (١١).

كما أن هناك من أكد على أن موطأ الإمام مالك كان المصدر الأساسي للإمام البخاري في صحيحه (١٢) . وكان دخوله للأندلس عن طريق أهل القيروان (١٣) .

وصف المخطوطة :

تقع مخطوطة صحيح الإمام البخاري في خمسة أجزاء أو كراسات (١٤) مكتوبة على الرق (١٥) بمداد أسود تحول بمرور الزمن وتقادم العهد إلى المداد البني من تأثير الرطوبة والأكسدة، وهذه الأجزاء من الصحيح هي الجزء الثامن، والجزء العاشر، والجزء الرابع عشر، والجزء التاسع والعشرون، والجزء الثلاثون، وكل هذه الأجزاء مغفلة عن ذكر مكان نسخها .

إلاّ أن التاجر نفسه الذي شريت منه هذه المجموعة قد أتى فيما بعد بثلاثة أجزاء أخرى بغرض بيعها للمكتبة، وهذه الأجزاء هي التاسع، والتاسع عشر، والثاني والعشرون، وترجع أهمية هذه الأجزاء التي لم تتمكن المكتبة من اقتنائها لارتفاع ثمنها ومغالات صاحبها فيها . إلاّ أننا ظفرنا من خلالها بمعلومات جد مهمة وهي مكان النسخ الذي ظهر في الجزء الثاني والعشرون، إذ ذكرت أنها مدينة المرية (١٦) .

أما ناسخها فهو أحمد بن زيد بن هشام ابن زياد العوفي بتكليف أو إهداء لأحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن داود الغساني الوادي آشي، كما ظهر في مقدمات بعض الكراسات(١٧).

واتخذت الكتابة فيها الورقة العمودية بحيث كانت مقاساتها ٢٦سم طولاً × ١٩سم

عرضًا والجزء المشغول بالكتابة هو ١٩سم طولاً × ١٣ سم عرضًا . والمتن كتب في مسطرة ثابتة وبين خطين متوازيين عموديًا ظهرا أحيانًا في ورقة الرق وأحيانًا لم يظهرا، أما عدد الأسطر فبلغ ٢٦ سطرًا . كتبت الأبواب بخط أكبر حجمًا من خط المتن.

واستغلت الهوامش (أو الحواشي) لكتابة الشروح المفسرة لبعض معاني الحديث، كما قد استغلت لكتابة بعض الروايات الأخرى للحديث الواحد . وبعض هذه الشروح يرجع إلى فترة كتابة النسخة وبعضها لفترة لاحقة لها .

الخط :

كتبت هذه النسخة بالخط الأندلسي، ومما يؤسف له أن كتب المشارقة المعنية بالوراقة والوراقين لم تتطرق لأنواع الخط المغربي أو الأندلسي . وإن ذكرته فيأتي ذكره عرضًا وعلى العكس من ذلك إذا تطرقوا للخط العربي في المشرق إذْ نجد أن هناك ذكرًا للأنواع ومسمياتها وميزات كل خط عن الآخر . وإن كانت الأقطار المغربية والأندلس تميزت بأنماط مختلفة عما نجده في الشرق، ولعل هذا القول يظهر حتى هذا الوقت من سهولة التفريق بين أشكال الحروف المشرقية عن المغربية ، وإن كانت الأجهزة الحديثة أخذت تقضي على هذا الاختلاف ومع ذلك نسمع أن هناك دعوة من أهل المغرب لوضع برامج حديثة للخطوط الآلية تتوافق مع شكل وانسياب الخط المغربي[١٨].

ولعل من مظاهر تميز الأمويين في الأندلس هو خطهم كما حكا ذلك ابن خلدون بقوله : «وتميز مُلْكُ الأندلس بالأمويين فتميزوا بأحوالهم في الحضارة والصنائع، وتميز صف خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد» [١٩] . كما أن الخط الأندلسي نفسه تباين بين شرق الأندلس وغربه [٢٠] .

وقد يصعب على بعض المفهرسين للمخطوطات التمييز بين الخط الأندلسي والخطوط المغربية الأخرى من قيرواني أو جزائري أو مغربي شمالي أو مغربي جنوبي (صحراوي) إلاّ أن المدقق والمتمكن من ذلك يمكنه التعرف عليه بكل سهولة .

كما قد تضاربت الأقوال حول أنواع

الخط الأندلسي والمغربي، وإن كنا نجد أن هناك من قسم الخط الأندلسي إلى :

أ - خط المغاربة ووصفه أنه الخط الذي يكتب به في وقته وحدد مكانه من الأندلس وأقصى المغرب إلى الإسكندرية.

ب - خط المشارقة وهو المعروف بخط صغير الثلث .

ج - خط المصاحف وعرفه بأنه الخط المبسوط.

د - خط الجزم وعرفه بأنه الخط الكوفي، وذكر أنه لم يبق منه إلا ما نقش على الجدران وبعض المصاحف القديمة [٢١] .

ولعل مما هو جدير بالملاحظة في هذه النسخة طريقة نقط الفاء والقاف فيها إذ أنها نقطة على طريقة أهل المغرب، ولعل هذه الطريقة بالإضافة إلى طريقة أهل المشرق كانتا على غير ما كانت تنقط عليه في الزمن الأول ، إذْ إن كلا نقطي الفاء والقاف قد أخطأ في نقطهما المشارقة والمغاربة على حد سواء . وتعليل ذلك قول الداني [٢٢] إن الخليل بن أحمد في روايته عن نقط الحروف يقوله عن نقطهما : «والفاء إذا وصلت فوقها واحدة، وإذا انفصلت لم تنقط لأنها لا يلابسها شيء من الصور، والقاف إذا وصلت تحتها واحدة . وقد نقطها ناس من فوقها اثنتين، فإذا فصلت لم تنقط لأن صورتها أعظم من صورة الواو». ومن هذا القول يظهر أن من ينقط القاف بنقطتين كان هو الشاذ، علمًا أن الداني في موضع آخر يصف أن أهل المشرق ينقطون القاف بنقطتين.

ولعل هذا كان مشهورًا في عصر الداني وليس في عصر الخليل بن أحمد، وقد وجدنا نماذج مخطوطة يظهر عليها ما يقول به الخليل [٢٣] .

وصف أجزاء النسخة بدءًا من :

١ - الجزء الثامن :

عنون هذا الجزء بـ «بقية من كتاب الجنائز وبعض كتاب الزكاة» ويبدأ من باب «الصلاة على النفساء إذا ماتت في نفاسها» وهذا من منتصف كتاب الجنائز[٢٤]، إلى نهاية باب زكاة البقر من كتاب الزكاة [٢٥]. وفي خاتمته مقابلة على نسخة أخرى وتاريخها ١٢ المحرم سنة ٥٧٠هـ . وتبلغ ورقات هذا الجزء أربع عشرة ورقة . كتبت على ورقات غير منتظمة في قطعها، كما يوجد بعض الخروق الطبيعية وقبل الكتابة عليه ، وقد أملى هذا الشيء طبيعة الرق

الذي يختلف عن الورق، كذلك ظهر في هذه الورقات عدم اتخاذها سمكًا واحدًا ولونًا واحدًا للرق .

٢ - **الجزء العاشر :**

عنون هذا الجزء بـ «بعض كتاب المناسك»، ويبدأ من باب «كسوة الكعبة» [٢٦] إلى نهاية باب «هل يبيت أصحاب السقاية أو غيرهم بمكة ليالي منى» [٢٧].

وفي خاتمته مقابلة كسابقه إلاّ أن تاريخها يختلف وهو ١٧ شعبان سنة ٥٧٠ هـ .

وتبلغ ورقات هذا الجزء أربع عشرة ورقة مع كثير من الحواشي يختلف تاريخ تدوينها فيما يبدو باختلاف نوع الخط ولون المداد.

٣ - **الجزء الرابع عشر :**

فيه «الجزء الثاني من البيوع وكتاب الشفعة والإجارات وكتاب الحوالة والكفالة والوكالة، والمزارعة والمياه»، ويبدأ هذا الجزء من باب السلم (ورقة ١ ب) [٢٨] وباب الشفعة (ورقة ٢ ب) [٢٩] . أما باب الإجارة فيبدأ من نهاية الورقة السابقة [٣٠]، وكتاب الحوالة يبدأ من نهاية (الورقة ٥ ب) [٣١] . أما باب الكفالة فيبدأ من (الورقة ٦ أ) [٣٢]. ثم يليه كتاب الوكالة الذي يبدأ من (الورقة ٧ ب) [٣٣]. أما باب ما جاء في الحرث والمزارعة فيبدأ من (الورقة ١٠ أ) [٣٤] .

وهذا الجزء ينتهي بنهاية باب شرب الناس والدواب من الأنهار (ورقة ١٥ أ) [٣٥]. وفي خاتمته مقابلة كما في الأجزاء السابقة إلاّ أن تاريخ الفراغ منها كان ٢٧ شعبان سنة ٥٧٠ هـ . ويبلغ عدد أوراقه ١٥ ورقة .

٤ - **الجزء التاسع والعشرون :**

وهو من كتاب تفسير القرآن ، ويبدأ من أول سورة ص [٣٦]، إلى نهاية سورة المدثر (ورقة ١٦ أ) [٣٧] . وفي نهاية هذا الجزء مقابلة وتاريخها هو ١٢ جمادى الأولى من سنة أربعين وما بعدها مخروم خرمًا يبدو متعمدًا . ويبلغ عدد أوراقه ١٦ ورقة .

٥ - **الجزء الثلاثون :**

وهو معنون بـ «بقية التفسير» وكتاب فضائل القرآن وهو متمم للجزء السابق، ويبدأ من سورة القيامة [٣٨] . وينتهي كتاب التفسير عند (الورقة ٧ ب) وفي نهايتها يبدأ كتاب «فضائل القرآن» إلى نهاية هذا الباب[٣٩].

ويلاحظ على هذا الجزء أنه أكمل من الورقة العاشرة بورق وليس برق وبخط

يختلف عن الخط الذي كتبت به الأجزاء الأربعة السابقة والورقات التسع الأولى من هذا الجزء . مع ملاحظة أن المقابلة وتاريخها لم ترد في آخر المخطوط مثل ما كان مثبت في الأجزاء السابقة .

الاختلاف بين المخطوط والمطبوع :

لقد كان ثمة اختلاف بين المخطوط والمطبوع، ومرد ذلك إلى اختلاف النسخ واختلاف الرواة الذين رووا الصحيح ؛ لذلك نجد أن هذه النسخة المخطوطة اختلفت عما هو مطبوع فيما يلي :

١ - الجزء الثامن :

لقد ظهر الاختلاف في هذه النسخة عن المطبوع في وجود سقط في (الورقة ١ ب، س ٤)، المتمثل في كلمة «عليها» حيث إنها وردت في المطبوع (ص ٩١، س ٦) .

وكذلك زيادة كلمة مالك في الورقة (١ب، س ٨) عن المطبوع (ص ٩١، س ١٠) وكتابة أربعًا (١ ب، س٩) بدلاً عن الرابعة (ص٩١، س ١١) .

وزيادة الكلمات «يكون في المسجد» في الورقة (١ ب ، س ٢٤) عن المطبوع في (ص ٩٢ ، س ٥) . كما يوجد اختلاف في ترتيب الأبواب، إذْ يرد باب «الميت يسمع خفق النعال» ورقة (٢ أ) . في المطبوع في (ص٩٢) بعد باب «من يدخل قبر المرأة» وليس كما في المطبوع إذْ يرد هذا الباب بعد «باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن» . وكذلك اختلاف مسمى باب بناء المسجد على القبر، إذْ ورد في المخطوط على ما ذكر (٢ أ، س ١٠) أما المطبوع فقد عنون ببناء المساجد على القبر، (ص ٩٣، س٧) .

اختفاء كلمة «ذكر» كما في المخطوط (٢ أ ، س ١١) وذكرت في المطبوع (ص ٩٣، س ٩) وورد باب «من لم ير غسل الشهيد» بهذه الصفة في المخطوط (٢ ب، س ٩) أما المطبوع فكان بهذه الصفة، «من لم ير غسل الشهداء» كما سقطت كلمة «قال ابن المبارك» من المخطوط (٢ب، س١٧) وأثبتت في المطبوع (ص ٩٤، س ١٨) .

كما ورد باب «الميت تعرض عليه الجنة والنار بالغداة والعشي» في المخطوط بهذه الصفة (٥ ب، س١٥) أما المطبوع فقد ورد بـ «الميت يعرض عليه بالغداة والعشي» (ص ١٠٣ ، س ١١) .

وورد باب «من تصدق في الشرك» بهذه

الصفة في المخطوط (١١ ب، س٦) أما المطبوع فكان بعنوان «من تصدق في الشرك ثم أسلم» (ص ١١٩، س ١٤) .

كما ورد في المطبوع تقديم لباب «قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى اللهم أعط منفق مالٍ خلفاً» على باب «مثل البخيل والمتصدق» والأخير هو الذي ورد في المخطوط أولاً (١١ ب)، ثم تلاه ما ذكرنا أولاً.

أما باب صدقة الكسب والتجارة (١٢ أ، س ١٥) فقد زيد عليه في المطبوع بـ «إلى قوله غني حميد» (ص ١٢١) . وهذه الزيادة لم ترد في المخطوط ، ثم أننا نجد أن هناك عدم انتظام في ترتيب الأبواب بين المخطوط والمطبوع إذْ نجد أن بعد «باب الورق» يأتي «باب من بلغت صدقته ابنة مخاض وليست عنده» .

وهذا الباب مع اختلاف في عنوانه يأتي في المطبوع بعد باب «زكاة الإبل» كما نجد الاختلاف أيضًا ظاهرًا في عنوان «باب لا يؤخذ في الصدقة ذات عوار ولا هرمة ولاشيء إلا ما شاء المصدق» وهي بهذه الصفة في المخطوط (١٣ ب ، س ٩)، أما المطبوع فقد انحصر الاختلاف في أسبقية كلمة الهرمة كلمة العوراء، (ص ١٢٤) .

٢ - الجزء العاشر :

يرد أول اختلاف في هذا الجزء من المخطوط في عنوانه باب «إغلاق البيت ويصلي في أي نواحيه شاء» (١ ب ، س ١٦) أما المطبوع فقد كتب العنوان بهذه الصفة «إغلاق البيت ويصلي في أيِّ نواحي البيت شاء» (ص ١٦٠) .

كما تقدم في المخطوط باب «من لم يقرب الكعبة ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف الأول» على باب «من صلى ركعتي الطواف خارجًا من المسجد وصلى عمر خارجًا من الحرم» أما المطبوع فقد سبق الثاني الأول (ص ١٦٥) .

أما باب «ما جاء في سقاية الحاج» (٤ ب، س ١) فقد ذكر في المطبوع هكذا «سقاية الحاج» (ص ١٦٧) . كما اختلف مسمى باب «ما جاء في السعي بين الصفا والمروة ، وقال ابن عمر السعي من دار ابن عباد إلى زقاق ابن أبي حسين» (٥ ب ، س ١٣، ١٤)، عن مسمى المطبوع الذي ذكر

بهذه الصفة، «ما جاء في السعي بين الصفا والمروة وقال ابن عمر رضي الله عنهما السعي من دار بني عباد إلى زقاق بني أبي حسين» (ص ١٧٠).

وكذا زيد باب «التعجيل إلى الوقف» في المطبوع عن المخطوط (ص ١٧٥) .

كما ورد في المخطوط بابًا سقط من المطبوع وهو باب «من أهدى أو ساق الهدي من الناس» (١٠ أ ، س ٥) . وورد في المطبوع حديثًا لم يرد في المخطوط وهو «حدثنا سهل بن بكار حدثنا وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس، وذكر الحديث قال ونحر النبي صلى الله عليه وسلم بيده سبع بدن قيامًا وضحى بالمدينة كبشين أملحين أقرنين مختصرًا» (مج ٢، ج٣ ، ص ٤٨) .

٣ - الجزء الرابع عشر :

لقد وردت زيادة في المطبوع وهي كلمة «له» (مج٢، ج٣، ص ٤٨) عن المخطوط (٣ أ، س ١٧) . كما سبق «باب الإجارة من العصر إلى الليل» فى المخطوط على باب «إثم من منع أجر الأجير» (٤ أ) . أما المطبوع ، فقد سبق باب «إثم من منع أجر الأجير» على باب «الإجارة من العصر إلى الليل» (مج ٢، ج٣، ص ٥٠) . كما زيدت بعض الكلمات في المطبوع في باب «ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب» (مج٢ ، ج٣، ص ٥٣)، أما المخطوط فعنون الباب بـ «ما يعطى في الرقية بفاتحة الكتاب» (٥ أ ، س ٤) .

كما ورد باب «إذا أحال على مليّ فليس له ردّ» في المطبوع (مج٢ ، ج٣، ص ٥٥) ولم يرد في المخطوط . وزيدت كلمة «أصحاب» في المطبوع بعد أوقاف (مج٢، ج٣، ص ٧٠) أما العنوان في المخطوط فكان «أوقاف النبي صلى الله عليه وسلم وأرض الخراج» (١١ أ، س ٢٠) كما اختلف المخطوط عن المطبوع في باب «ما جاء في الزرع» (١٧ أ، س٦)، أما المطبوع فقد سمى هذا الباب بـ «ما جاء في الغرس» (مج٢، ج٣، ص٧٣) ، وكذلك الاختلاف في مسمى باب «الشرب» (١٣ أ) الذي عنون له في المطبوع بـ «كتاب المساقاة» . والاختلاف أيضًا في عنوان باب«من قال إن صاحب الحوض أو القربة أحق بمائه» (١٤ ب، س٦) ، أما المطبوع فقد أبدلت فيه كلمة «قال» بكلمة «رأى» (مج٢، ج٥، ص ٧٧) .

٤ - الجزء التاسع والعشرون :

ورد في هذا الجزء باب «ومن سورة محمد صلى الله عليه وسلم» هكذا في المخطوط (٥ أ، س ٢١)، أما المطبوع فقد ذكر هكذا «الذين كفروا» ثم ذكر الشارح للمطبوع (مج٣، ج٦، ص ٤٢) أن هذا العنوان ورد في مخطوطة بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ) مشابهًا لما ورد في المخطوط . وفي باب «قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة (٦ أ، س ١٦) . أما المطبوع فقد ورد هكذا «باب قوله إذ يبايعونك تحت الشجرة» (مج٣، ج٦، ص٤٥).

٥ - الجزء الثلاثون :

ليس فيما بقي من هذا الجزء مما يرجع إلى تاريخ نسخه الأول إلاّ ٩ ورقات من الرق، أما الباقي فكان من الورق كما ذكرنا سابقًا.

التجليد :

لقد تم تجليد هذه النسخة بتجليد حديث لايرقى إلى تاريخ نسخها، وربما أن هذا التجليد من جلود البقر، واستخدمت فيه طريقة الضغط ، حيث قسمت الدفة اليمنى إلى ثلاثة مستطيلات، كل مستطيل أصغر من الذي قبله، وكان طول المستطيل الأول الذي يحاذي حافة الجلد ٢٧ سم× ٢٠سم، أما المستطيل الأوسط فكان طوله ٢٢,٥٠×١٤,٥٠سم والمستطيل الصغير طوله ١٩,٥٠×١١سم . كما يوجد خط ينطلق من زاوية المستطيل الأول إلى أن يصل المستطيل الصغير بشكل زخرفي . أما السرة فقد رسمت فيها ميدالية أخذت لونًا أخضر، عبارة عن زخارف نباتية مدببة الطرفين العلوي والسفلي، ولف بها إطار ينطلق من أعلاها ملامسًا الخط المستطيل الصغير إلى أن يصل إلى الخط السفلي . مع وجود زخارف نباتية في زوايا المستطيل الصغير . عبارة عن زهرة اللوتس، وهذه السرة وما يحيط بالميدالية كله مذهب باللون الأصفر .

تاريخ النسخة :

لم يظهر في هذه النسخة تاريخ نسخها وما ظهر عليها هو فقط تاريخ المقابلة الذي دون في آخر كل جزء من أجزائها . وبمقارنة خط هذه النسخة مع ما هو مؤرخ ظهر لنا أن هذه النسخة مما كتبت في القرن الرابع الهجري، وذلك بمقارنتها لنسخة من موطأ الإمام مالك، مؤرخة بشهر رجب عام ٣٩١هـ/ يونيو ١٠٠١م . وعليها تملك مؤرخ بعام ٤٨٠هـ [٤٠] . انظر الملاحق .

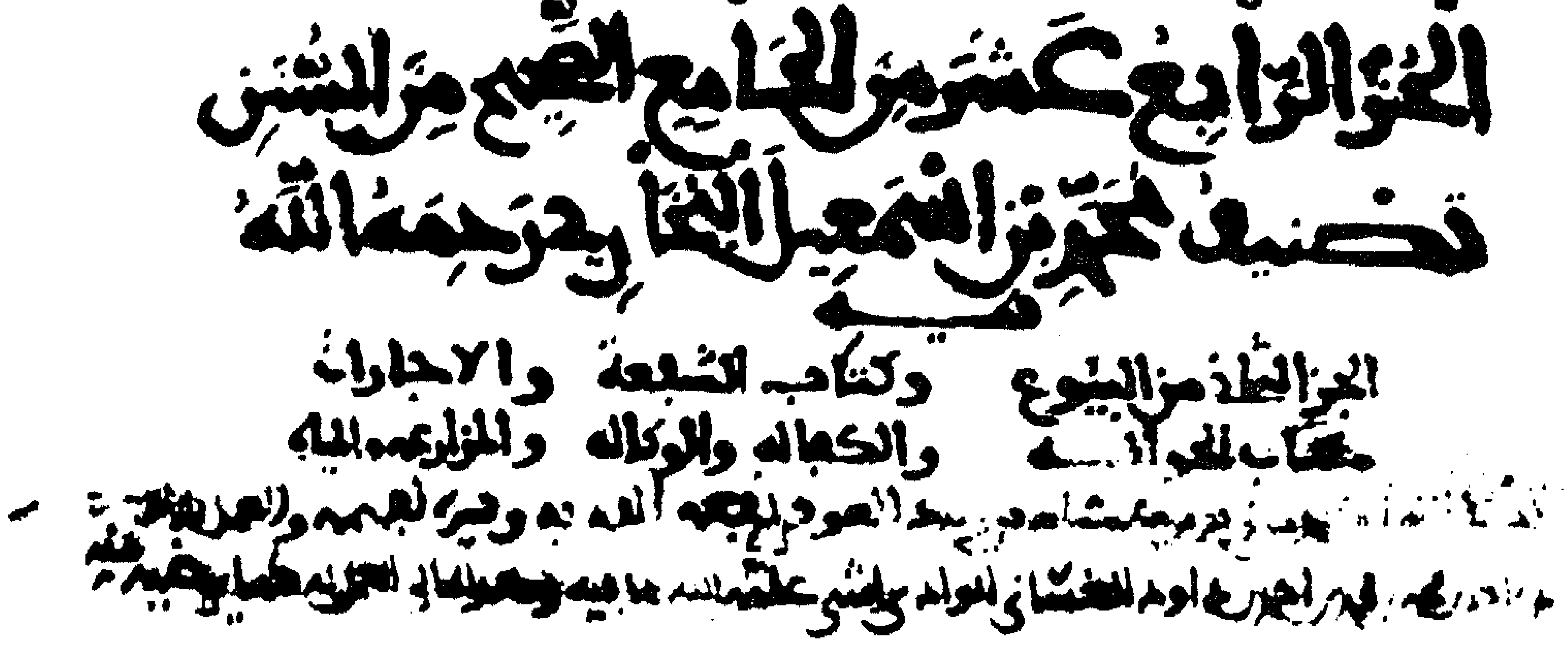
الجزء الرابع عشر من الجامع الصحيح من السنن
تصنيف محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله
فيه
الجزء الثالث من البيوع وكتاب الشفعة والاجارات
وكتاب الحوالة والكفالة والوكالة والمزارعة والمياه

الصفحة الأولى من الجزء الرابع عشر من الجامع الصحيح للإمام البخاري

* * *

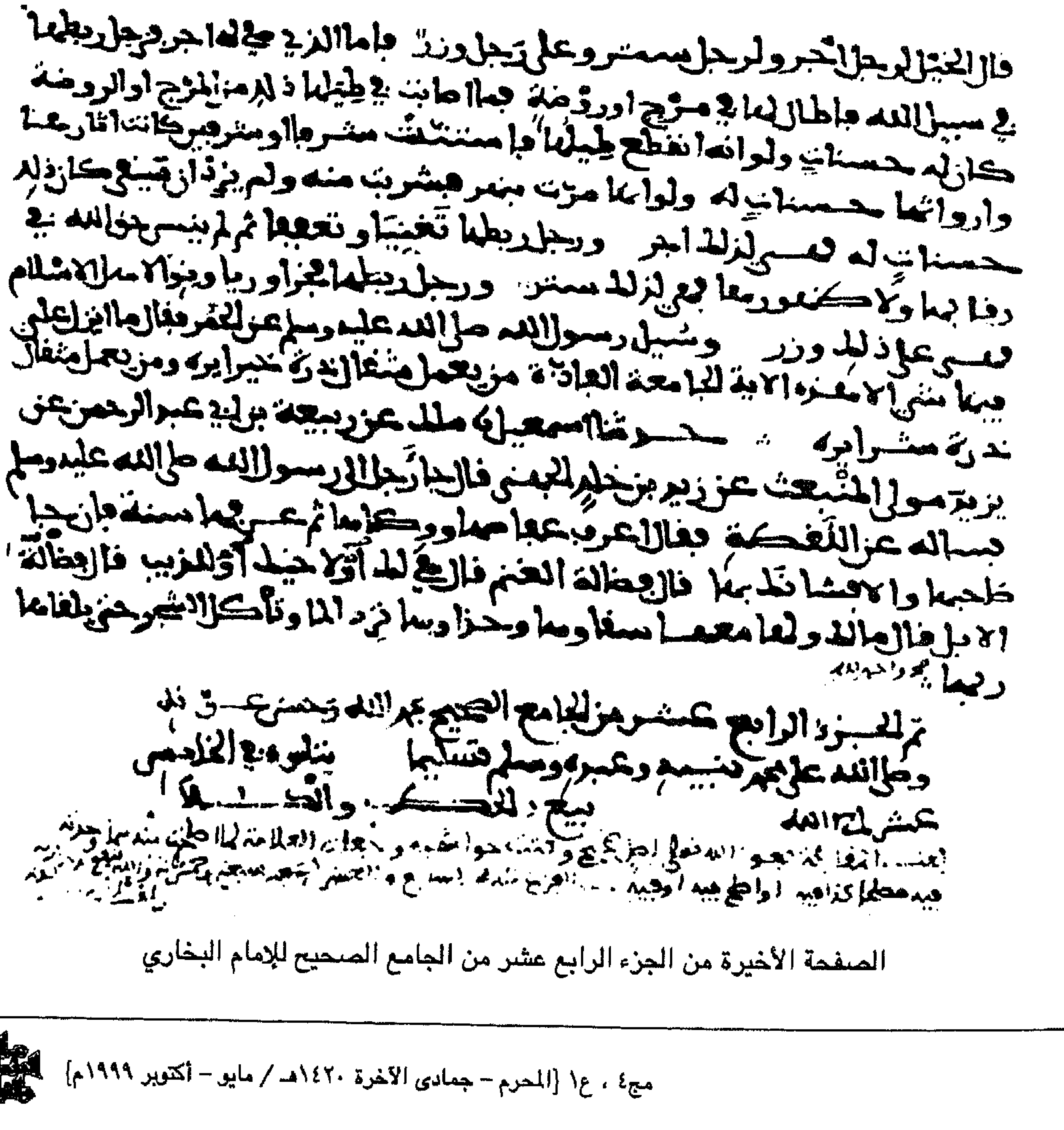
قال الخيل لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها
في سبيل الله فاطال لها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة
كان له حسنات ولو انه انقطع طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت اثارها
وارواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقي كان ذلك
حسنات له فهي لذلك اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في
رقابها ولا ظهورها فهي لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام
فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي
فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفاذة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره حدثنا اسمعيل حدثني مالك عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن
يزيد مولى المنبعث عن زيد بن خالد الجهني قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يساله عن اللقطة فقال اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة فان جاء
صاحبها والا فشانك بها قال فضالة الغنم قال هي لك او لاخيك او للذئب قال فضالة
الابل قال ما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتاكل الشجر حتى يلقاها
ربها
تم الجزء الرابع عشر من الجامع الصحيح بحمد الله وحسن عونه
وصلى الله على محمد نبيه وعبده وسلم تسليما يتلوه في الخامس
عشر

الصفحة الأخيرة من الجزء الرابع عشر من الجامع الصحيح للإمام البخاري

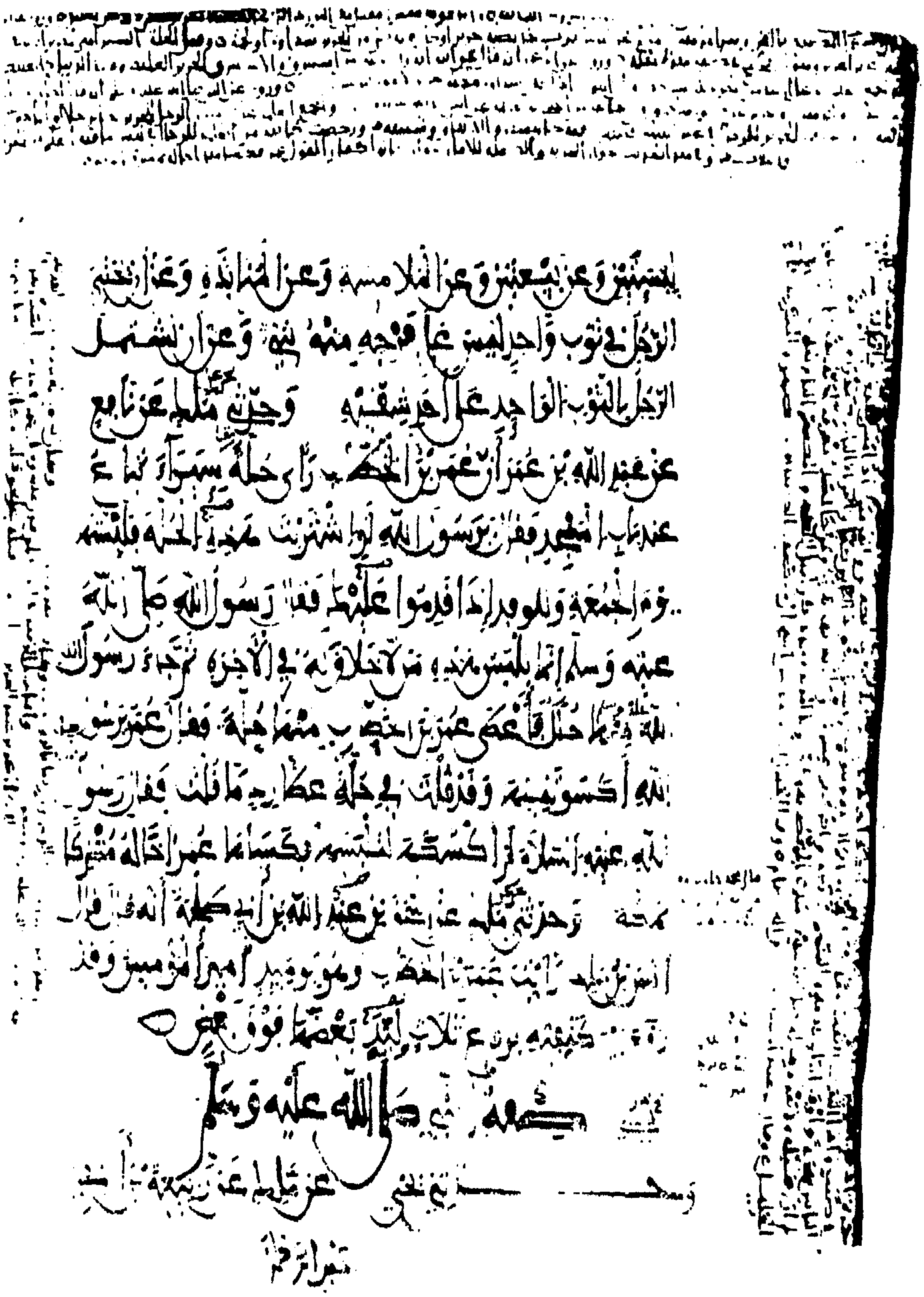
يلتبسين وعن بيعتين وعن الملامسة وعن المنابذة وعن أن يحتبي
الرجل في ثوب واحد ليس على فرجه منه شيء وعن أن يشتمل
الرجل الثوب الواحد على أحد شقيه وحدثني مالك عن نافع
عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء تباع
عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريت هذه الحلة فلبستها
يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة ثم جاء رسول
الله منها حلل فأعطى عمر بن الخطاب منها حلة فقال عمر يا رسول
الله أكسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت فقال رسول
الله [illegible] إني لم أكسكها لتلبسها فكساها عمر أخا له مشركا
بمكة وحدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه قال
قال أنس بن مالك رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد
رقع بين كتفيه برقع ثلاث لبد بعضها فوق بعض
[illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible]

نقلاً عن كتاب وحدة الفن الإسلامي، ص٢٦

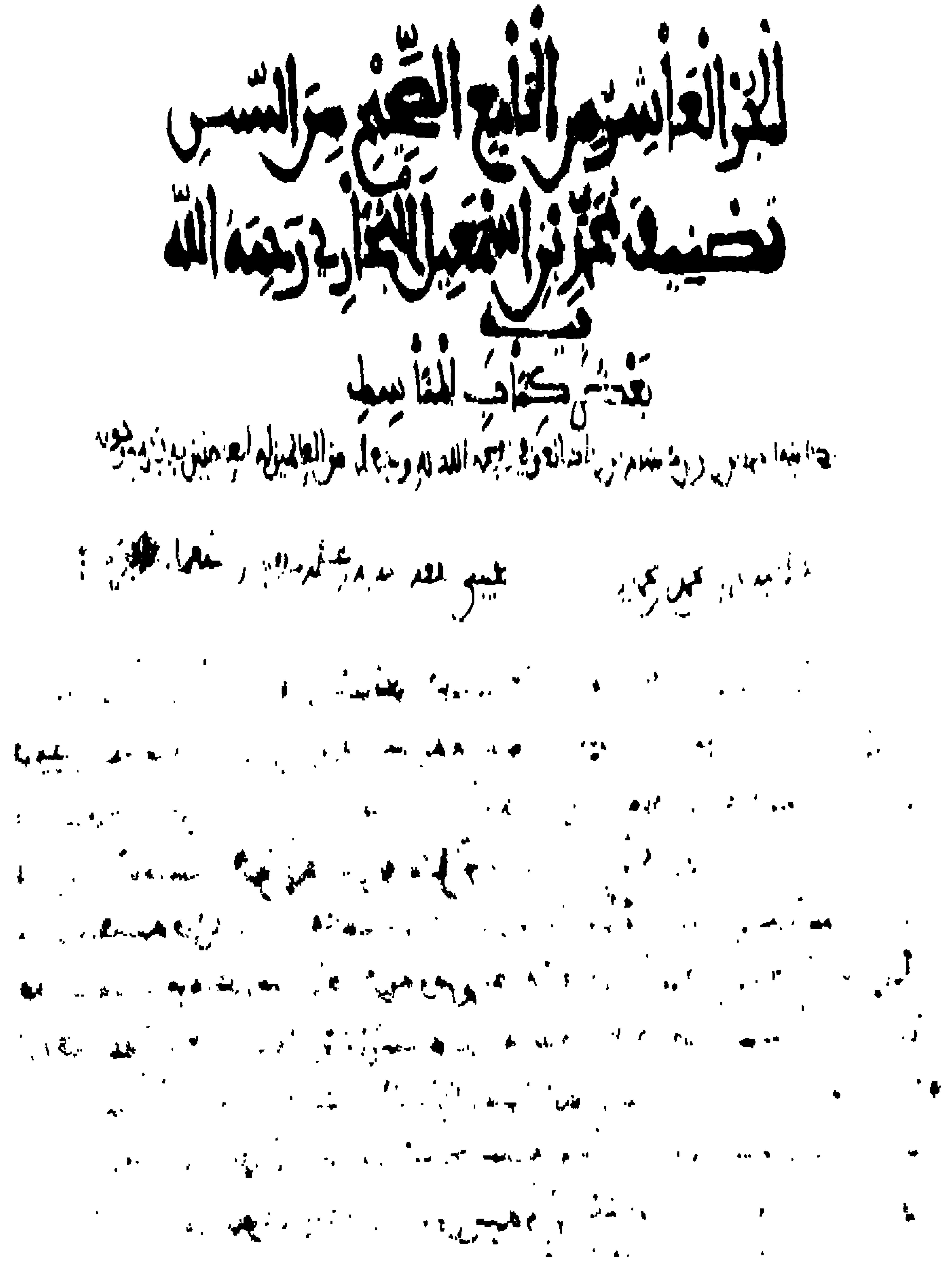
الجزء العاشر من الجامع الصحيح من السنن
تصنيف محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله
بعده كتاب المناسك

الصفحة الأولى من الجزء العاشر من الجامع الصحيح للإمام البخاري

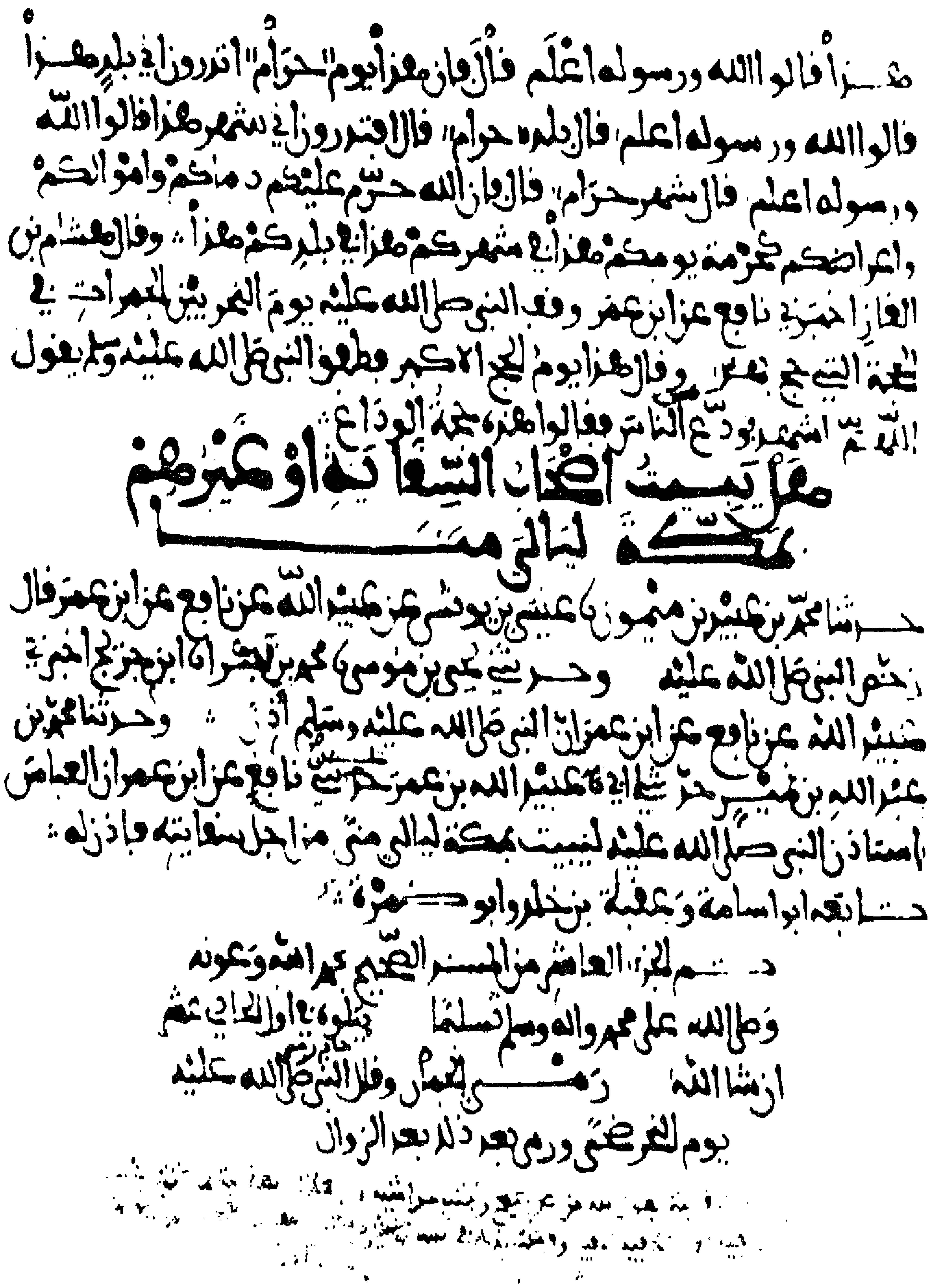
هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن هذا يوم حرام أتدرون أي بلد هذا
قالوا الله ورسوله أعلم قال بلد حرام قال أفتدرون أي شهر هذا قالوا الله
ورسوله أعلم قال شهر حرام قال فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم
وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وقال هشام بن
الغاز أخبرني نافع عن ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه يوم النحر بين الجمرات في
الحجة التي حج بهذا وقال هذا يوم الحج الأكبر فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اشهد وودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

هل يبيت أصحاب السقاية أو غيرهم بمكة ليالي منى

حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى بن يونس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال
رخص النبي صلى الله عليه وحدثني يحيى بن موسى ثنا محمد بن بكر أنا ابن جريج أخبرني
عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن وحدثنا محمد بن
عبد الله بن نمير ثنا أبي ثنا عبيد الله بن عمر حدثني نافع عن ابن عمر أن العباس
استأذن النبي صلى الله عليه ليبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له
تابعه أبو أسامة وعقبة بن خالد وأبو ضمرة

تم الجزء العاشر من المسند الصحيح بحمد الله وعونه
وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما يتلوه في أول الحادي عشر
إن شاء الله رمي الجمار وقال جابر رمى النبي صلى الله عليه
يوم النحر ضحى ورمى بعد ذلك بعد الزوال

إحدى صفحات المخطوطة

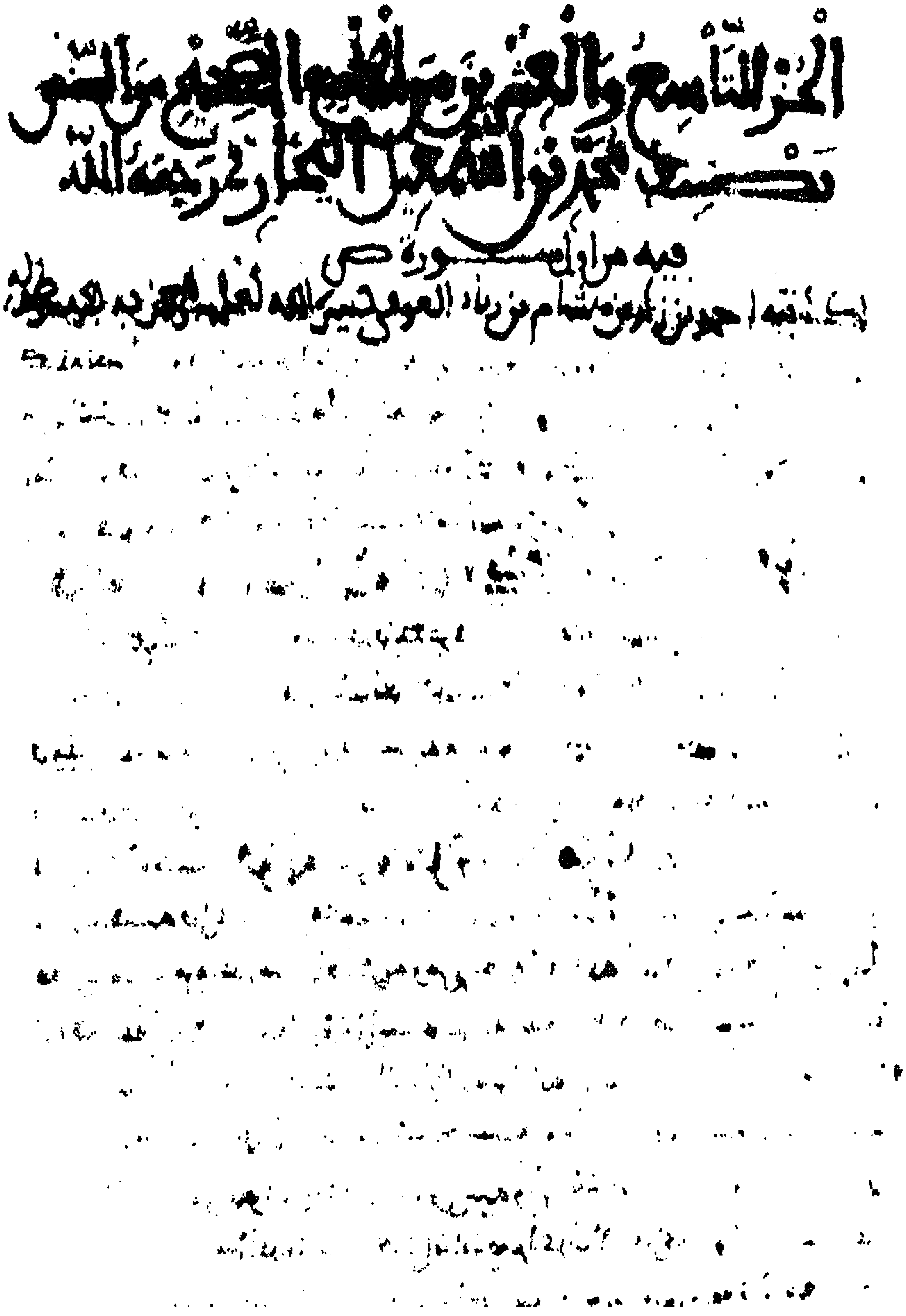

الجزء التاسع والعشرين من الجامع الصحيح من السنن
تصنيف محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله
فيه من أول سورة ص

الصفحة الأولى من الجزء التاسع والعشرين من الجامع الصحيح للإمام البخاري

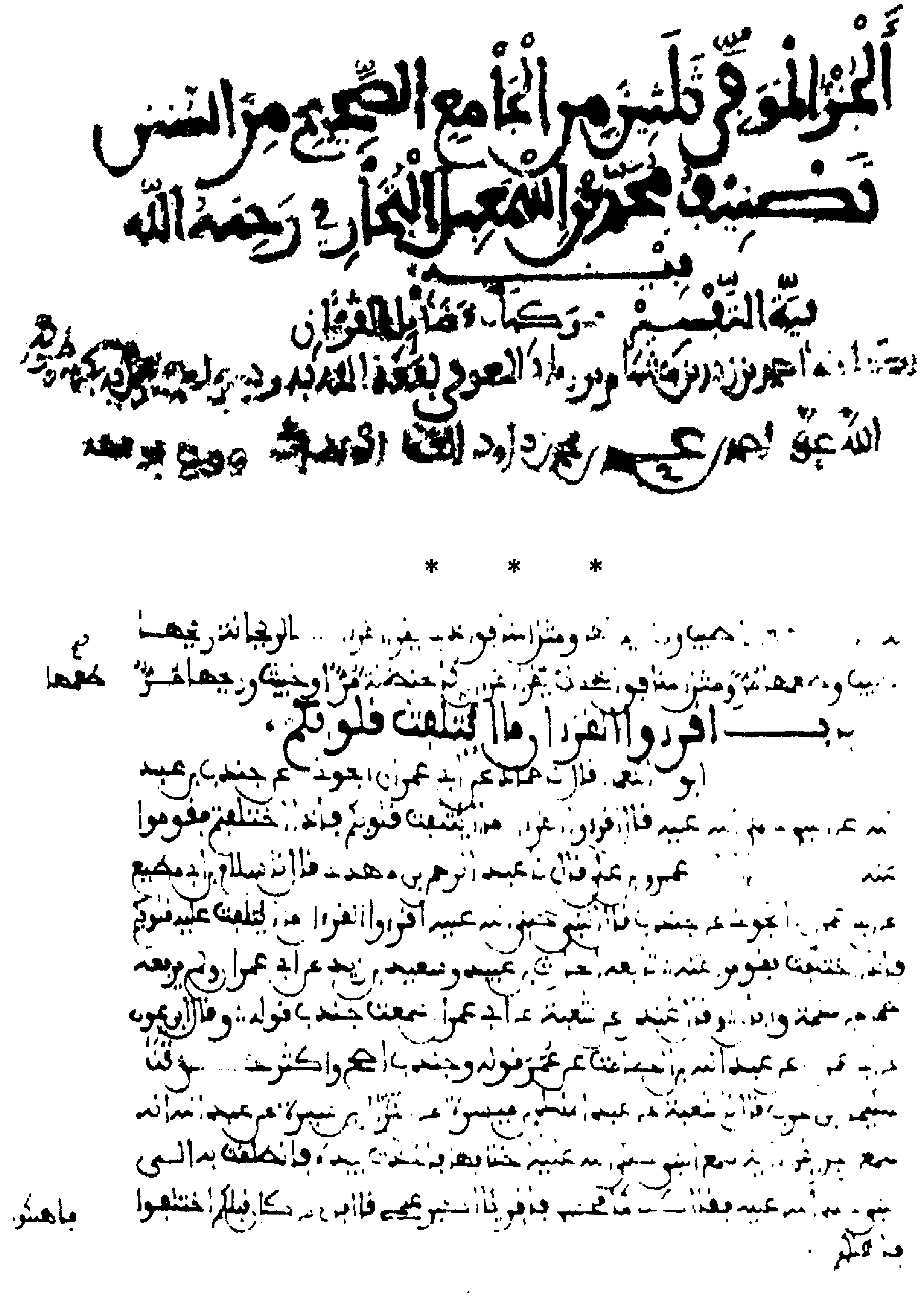
الجزء الموفي ثلثين من الجامع الصحيح من السنن

تصنيف محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله

بقية التفسير وكتاب فضائل القرآن

باب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم

* * *

أحد أجزاء المخطوطة

الهوامش

١ - العريني، **الحياة العلمية في الأندلس**، ص٢٣٤.

٢ - اطلعت على كراسة منه أثناء إقامة دورة صناعة المخطوط العربي الإسلامي في مركز جمعة الماجد في دبي في الفترة من ٢٦ ذو الحجة ١٤١٧ - ٩ المحرم ١٤١٨هـ . وقد يكون عندهم أجزاء أخر منها . كما وجدته في ورقة عمل لعبدالرحمن فرفور ، عنوانها : قواعد تقييم المخطوطات العربية الإسلامية . ص٩١، لوحة رقم ٢٦.

٣ - قال الحافظ بن حجر في «هدي الساري» : وبرد زبة بالفارسية : الزراع كذا يقوله أهل بخارى، نقلاً عن : القاسمي، **حياة البخاري** ، ص ١٣. الذهبي ، **تراجم الأئمة الكبار**، ص١٠١.

٤ - للمزيد عن ترجمته انظر: الخطيب البغدادي ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** : ترجمة رقم ٤٢٤ في ج٢ ص٤. والذهبي : **تذكرة الحفاظ**، ترجمة رقم ٢٧٨ في ج٢ ص ٥٥ - ٥٥٧ . والسبكي : **طبقات الشافعية الكبرى**، ترجمة رقم ٥٤ في ج٢ ص ٢١٢ . وأبي يعلى: **طبقات الحنابلة**، ترجمة رقم ٣٨٧ في ج١، ص ٢٧١ - ٢٧٩ . والنديم، **الفهرست** ، ص ٢٨٦.

٥ - عبدالخالق، عبدالغني؛ **الإمام البخاري وصحيحه**، ص ١٧٩ . **وصحيح البخاري**، مقدمة الناشر ص أ .

٦ - عبدالخالق، المرجع السابق، الصفحة نفسها . وللمزيد عن الإمام البخاري وصحيحه ورواياته والدراسات حوله ونسخ مخطوطاته وشروحه ومختصراته ينظر فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي**؛ مترجم، مج١، ص٢٢٠ - ٢٥٦.

٧ - إعراب، سعيد : **صحيح البخاري بالغرب الإسلامي**، ص ٨٠ .

٨ - ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ٥٦.

٩ - إعراب، **صحيح البخاري**، ص ٨١ .

١٠- العريني، **الحياة العلمية في الأندلس**، ص٢٣٥.

١١- إعراب، **صحيح البخاري**، ص ٨٢ .

١٢- سزكين، **تاريخ التراث العربي**، مترجم، مج١، ج١، ص ٢٢٤، هامش ٢٨٣ .

١٣- شواط، **مدرسة الحديث في القيروان**، ج ١، ص ٢٧٧ محيلاً إلى **مشارق الأنوار** ١/٣٦، ٣٨ وفهرس **ابن خير** ، ص٩٧ .

١٤- الكراسة في معظم المخطوطات هي عشر ورقات، وقد تكون ثماني كما قد تكون إحدى عشرة ورقة. انظر : أحمد شوقي بنبين؛ **دراسات في علم المخطوطات**، ص ٧١ هامش ٣ .

وجاء في **مختار الصحاح** الكراسة واحدة الكُرَّاس والكراريس، ص ٥٦٧ .

ونقل عن الذهبي أنه ظن أن الكراسة ثلاث

ورقات، وللمزيد عن الكراسة واشتقاقها واصطلاحها في عرف المحدثين وعدد أوراقها: ينظر موفق بن عبدالله بن عبدالقادر؛ **توثيق النصوص وضبطها**، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

١٥- يلاحظ أن المغاربة كانوا يكتبون على الرق حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، انظر: عبدالله بن محمد المنيف، **دراسة فنية لمصحف مبكر**، ص٦٧.

١٦- المَرِيَّة : بفتح الميم وكسر الراء وتشديد المثناة من تحت وفي آخرها هاء ، هي مدينة كبيرة من أعمال الأندلس، كان لها ميناء يركب التجار منه في شرق الأندلس اشتهرت بصناعة الديباج، دخلها الفرنجة عام ٥٤٢ هـ وخرجوا منها بعد عشر سنوات، وبقيت تحت أيدي المسلمين حتى عام ٨١٥ هـ/ ١٤٨٩م.

انظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن محمد بن عمر : **تقويم البلدان** ، ص١٧٦-١٧٧. والحموي، **معجم البلدان** ، ج٥، ص١١٩ – ١٢٠، والعريني، المرجع السابق، ص٢٤٢ هامش ٤. والسيد عبدالعزيز سالم : **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، ط١ ، بيروت: دار النهضة العربية ١٩٦٨م.

١٧- انظر مقدمة الجزء العاشر، والرابع عشر.

١٨- الأمجد، الناجي : **الخط المغربي والهوية المفقودة**، ص ٩٧ .

١٩- ابن خلدون، نقلاً عن بنشريفة؛ **نظرة حول الخط الأندلسي**، ص ٧٧ .

٢٠- المرجع السابق، ص ٨٢ .

٢١- بنشريفة، المرجع السابق، ص ٨٣ محيلاً على مخطوطة "**رونق التحبير**" لابن سماك العاملي. وللمزيد عن أنواع الخط المغربي ينظر : المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص٤٧. ومقالتين منشورتين في كتاب "**المخطوط العربي وعلم المخطوطات**" لمحمد بنشريفة بعنوان «**نظرة حول الخط الأندلسي**»، ص ٧٣ – ٧٥ . وللناجي الأمجد بعنوان « **الخط المغربي والهوية المفقودة**» ، ص ٨٧ – ٩٧ .

٢٢- الداني، **المحكم**، ص ٣٥ – ٣٦ .

٢٣- المنيف، **دراسة فنية لمصحف مبكر**، ص١٤٤.

٢٤- ولمقارنة هذه المخطوطة مع مطبوع وقع الاختيار على أنفس النسخ للصحيح وهي نسخة مصورة عن نسخة مطبعة العامرة، وهذا الباب يوافق في المطبوع: مج١ ج٢ ص ٩١، انظر : **صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل، إستانبول، المكتبة الإسلامية، (مصورة عن طبعة العامرة، بإستانبول، سنة ١٣١٥هـ) .

٢٥- المصدر السابق، مج ١، ج ٢، ص١٢٦.

٢٦- المصدر السابق، مج١، ج ٢، ص١٥٩.
٢٧- المصدر السابق، مج ١، ج ٢، ص١٩٢.
٢٨- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٤٣.
٢٩- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٤٦.
٣٠- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٤٧.
٣١- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٥٥.
٣٢- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٥٦.
٣٣- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٦٠.
٣٤- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٦٦.
٣٥- المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص٧٩.
٣٦- المصدر السابق، مج٣، ج ٦، ص ٣١.
٣٧- المصدر السابق، مج٣، ج ٦، ص ٧٦.
٣٨- المصدر السابق، الصفحة نفسها .
٣٩- المصدر السابق، مج٣، ج ٦، ص١١٦.
٤٠- مركز الملك فيصل، وحدة الفن الإسلامي، ص ٢٦ - ٢٧ .

المراجع

أفشار ، إيدج

استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية كما سجلته النصوص الفارسية القديمة ، بحث مقدم لأعمال **المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي** بعنوان «دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر» ، جمادى الآخرة ١٤١٤هـ/ ديسمبر ١٩٩٣م ، إعداد رشيد العناني.- لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .

الثعالبي ، أبي منصور عبدالملك (ت ٤٢٩هـ) .

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق مفيد محمد قميحة .- ط١ .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، ج٤ .- ط١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

الزركلي ، خير الدين

الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .- ط٤ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م .

السمعاني ، عبدالكريم بن محمد التميمي (٥٦٢هـ).

الأنساب ، تقديم وتعليق عمر البارودي .- ط١ .- بيروت: دار الجنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

كحالة ، عمر رضا

معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية .- ط . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (د . ت) .

إعراب ، سعيد

صحيح البخاري بالغرب الإسلامي ، **مجلة دعوة**

الحق ، ع١، س١٧.- الرباط : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

الأمجد ، الناجي

الخط المغربي والهوية المفقودة المخطوط العربي وعلم المخطوطات ، تنسيق أحمد شوقي بنبين .- الرباط: جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٤م (سلسلة ندوات ومناظرات ، ٣٣).

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي

تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، وقف على طبعه وتنسيق وضعه محمد أمين الخانجي .- ط١ .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٤٩هـ .

البخاري ، محمد بن إسماعيل

صحيح البخاري، باهتمام عبدالملك مجاهد .- ط١.- إيطاليا ؛ الرياض : دار السلام ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

بنبين ، أحمد شوقي

دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوجرافي.- ط١ .- الرباط : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح ، ١٩٩٣م (سلسلة بحوث ودراسات ، ٧) .

الحموي ، ياقوت

معجم البلدان .- بيروت : دار بيروت ؛ دار صادر، المجلد الخامس ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .

الداني ، عثمان بن سعيد

المحكم في نقط المصاحف ، تحقيق عزة حسن .- ط٢ .- دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

تراجم الأئمة الكبار أصحاب السنن والآثار ، تحقيق فهمي سعد .- ط١.- بيروت : عالم الكتب ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين

تذكرة الحفاظ ؛ تصحيح عبدالرحمن بن يحيى المعلمي .- بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م .

الرازي ، محمد بن أبي بكر

مختار الصحاح ، طبعة حديثة منقحة .- بيروت : دار القلم ، ١٩٧٩م .

سالم ، السيد عبدالعزيز

تاريخ مدينة المريّة الإسلامية .- ط١ .- بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٨م .

السبكي ، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ؛ عبدالفتاح محمد الحلو .- ط١ .- القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ٨٣ - ١٣٨٦هـ / ٦٤ - ١٩٦٦م .

سزكين ، فؤاد

تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، وراجعه عرفة مصطفى وسعيد

عبدالرحيم .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

شواط ، الحسين محمد

مدرسة الحديث في القيروان .- ط١ .- الرياض : الدارالعالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١١هـ .

عبدالخالق ، عبدالغني

الإمام البخاري وصحيحه .- ط١ .- جدة : دار المنار ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

عبدالقادر ، موفق بن عبدالله

توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين .- ط١ .- مكة المكرمة ؛ بيروت: المكتبة المكية؛ دار البشائر الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

العريني ، يوسف علي

الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين .- ط١ .- الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤١٦هـ .

أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل

تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه، رينود والبارون ماك كوكين ديسلان.- باريس : دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، هذه طبعة مصورة عن دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .

فرفور ، عبدالرحمن

قواعد تقييم المخطوطات العربية الإسلامية ، ورقة عمل غير منشورة، قدمت في دورة صناعة المخطوط العربي الإسلامي، المنعقدة في مركز جمعة الماجد بدبي بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) ، وجامعة الإمارات ، ١٧ - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

القاسمي ، محمد جمال الدين

حياة البخاري ، تحقيق محمود الأرناؤوط .- ط١ .- بيروت : دار النفائس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

ابن القوطية ، محمد عمر بن عبدالعزيز

تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري.- ط١ .- القاهرة : دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

وحدة الفن الإسلامي ، معرض عن الفن الإسلامي .- ط١ .- الرياض : المركز نفسه، ١٤٠٥هـ .

المنيف ، عبدالله بن محمد

دراسة فنية لمصحف مبكر ، محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية .- ط١ .- الرياض : المؤلف ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

النديم ، محمد بن إسحق الوراق

الفهرست ، تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين.- ط٣ .- بيروت ، ١٩٨٨م .

أبو يعلى ، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى

طبقات الحنابلة .- بيروت : دار المعرفة، (د . ت) .

باب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٠٤٥هـ

ناصر بن علي الحارثي

أستاذ مشارك بقسم الحضارة والنظم الإسلامية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

ملخص البحث : تتناول هذه الدراسة باب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٠٤٥هـ ، الذي كان محفوظاً في قاعة الاستقبال في مصنع الكسوة الشريفة في أم الجود بمكة المكرمة ، ثم أعير إلى المتحف الوطني بالرياض لمدة عام .

وتبدأ الدراسة بعرض تاريخي موجز لباب الكعبة حتى عهد السلطان مراد ، ثم وصف الباب موضوع الدراسة، وتحليله من الناحية الفنية، من حيث المواد الخام، وطرق الصناعة ، وأساليب تنفيذ الزخرفة ، والنصوص الكتابية المسجلة عليه، والزخارف النباتية ، والهندسية المنفذة فيه .

كما دعم البحث بصور للباب مع تفريغ لتصميمه العام ، وللأشكال الزخرفية والكتابات المنفذة فيه ، لتوضيح المعلومات التي وردت في ثنايا هذه الدراسة .

تمهيد : نبذة تاريخية عن باب الكعبة حتى عهد السلطان مراد خان .

تباينت الروايات التي أوردها المؤرخون حول أول من جعل للكعبة باباً ، فقد نقل الفاكهي عن الواقدي ما نصه(١): «كان البيت قد دخله السيل من أعلا مكة فانهدم فأعادته جرهم على بناء إبراهيم وجعلوا له مصراعين وقفلاً ، فاستخفت جرهم بأمر البيت، وعملوا أموراً وأحدثوا أحداثاً لم تكن».

أما الأزرقي فقد أورد رواية تفيد بأن تبع الثالث هو أول من عمل باباً للكعبة ، حيث قال(٢) : «ثم كسا البيت كسوة كاملة ، كساه العصب ، وجعل له باباً يغلق بضبة فارسية ..»

وفي نص آخر أكد الأزرقي أنه لم يكن للكعبة باباً قبل تبع ، كما في رواية أوردها عند حديثه عن بناء إبراهيم الخليل عليه السلام نصها(٣) : « .. وجعل لها بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تُبّع أسعد الحميري هو الذي جعل لها باباً وغلقاً فارسيّاً» .

ويتضح مدى الاختلاف لهذه الروايات ، وللتوفيق بينها نقول : إن إبراهيم عليه السلام حين اقتصر على جعل فتحة تمثل المكان الذي يدخل فيه إلى جوفها فالكعبة، لأن الحاجة آنذاك لم تكن ماسة لصناعة باب لها ، إلا أن هذه الحاجة برزت بعد حوادث نهب هدايا الكعبة ، فأصبح الباب ضرورة ملحة للحؤول دون ذلك ، ولذلك فمن المعتقد أن أول باب صنع للكعبة كان في أواخر عهد جرهم ، أما أسعد الحميري (تبع) فإنه لم يصنع باباً للكعبة، إنما صنع قفلاً (إقليداً) للباب، كما نص على ذلك صراحة في الأبيات الشعرية المنسوبة إليه (٤) .

أما في عهد قريش فحين عمرت البيت جعلت له باباً بمصراعين (٥) ، وكذلك فعل عبد الله بن الزبير في سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م (٦)، والحجاج بن يوسف الثقفي(٧) .

كما قام الوزير جمال الدين محمد ابن علي بن أبي منصور المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل بصنع باب جديد للكعبة تم تركيبه سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م(٨)، وكذلك أمر الملك المظفر صاحب اليمن بتحلية باب الكعبة ، وركب فيها سنة ٦٦٦هـ / ١٢٧١م (٩) .

وفي سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بصنع باب للكعبة (١٠) ، ثم في عهد الناصر حسن صنع باب آخر للكعبة في سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م (١١)، وهو الباب الذي حل محله الباب الذي أمر السلطان سليمان القانوني في سنة ٩٦٤هـ ، بعمله وتركيبه في الكعبة (١٢) ، وقد ظل هذا الباب في مكانه حتى أمر السلطان مراد خان بصنع باب جديد للكعبة سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وهو الباب موضوع هذه الدراسة.

أولاً : باب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٠٤٥هـ .

أمدتنا المصادر التاريخية المكية بمعلومات وفيرة عن الأسباب التي جعلت السلطان مراد يأمر بصناعة باب جديد للكعبة فقد أورد الطبري ما نصه(١٣) : «... فقد ورد أمره الشريف العالي في عام أربعة وأربعين إلى باشا مصر المحروسة بأن يصلح ما وقع في سطح الكعبة المعظمة من الخلل ، وأن يجعل لها باباً جديداً ، ويرسل إلى حضرته العالية بالباب القديم المركب عليها » .

أما عن سبب صدور الأمر بصناعة باب جديد للكعبة فقد ذكر الطبري أيضاً(١٤) : «ورد أمره الشريف العالي بذلك : أنه بعد تمام العمارة ، عمارة

الكعبة المشرفة بنحو أربع سنين ، وقع في سطحها خلل ، أعرض صاحب مكة المشرفة وشيخ حرمها ذلك إلى الحضرة الباشوية ، فأعرضه على الحضرة السلطانية ، فورد الأمر العالي بذلك كما ذكرناه ، فحينئذ عين وزير مصر المحروسة لهذه الخدمة من كان قائماً بها قبل ذلك ، وهو الأمير رضوان بيك ، متعاطي خدمة العمارة سابقاً ، وأضاف إليه يوسف المعمار مهندس العمارة سابقاً، فوصلا في موسم أربعة وأربعين ، فلما كان العشر الأخير من ذي الحجة من العام المذكور حصل اجتماع بمصلى مولانا الشريف زيد بن محسن، حضر هو فيه ، وقاضي مكة الشيخ أحمد البكري ، وقاضي المدينة حنفي أفندي ، ورضوان بيك متعاطي عمارة خدمة المعمار ، وغيرهم من العلماء والأعيان، فقرأوا سورة الفتح ثم وصلوا إلى الكعبة المشرفة وأشرفوا على بابها ، ثم تفرقوا ، ثم في شهر محرم الحرام ، مفتتح عام خمسة وأربعين شرع الأمير رضوان بيك لتهيئة الحصى بالمسجد الحرام ، ففرشه به ، ثم لما أتى كان سابع عشر ربيع الأول وصل إلى باب الكعبة المشرفة ، وفتح الشيبيون بابها ، فقلعوه ، وركبوا عوضه باباً من خشب لم يكن عليه شيء من الحلية ، وإنما عليه ثوب قطني أبيض ، وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر المذكور وقع اجتماع ببيت المدير رضوان حضر فيه شيخ الحرم وفاتح البيت وحاكم مكة ، فوزنت الفضة التي كانت على الباب المقلوع فكان مجموع ذلك : مائة وأربعة وأربعين رطلاً ، خارجاً عن الزرافين ، ووزنها وماشابهها مما كان على الباب ثمانية عشر رطلاً ، ثم شرع في تهيئة باب جديد فشرع فيه وأتمه ، وركب عليه حلية الباب السابق ، وكتب عليه اسم مولانا السلطان مراد خان بن مولانا السلطان أحمد خان نصره الله تعالى ... فلما كان يوم الخميس العشرين من رمضان من العام المذكور ، حضر مولانا شريف مكة المشرفة وشيخ الحرم ، والأمير رضوان ، والأعيان بمصلى مولانا الشريف، وقرأوا سورة الفتح على المعتاد، ثم قاموا جميعاً وجلسوا بالحطيم ، ثم قام الأعيان ، ومشوا إلى جهة بيت الأمير رضوان ، المعروف ببيت الخواجا عبدالرحمن بن عتيق ووقفوا برواق باب السدرة، فخرج الأمير رضوان ومعه الباب الجديد محمولاً على أعناق الفعلة فمشى الناس أمام الباب إلى أن وصلوا إلى

الحطيم وبه مولانا الشريف جالس فوضع الباب بين يديه فقام عمر الرسام فدعا لمولانا السلطان الأعظم ولمولانا الشريف فألبس الشريف جماعة في ذلك المجلس قفاطين ، منهم عمر الرسام المذكور ، ومنهم الأمير رضوان بيك المعمار ، والفعلة ، وفاتح البيت ، ثم أدخلوا فروتي الباب إلى باطن الكعبة ، ثم دخل مولانا الشريف ومعه الأمير رضوان المعمار وجماعة من الأعيان إلى الكعبة المشرفة ، وصعدوا إلى السطح فأشرفوا عليه ثم انفض الجمع ، فشرع الأمير رضوان المعمار بعد انفضاض الناس في تركيب الباب ، فركبه ، وتم عند غروب الشمس من اليوم المذكور .

(٢) وصف الباب : (اللوحات أرقام ١ – ٩ ، الشكلان رقما ١ – ٢).

يتكون هذا الباب من مصراعين متماثلين شكلاً، وزخرفة ، وقد تم صنعه من خشب التك، المصفحة واجهته بالفضة بما وزنه ١٦٦ رطلاً(١٥) ، وطلاؤها بالذهب بما زنته ألف دينار بندقي(١٦) ، أما من الخلف فتخلله ثلاثة أشرطة نحاسية مزخرفة، ويبلغ ارتفاعه ٣,٠٦م، وعرض كل مصراع ٩٠سم، وسمكه ٧سم، وقطر المقبض ١٠سم، أما المطرقتان فيبلغ ارتفاع كل منهما ٢٥ سم، وعرضها ٢٠ سم.

وقد وزعت الزخرفة في واجهته في منطقتين رئيستين أصغرهما المنطقة العلوية ، التي تتكون من شريطين مستطيلي الشكل ، أفقيي الوضع ، أحدهما علوي والآخر سفلي ، وقد نفذ بهما النص التأسيسي الذي يؤرخ لصناعة الباب على النحو التالي :

المصراع الأيمن : بسم الله الرحمن
الرحيم وقل رب أدخلني

الشريط العلوي : مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي
من لدنك سلطاناً نصيراً.

المصراع الأيسر : قد تشرف بتجديد هذا
البيت الشريف من بسقت
له العناية من رب الهداية.

المصراع الأيمن : مولانا السلطان
مراد خان بن أحمد

الشريط السفلي: خان بن مراد خان بن
سليمان خان.

المصراع الأيسر : آل عثمان من أدام الله
نصره أبداً وأيد سلطنته
مدة في سنة خمس
وأربعين وألف.

وبالنسبة للمنطقة السفلى من الباب فهي مستطيلة الشكل كبيرة الحجم ،

رأسية الوضع ، يحيط بها شريط مستطيل الشكل ، ويتوج هذه المنطقة من منتصفها عقد نصف دائري نفذت بأسفل تقويسته الشهادتين داخل مستطيل صغير الحجم أفقي الوضع على النحو التالي :

المصراع الأيمن : لا إله إلا الله

المصراع الأيسر : محمد رسول الله

ويتوسط هذه المنطقة رأسيّاً صرة شبه دائرية الشكل تماسها متعرج ، يخرج من منتصف تماسها العلوي والسفلي باتجاه الجانب المقابل مروحة نخيلية يتوسطها مقبضا الباب ، كما يتدلى من جانبي المروحة النخيلية العلوية مطرقتان يماثل شكلهما شكل الصرة ، وزخارفهما مفرغة (مخرمة) ، وقد نفذت بداخل كل من الشريط والصرة والمطرقتين الزخرفة التركية المعروفة باسم: (رومي) ، كما نقش في المطرقة نصّاً تاريخيّاً أيضاً نصه:

(يارب ساعد الشريف سرور
ابن مساعد ١١٨٩هـ)

أما فيما يتصل بتصميم الباب من الخلف فقد وزعت الزخرفة فيه في أربع مناطق زخرفية ارتفاع السفلى ٨٨سم ، والتي تعلوها ٨٨سم أيضاً ، والتي فوقها ٤٨سم ، والعلوية ٦٨سم ، ويتوسط كل منطقة من هذه المناطق في كل مصراع حشوة مربعة الشكل نفذت بها وحدة تتألف من لوزات ، وكندات ، ومعينات بطريقة التجميع والتعشيق ، وقد فصل بين كل منطقة وأخرى في كل مصراع بشريط نحاسي به زخرفة كتابية نفذت بطريقة الصب أو السبك ، وتماثل هذه الأشرطة الثلاثة بعضها في الشكل والحجم ، ولكن الشريطين العلوي والسفلي يختلفان عن الشريط الأوسط ، حيث تماثل النصوص الكتابية فيهما بعضها بعضاً، وذلك على النحو التالي:

(الشريطان العلوي والسفلي)

المصراع الأيمن : لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين .

المصراع الأيسر : قال الله تبارك وتعالى وليوفوا نذورهم .

(الشريط الأوسط)

المصراع الأيمن : الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

المصراع الأيسر : قال الله تبارك وتعالى وليوفوا نذورهم

كما دعم هذا الباب بالعوارض الحديدية ، والمسامير ، ولإحكام غلق الباب فقد ثبت بأسفل المصراع الأيسر من الخلف بالطرف الذي يقابل المصراع الآخر (ركيزة) من الحديد فسقط رأسياً إلى أسفل في فتحتي مقبضين متماثلين ، أحدهما علوي والآخر سفلي .

وهكذا؛ فإن باب الكعبة الذي أمر بصنعه السلطان مراد يتميز بتصميم فريد بالنظر إلى أهمية الكعبة المشرفة، وحرص الخلفاء والسلاطين والأفراد المسلمين على إظهار الأعمال التي يقومون بها فيها بمظهر يليق بالمكانة التي تتبوأها في نفوس المسلمين ، فهذا الباب يأخذ شكلاً مستطيلاً ، ومصراعاه متماثلان شكلا وزخرفة ، حيث يصلان الوحدات الزخرفية ببعضها بعضاً عند غلق الباب، ومما زاده جمالاً تصفيحه بالفضة وطلاؤها بالذهب فضلاً عما أحدث به من زخارف وكتابات وزعت بشكل متناسق ، ومتوازن ، فالمنطقة العلوية نفذ بها النص الكتابي في شريطين زخرفيين ، أفقيي الوضع ، أحدهما علوي والآخر سفلي ، وقد حددا بخطوط مستقيمة كما فصلا عن بعضهما بخط مستقيم ، أما المنطقة السفلى فيتوسطها شكل مستطيل ، رأسي الوضع حدد من جوانبه الأربعة بشريط زخرفي ، وقد توج هذا الشكل المستطيل من أعلاه بعقد نصف دائري مكوناً شكلاً محرابيّاً يتوسط أعلاه شبه مستطيل ، صغير الحجم ، أفقي الوضع ، نفذت به الشهادتان ، ويتوسطه صرة شبه دائرية تماسها متعرج ينتهي في منتصفه من أعلاه وأسفله بشكل مروحة نخيلية ؛ على جانبي العلوية توجد مطرقتان تأخذ تصميم الصرة نفسها ، وفي هذا دلالة على حرص الصانع على إحداث التوازن الجمالي في واجهة الباب ، أما المصبعات التي يدخل فيها قفل الباب فثبتت في منتصف الجانب العلوي من الصرة ، كما يتدلى من منتصف هذه الصرة الحلقتان اللتان يمسك بهما في حالة إغلاق مصراعي الباب، ومن الملاحظ أن المنطقة السفلية من واجهة الباب تأخذ تصميماً فريداً يشبه تصميم أغلفة الكتاب من حيث الصرة التي تتوسط المنطقة، والشكل المحرابي، والإطار الزخرفي الذي يحيط بها .

أما التصميم الفني للباب من

الخلف فيختلف كلية عن تصميم واجهته ، حيث يتألف كل مصراع من حشوات مربعة الشكل ، يفصل بينهما شريط نحاسي مزخرف وبأسفل وأعلى واجهة كل مصراع قام الصانع بوضع شريط من الحديد رأسيه على هيئة مروحة نخيلية ، وذلك لإحداث التوازن العام للشكل العام للباب من الخلف.

ومن الملاحظ أن اهتمام الصانع بالتصميم الفني لباب الكعبة المشرفة انصب على الواجهة ، لأنها أول ما يراه الطائف حول الكعبة .

ثانياً : المواد الخام، وطرق الصناعة وأساليب الزخرفة .

تنوعت المواد الخام ، وكذلك طرق الصناعة ، وأساليب الزخرفة كما يتضح من العرض التالي :

(١) المواد الخام :

صنع هذا الباب من الخشب ، والفضة ، والذهب ، والحديد ، والصلب ، ففيما يتصل بنوع الخشب فهو من خشب التك (T I K) [١٧]، الذي يسمى أيضاً (بلوط جزر الهند الشرقية) أو (دلب هندي)[١٨] ، وهذا النوع من الأخشاب ذي لون بني ضارب إلى الحمرة ، وأليافه من النوع المتراكم ، ويتميز بصلابة عالية ، وقدرة على تحمل التصلبات المناخية [١٩]، فضلاً عن وجود مادة دهنية تحول دون تسوسه ، وينمو بكثرة في المناطق الحارة، وبخاصه في كل من الهند ، وقارة أفريقيا[٢٠].

وبالنسبة للفضة فبلغ وزنها مئة وأربعة وأربعين رطلاً[٢١]، وفي رواية أخرى مئة وستة وستين رطلاً[٢٢]، حيث صفحت واجهة الباب بها، وبلغ وزن الذهب الذي تم الطلاء به ألف دينار ذهب بندقي[٢٣] .

وفيما يتصل بالحديد فقد صنعت منه المقابض ، والمتراس ، والأشرطة المطلية في الباب من الخلف ، أما الصلب فصنعت منه المسامير المكويجة .

(٢) طرق الصناعة وأساليب الزخرفة:

استخدم الصانع عدداً من الطرق الصناعية في هذا الباب، وتتمثل هذه الطرق التي صنع الباب بواسطتها في الطرق والأساليب التالية : التجميع والتعشيق ، والصهر (السبك)، والطرق، والتصفيح، والطلاء، والبرشمة ؛ وفيما يلي تعريف بكل طريقة من هذه الطرق :

(أ) **التجميع والتعشيق** : استخدمت بباب الكعبة المشرفة – موضوع الدراسة – في صنع حشوات الباب من الخلف، وذلك بتجميع القطع الصغيرة، وتسويتها بسمك معين مع بروز في جوانبها يعرف باسم: (لسان)، يدخل في تجاويف الحشوات المقابلة تعرف باسم : (نقر)، بحيث يكون النقر أوسع قليلاً من اللسان ليسمح ذلك بإدخال الأخير في النقر المقابل له، بما يتيح للحشوة أن تثبت وتتمدد وتنكمش بحرية، وفقاً للتقلبات المناخية دون تعرض الحشوة للتقوس أو للكسر[٢٤].

وقد ظهرت هذه الطريقة في القرن السادس الهجري[٢٥]، ومنذ ذلك التاريخ حظيت بتطوير كبير ، غير أنها لم تبلغ أوج ازدهارها إلا في العصر المملوكي[٢٦] ، ثم استخدمها العثمانيون في الأعمال الخشبية التي أنتجوها [٢٧] .

(ب) **السبك** : وتعرف هذه الطريقة باسم: (صب) أو (صهر)[٢٨]، كما يطلق عليها الأتراك مسمى: (Dokum)[٢٩] وقد نفذت هذه الطريقة في عمل بعض الأجزاء المعدنية في هذا الباب، مثل : الفراشات ، والمتراس ، والمطرقتين ، والمقابض ، والمسامير ، والأشرطة النحاسية المثبتة في الباب من الخلف ، وكذلك (القفازات) التي يدخل فيها قفل الكعبة المشرفة ، ويتم تنفيذ هذه الطريقة بوضع المعدن في بوادق مصنوعة من الطين، ويوقد عليها حتى ينصهر المعدن ، ثم يصب في قوالب فخارية معدة لهذا الغرض ، تجاويفها الداخلية مماثلة لشكل العمل المطلوب سبكه ، وبعد أن يجمد المعدن يكسر القالب الفخاري لإخراج العمل بعد اكتمال صنعه [٣٠].

وتعد هذه الطريقة من أقدم الطرق الصناعية التي استخدمها الإنسان ، وخاصة بعد اكتشاف النار[٣١]، ثم استمر استخدامها على نطاق واسع في العصر الإسلامي ، وبخاصة في العصور التي ازدهرت فيها الصناعات المعدنية [٣٢] .

(ج) **الطرق** : وتعرف باسم : (ضرب)[٣٣]، أما الأتراك فيطلقون عليها مسمى: (Dokum)[٣٤] ، وقد استخدمت هذه الطريقة في الضرب على الصفائح الفضية التي تم تصفيح واجهة الباب بها ، بواسطة المطرقة وهي حامية ، لكي يساعد ذلك على تمدد الصفائح بالشكل الذي يرغبه الصانع ، فضلاً عن الإقلال من السمك بالقدر الذي يرغبه الصانع[٣٥]، وقد عرفت هذه الطريقة قبل الإسلام [٣٦]، واستخدمت في العصر الإسلامي ، وبلغت أوج ازدهارها في العصر المملوكي[٣٧].

(د) **التصفيح** : استخدمت هذه الطريقة في تغطية واجهة الباب بصفائح الفضة ، ويقصد بالتصفيح تثبيت الصفيحة المعدنية على الخشب ، لأغراض حفظه أو زخرفته [٣٨] ، أما في باب الكعبة فقد استخدمت لأغراض الزخرفة ، وقد عرفت هذه الطريقة قبل الإسلام ، واستمر استخدامها في العصر الإسلامي وبلغت شأواً كبيراً في العصر المملوكي [٣٩] ، كما ظلت مستخدمة في العصر العثماني [٤٠] .

(هـ) **الدفع**: المصطلح العلمي لهذا الأسلوب هو (Repoussee)[٤١]، وهي كلمة فرنسية يقصد بها إبراز الزخارف على سطح العمل المعدني بواسطة الدق الخفيف أو الدفع من الخلف بأداة حادة، بحيث تبدو الزخارف والكتابات بارزة على السطح، وغائرة من الخلف [٤٢]، وتختلف هذه الطريقة عن النقش البارز في كون الأخيرة تبرز الزخارف وفقها بحفر مناطق الفراغ فيما بين الزخارف في السطح فقط [٤٣] ، وقد استخدم هذا الأسلوب في إبراز الزخارف على سطح الصفيحة الفضية التي صفحت بها واجهة باب الكعبة.

(و) **الطلاء** : يعرف هذا الأسلوب عند الأتراك باسم (Tombak) [٤٤] الذي يعني طلاء المعدن بمعدن أغلى منه ، مثل طلاء الفضة بالذهب [٤٥] ، ويتم هذا الأسلوب بتنظيف الصفيحة المعدنية المراد طلاؤها تنظيفاً جيداً ، ثم يبدأ الصانع عملية الطلاء التي

تتم وفق إحدى ثلاث طرق[٤٦] ، استخدم منها في هذا الباب طريقة تغطية العمل المعدني المراد طلاؤه بغشاء يحصل بتآلف أجزاء كيميائية مع ظاهر المعدن حتى يلتصق به ، مثل الذهب المذاب في الزئبق ، وتؤخذ فرشة ويمسح بها سطح العمل المعدني، ثم يبخر الزئبق بوضع العمل المعدني في الفرن [٤٧] ، وقد أدى اتباع الصانع لهذه الطريقة إلى عدم بقاء الطلاء ، لأن هذه الطريقة لا تساعد على بقائه مدة طويلة [٤٨].

ثالثاً : الكتابات (اللوحات أرقام ٢، ٤ – ٨ ؛ الأشكال أرقام ٣ – ١٠) .

تنوعت مضامين الكتابات المنفذة في هذا الباب، فالكتابات المنفذة في واجهة الباب أمكن تقسيمها بحسب مضامينها إلى النص التأسيسي الذي نفذ بالمنطقة العلوية من واجهة الباب ، وهذا النص يشكل أكثر كتابات هذا الباب أهمية بوصفه نصّاً تأسيسيّاً يؤرخ لصناعة الباب، وهو أمر له أهميته في الفن الإسلامي .

وقد افتتح هذا النص بالبسملة ، تليها الآية رقم (٨٠) من سورة الإسراء ، ثم ذكر الآمر بصنع الباب السلطان العثماني مراد خان ، مختتماً النص بعبارات دعائية ، وتاريخ الصنع بسنة ١٠٤٥هـ ، بالحروف وليس بالأرقام .

ويتضح مما سبق أن السلطان مراد هو الذي أمر بصناعة باب الكعبة المشرفة، والسلطان مراد الرابع هو ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمدالثالث ابن السلطان مراد الثالث ابن السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان الأول ابن السلطان سليم الأول ابن السلطان بايزيد الثاني ابن السلطان مراد الأول ابن السلطان أورخان غازي ابن السلطان عثمان أرطغرل[٤٩].

ولد – رحمه الله – في ٢٨ جمادى الأولى عام ١٠١٨هـ الموافق ٢٩ أغسطس عام ١٦٠٩م، وولي السلطنة عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م ، وعمره أربعة عشر عاماً، وبالرغم من حداثة سنه إلا أنه كان ذا عقل ثاقب ، ورأي صائب ، بطلاً مقداماً، أنيس المحاضرة ، كريماً جواداً ، ولذلك استبشرت به السلطنة خيراً [٥٠] ، توفي

- رحمه الله - في ١٦ شوال عام ١٠٤٩هـ، الموافق فبراير عام ١٦٤٠م، عن عمر يناهز الواحدة والثلاثين ، بعد أن حكم ستة عشر عاماً وأحد عشر شهراً(٥١).

وقد قام هذا السلطان بأعمال جليلة من أهمها : عمارة الكعبة المشرفة عام ١٠٤٠هـ بعد انهدامها نتيجة لقوة اندفاع السيول التي هطلت على مكة المكرمة آنذاك(٥٢)، كما زاد في رواق القبلة بالمسجد النبوي ثلاث بلاطات مما يلي الصحن، كما هو مسجل في نص تأسيسي يؤرخ لهذه الأعمال بعام ١٠٤٤هـ ، وكذلك تغيير بلاطات الرخام بالحجرة الشريفة بالقيشاني ، وتجديد البلاط المثبت بجدران المسجد النبوي من الداخل ، وتلبيس أعمدة المسجد بطبقة سميكة من الملاط (٥٣) .

كما أمر في عام ١٠٣٩هـ ، بإصلاح قنوات المياه بمكة المكرمة بعد الخراب الذي حدث فيها نتيجة للسيول التي خربتها (٥٤) ، ويسجل أيضاً لهذا السلطان فتح بغداد عام ١٠٤٨هـ (٥٥) .

كما ورد في هذا النص لقبي (السلطان) (٥٦) ، و(خان)(٥٧) ، وهما من الألقاب التي كثر استخدامها في العصر العثماني (٥٨) .

وبالنسبة للنص الكتابي الثالث فيقع أسفل دائرة العقد مباشرة بأعلى القسم السفلي من الباب ، وهو عبارة عن الشهادتين وتجدر الإشارة إلى وجود نص كتابي في المطرقة يرجع لفترة لاحقة على صناعة الباب ، يرجع تاريخه لسنة ١١٨٩هـ ، وفيه يطلب أمير مكة الشريف سرور بن مساعد (٥٩)، المساعدة من الله عز وجل ، ويعكس هذا النص الذي يسجل لأول مرة على أبواب الكعبة المشرفة ما يعلقه الشريف سرور بن مساعد من آمال بالنصر على مناوئيه من أقربائه (٦٠) .

أما الكتابات المنفذة في الباب من الخلف فتندرج في إطار العبارات الدعائية، إضافة إلى الآيات القرآنية الكريمة على النحو الذي فصلناه في وصف الباب ، وهذا النوع من الكتابات شاع استخدامه في كسوتي الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة (٦١) ، وكذلك في باب الكعبة المشرفة(٦٢) ، لأن هذه العبارات من الأدعية التي يرددها المسلمون على ألسنتهم دائماً .

رابعاً : الزخارف (اللوحات أرقام ١، ٣، ٤، ٨ ؛ الأشكال أرقام ١١ - ١٤ ، ١٧).

نفذ في باب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٠٤٥هـ نوعان من الزخارف ، هما الزخارف النباتية ، وقد أمكن حصرها في الزخرفة الخطاوية (الهاتاي)[٦٣] ، وزخرفة التوريق من النوع المتطور (الرومي) [٦٤] ، إضافة إلى المراوح النخيلية ، وهذه الزخارف من أكثر الزخارف انتشاراً في الفن العثماني ، ليس على الفضة فحسب، بل في جميع الأعمال الفنية .

ففيما يتصل بالزخرفة الخطاوية فمن أمثلتها تنفيذها في الأعمال الفنية العثمانية التي يعود تاريخها لما قبل عصر السلطان مراد الرابع كما يشاهد في صندوق محفوظ في مجموعة خاصة بمدينة إستانبول يرجع تاريخه للقرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)[٦٥] ، كما نفذت هذه الزخرفة على المعادن، ومن الأمثلة على ذلك خنجر محفوظ في متحف كونستي ستورتيش بفينا يعود تاريخه لأواخر القرن التاسع الهجري (أواخر القرن الخامس عشر الميلادي)[٦٦] وأيضاً مثلت هذه الزخرفة على العاج، كما يشاهد في مرآة يد صنعت للسلطان سليمان القانوني مؤرخة عام ٩٥٠هـ/١٥٤٤م [٦٧] .

وبالنسبة لزخرفة التوريق من النوع المتطور (الرومي) فقد كانت أكثر أنواع الزخارف تنفيذاً في الأعمال الفنية العثمانية ، وبخاصة في أوائل العصر العثماني ، ويرجع ذلك لذيوعها في الفن السلجوقي [٦٨] ، ولكن الفنانين العثمانيين سرعان ما أكثروا من الزخرفة الخطاوية ، والزخرفة العثمانية ، فلم تعد السيادة لزخرفة التوريق من النوع المتطور (الرومي)، وأصبحت في الأعمال الفنية العثمانية زخرفة ثانوية ، حيث تنفذ في الإطارات المحيطة بالزخرفة الخطاوية، ثم لما تأثر العثمانيون بالأساليب الأوربية الوافدة أصبحت زخرفة التوريق ترسم وفقه [٦٩] .

ومن أمثلة تنفيذ زخرفة التوريق من النوع المتطور (الرومي) قبل عصر السلطان مراد الرابع ، تنفيذها في باب الجامع الأخضر بمدينة بورصة الذي بني فيما بين عامي (٨١٨ - ٨٢٣هـ / ١٤١٥ - ١٤١٩م)[٧٠] ، ثم في البلاطات الخزفية التي تعلو منطقة المحراب في جامع المرادية في أدرنة الذي بني عام ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م [٧١] . وفي بعض البلاطات

الخزفية بضريح سليم الأول بإستانبول عام ٩٢٧هـ/١٥٢٣م[٧٢] .

أما المروحة النخيلية فتتألف من ثلاثة فصوص ويرجع تاريخ ظهورها في الأعمال الفنية لفنون ما قبل الإسلام [٧٣] ، وشاع استخدامها عنصراً زخرفيّاً في الفن الإسلامي منذ العصر العباسي، وبخاصة في طراز سامرا[٧٤]، ثم أصبحت عنصراً رئيساً في التركيبات الزخرفية التي ظهرت في الفن الإسلامي، مثل : الأرابيسك بنوعيه (العربي) والمتطور (الرومي)، والزخرفة الخطاوية ، والزخرفة العثمانية [٧٥] .

أما النوع الثاني من أنواع الزخارف المنفذة في باب الكعبة المشرفة المؤرخ في عام ١٠٤٥هـ ، فنفذ في الباب من الخلف ، وهو عبارة عن وحدة هندسية تتكون من معينات وأشكال سداسية الأضلاع ، وقد تم تجديد هذه الوحدة الهندسية على غرار الأولى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود بخشب الصنوبر.

خامساً : المميزات العامة لباب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٠٤٥هـ .

(١) يكتسب هذا الباب أهمية تاريخية وأثرية وفنية فهو ليس كبقية الأبواب، لأنه باب الكعبة المشرفة التي تهوى إليها أفئدة المسلمين في المشارق والمغارب، كما يعد هذا الباب من أقدم الأبواب التي لا تزال بحالة جيدة، وفضلاً عن ذلك فهو يضاف إلى الأعمال المعمارية والفنية المتبقية التي أمر السلطان مراد الرابع بها .

(٢) جمع هذا الباب خصائص الزخرفة الإسلامية مثل زخرفة التوريق ، والزخرفة الخطاوية، والمروحة النخيلية التي تعدُّ أكبر مروحة نخيلية منفذة على الأعمال الفنية الإسلامية إضافة إلى الكتابات العربية بخط الثلث .

(٤) تجمعت في هذا الباب العديد من المواد الخام، مثل : الفضة، والذهب، والحديد، والصلب، وخشب التك ، كما تعددت طرق صناعته في أساليب زخرفية حيث استخدم الصانع الطرق والأساليب التالية: التجميع والتعشيق، السبك، الطرق، التصفيح، الدفع، الطلاء، الحفر مما زاد في إكساب الباب مظهراً جماليّاً أخاذاً.

(٥) جاء تصميم هذا الباب على درجة عالية من الجودة والإتقان ، حيث عمد الصانع إلى تقسيمه إلى منطقتين

مستطيلتين إحداهما علوية أفقية الوضع مقسمة إلى نصفين علوي وسفلي والتي تحتها أكبر حجماً ، وقد وضعت رأسيّاً ، ويتوسط هذه المنطقة شكل مستطيل ومعقود بعقد نصف دائري ، تتوسطه صرة دائرية متعرجة التماس ، يخرجها من منتصف تماسها العلوي والسفلي شكل مروحة نخيلية على جانبي العلوية مطرقتي الباب ، أما داخل الصرة فيوجد مقبضا الباب ، يعلوها القفازات التي يدخل فيها قفل الباب . وبكوشتي العقد نفذت زخرفة التوريق من النوع المتطور وبأسفل تقويسة العقد العلوية نفذ الصانع مستطيلاً أفقي الوضع متعرج الجانبين الأيمن والأيسر، به الشهادتان وقد أحاط الصانع هذه المنطقة المستطيلة بشريط زخرفي، وهذا التصميم الذي حفلت به المنطقة من الباب يماثل تصميم أغلفة المخطوطات (٧٦) .

(٦) لم تقتصر العناية بزخرفة الباب على واجهته ، بل عمد الصانع إلى زخرفته من الخلف عن طريق حشوات مجمعة يفصل بينها أشرطة نحاسية نفذت بها كتابات عبارة عن جمل دعائية وآيات قرآنية .

(٧) جاءت صيغة النص التأسيسي موافقة للصيغ التي كانت شائعة قبل العصر العثماني ، والمتمثلة في افتتاح النص بالبسملة ، وآية قرآنية ثم اسم الآمر بالعمل ، والدعاء له ، والتاريخ بالحروف وليس بالأرقام أو حساب الجمل (٧٧) .

(٨) تجلت في النص التأسيسي المهارة العالية في انتقاء الآية القرآنية لموافقتها للمكان المثبت فيه الباب وهو الكعبة المشرفة ، وقد استخدمت هذه الآية في النصوص التأسيسية المتصلة بالمسجد الحرام (٧٨) ، والمسجد النبوي(٧٩) ، والكسوة الشريفة (٨٠) ، وكانت هذه الآية من الآيات التي كثر تنفيذها في المساجد الإسلامية، وكذلك القصور، كما تجلت في هذا النص مهارة الخطاط ، ومراعاته للموازين والنسب التي وضعت لخط الثلث ، سواء في الحروف أو الكلمات ، أو الأسطر .

اللوحة رقم (١) : منظر عام للباب

اللوحة رقم (٢) : منظر تفصيلي للنص التأسيسي بواجهة الباب

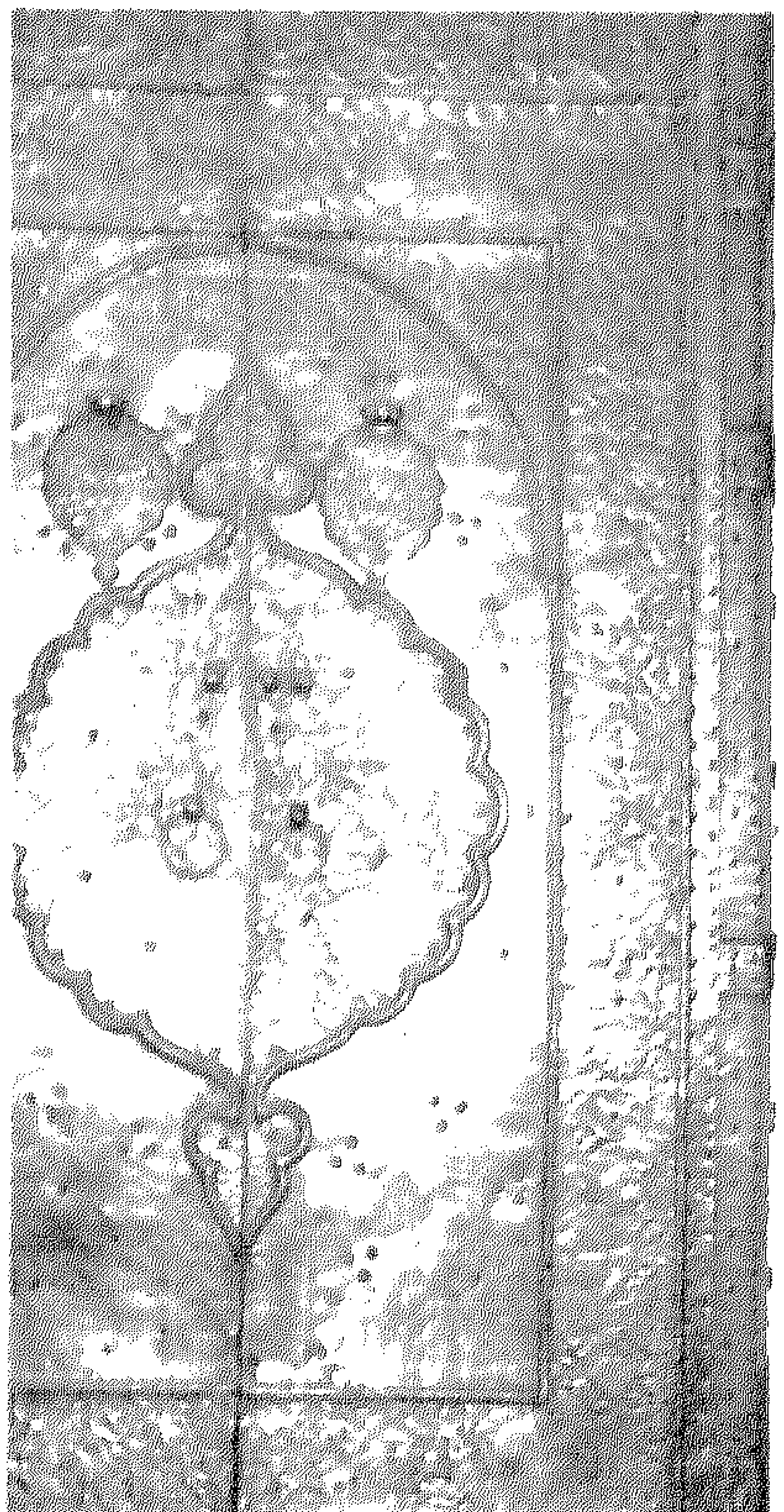

اللوحة رقم (٣) : منظر تفصيلي لواجهة الباب

اللوحة رقم (٤) : منظر تفصيلي لواجهة الباب

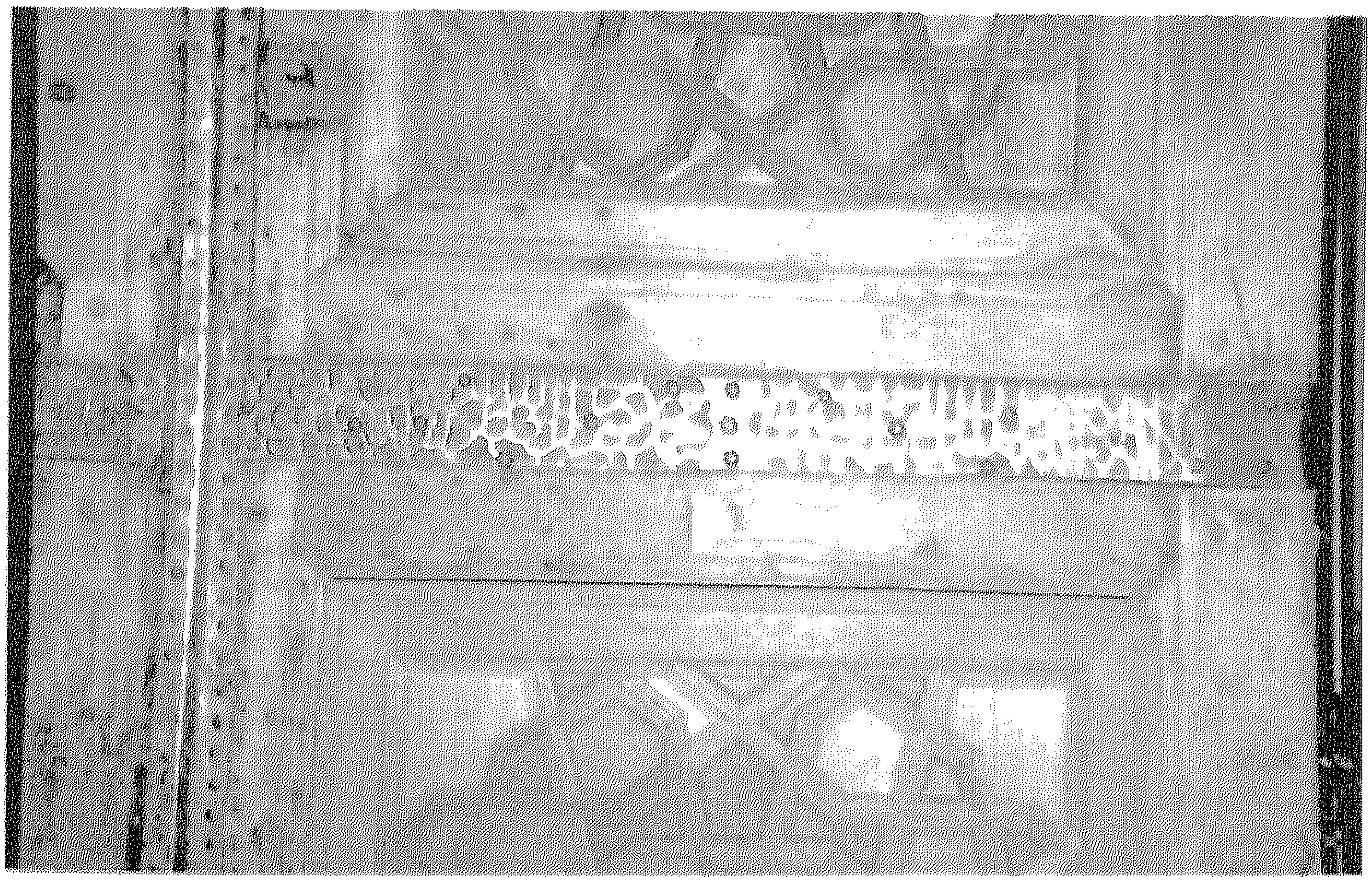

اللوحة رقم (٥) : منظر تفصيلي للباب من الخلف

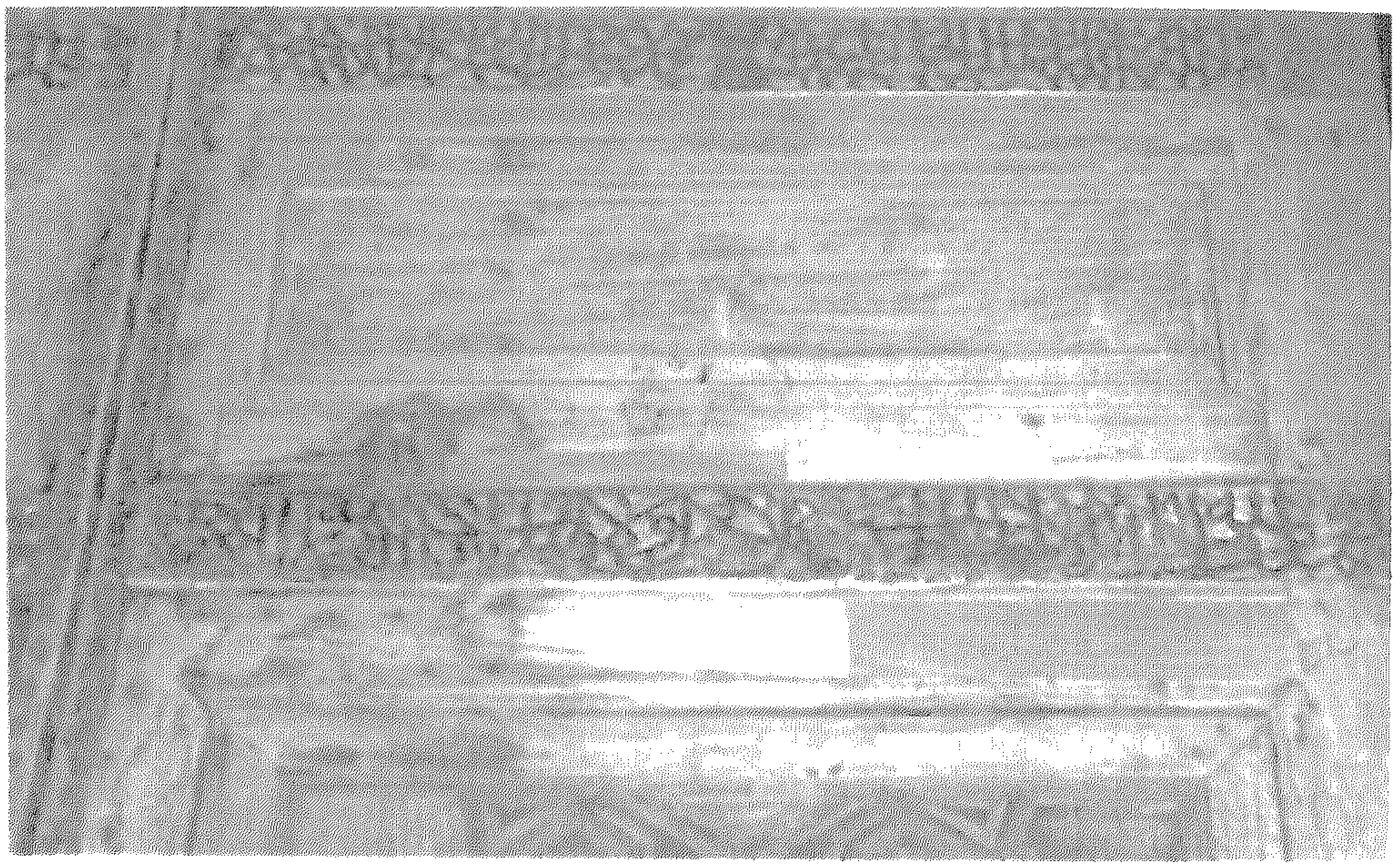

اللوحة رقم (٦) : منظر تفصيلي للباب من الخلف

اللوحة رقم (٧) : منظر تفصيلي للباب من الخلف

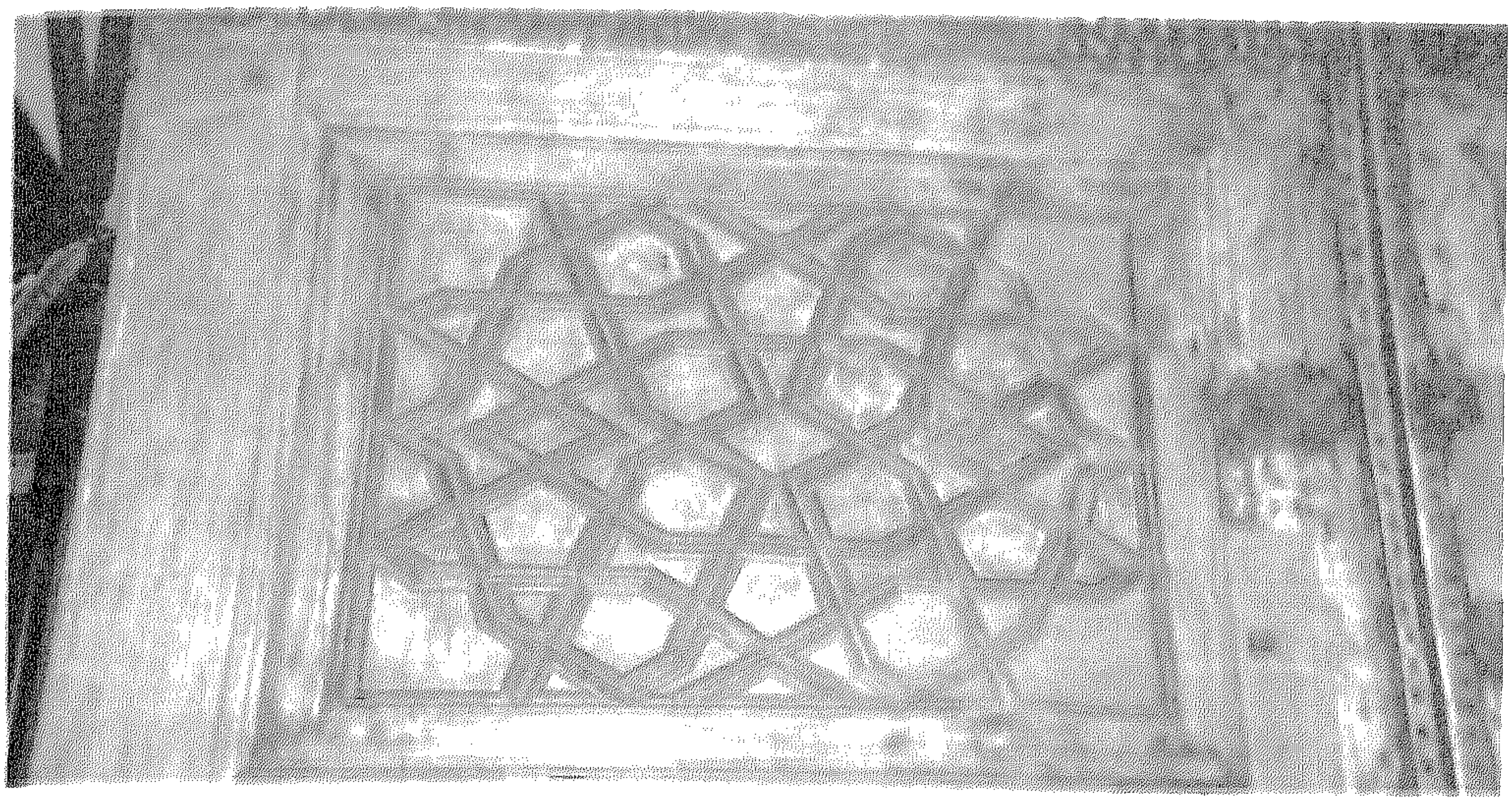

اللوحة رقم (٨) : منظر لإحدى الحشوات بالباب من الخلف

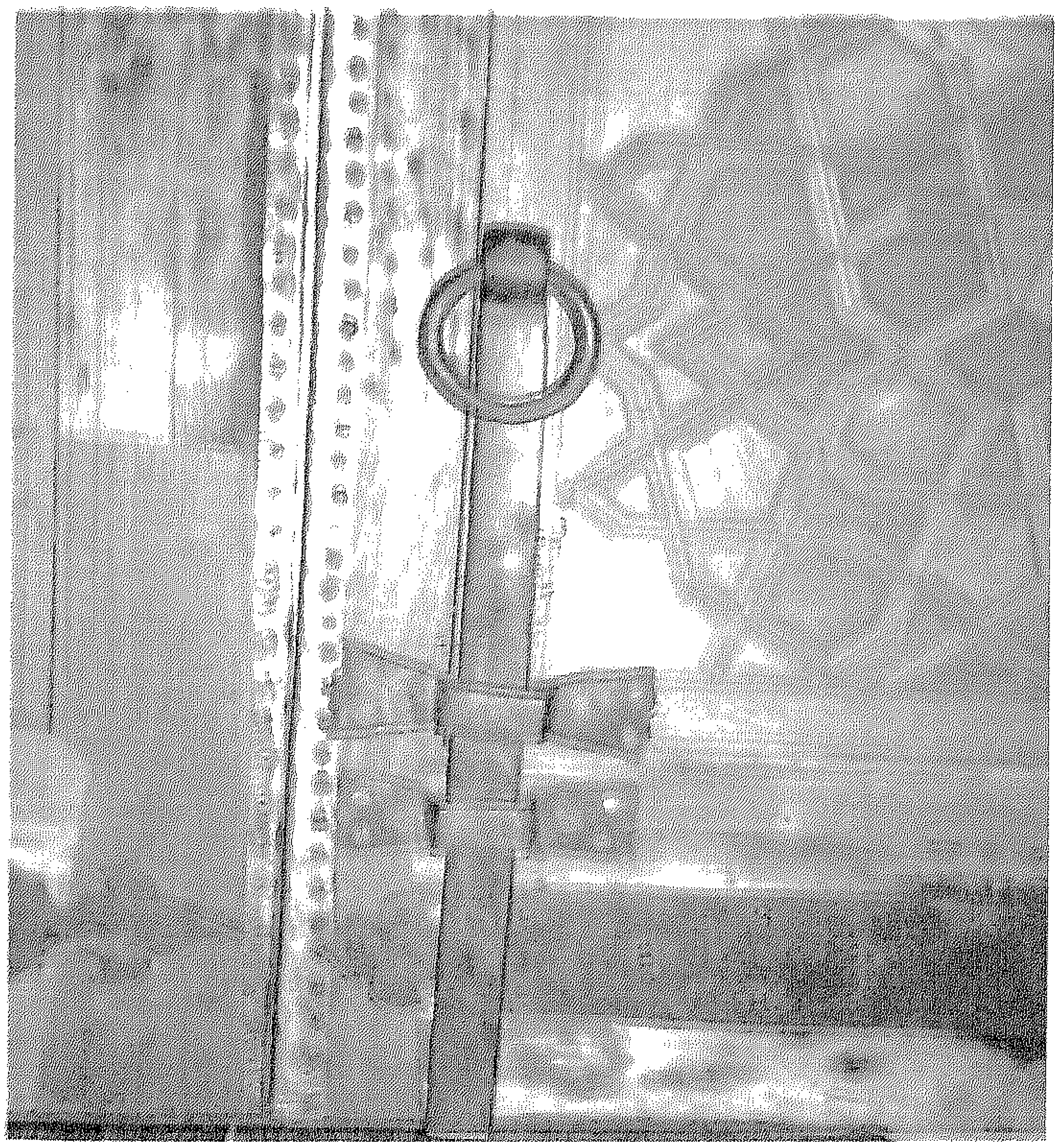

اللوحة رقم (٩) : منظر لمتراس الباب

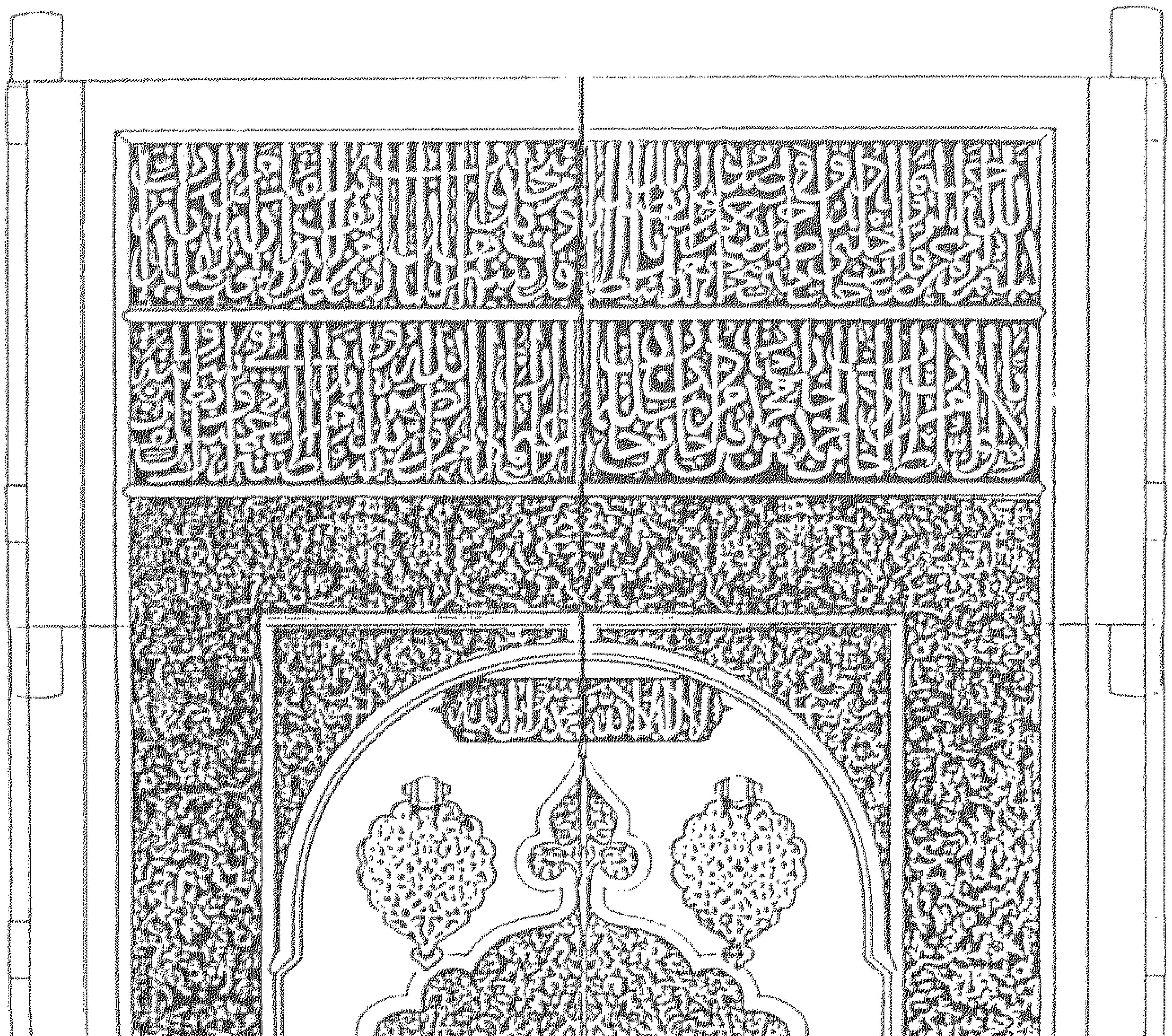

الشكل رقم (١) : تفريغ لواجهة الباب ، مقياس الرسم ١ - ٥٠٠

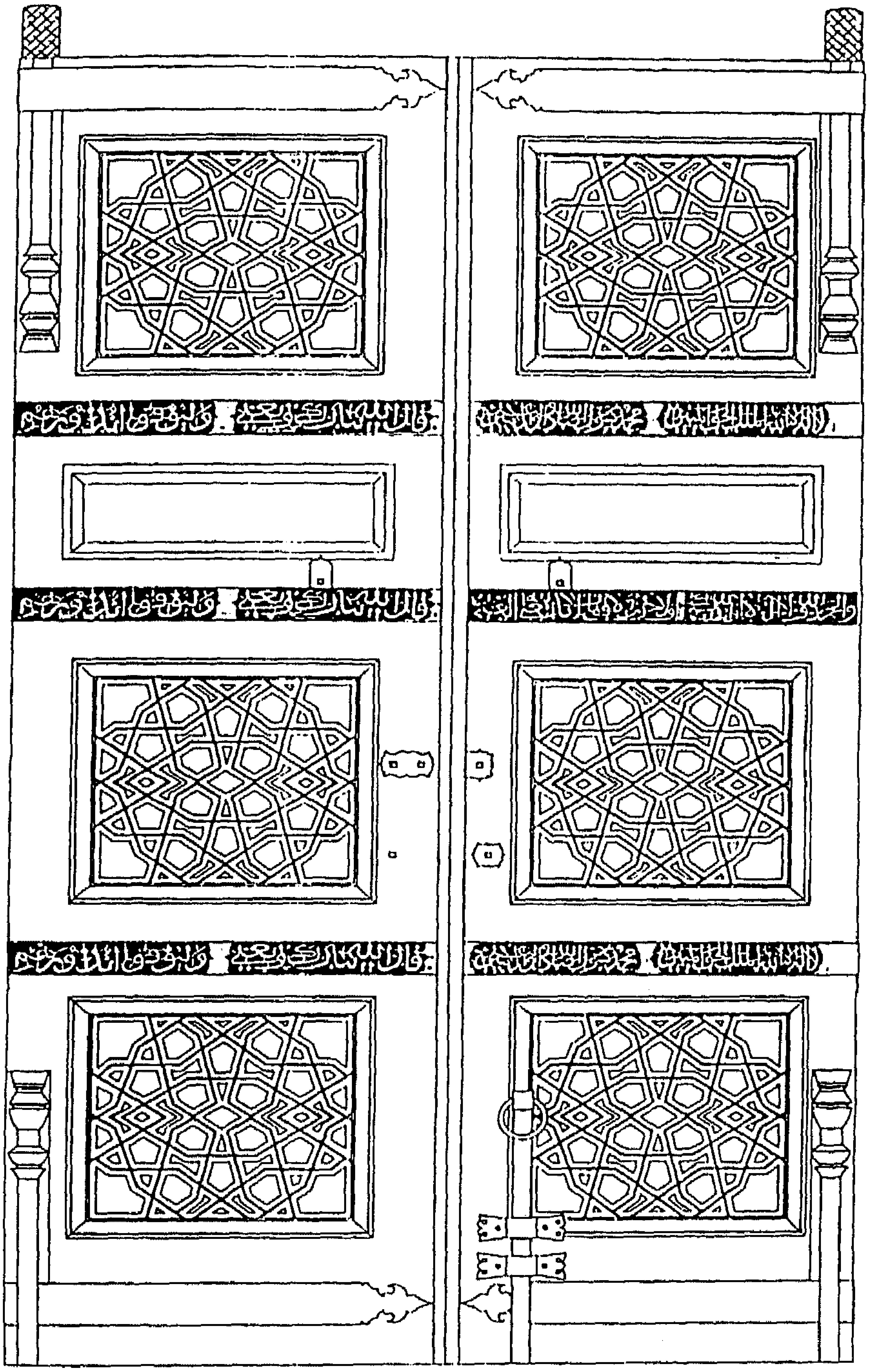

الشكل رقم (٢) : تفريغ للباب من الخلف ، مقياس ١ : ٥٠٠

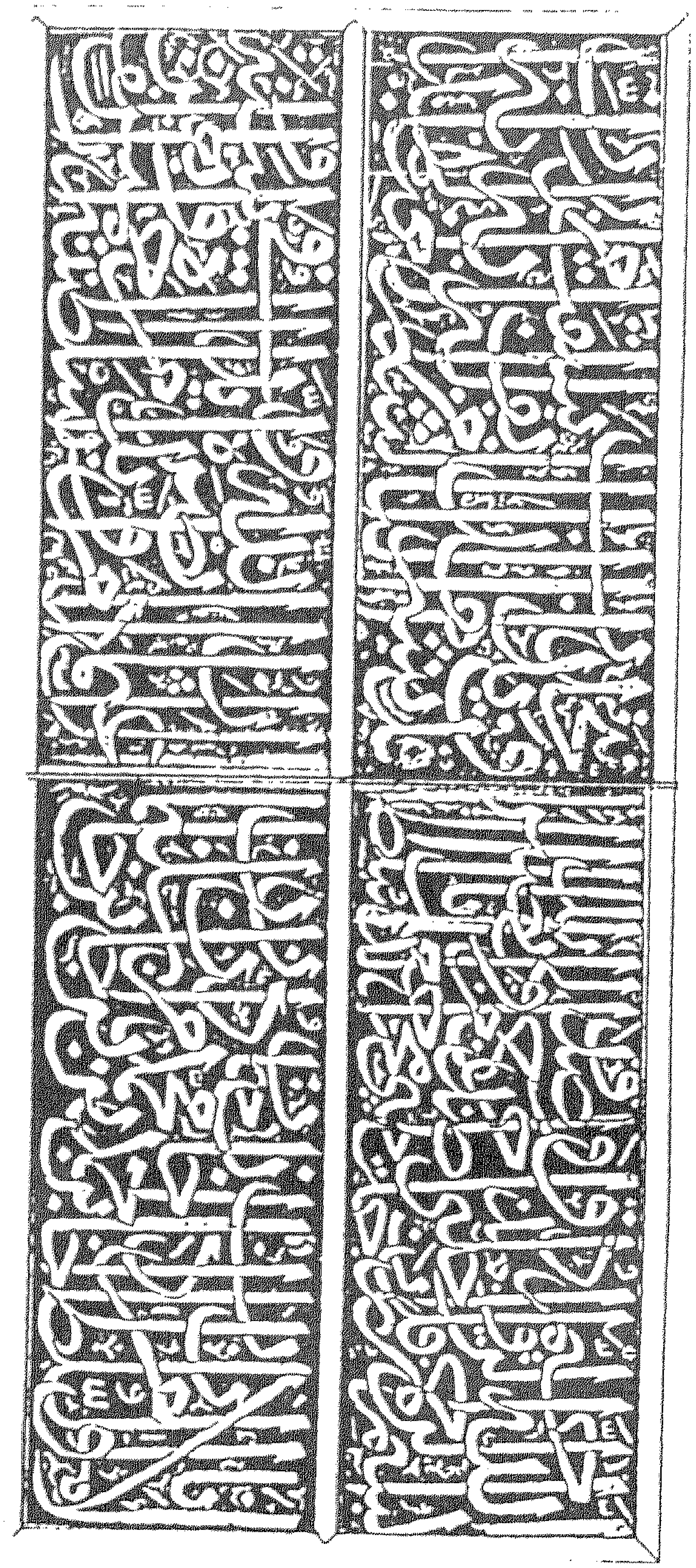

الشكل رقم (٣) : تفريغ النص التأسيسي الذي يؤرخ لصناعة الباب بعام ١٤٠٥هـ

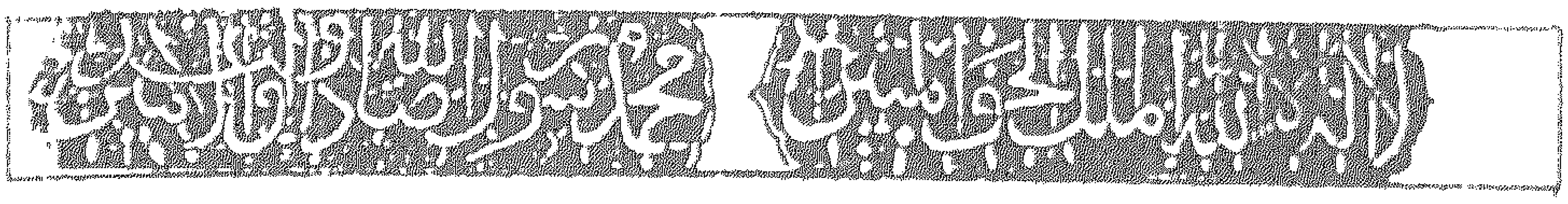

الشكل رقم (٤) : تفريغ للشريط العلوي بالمصراع الأيمن

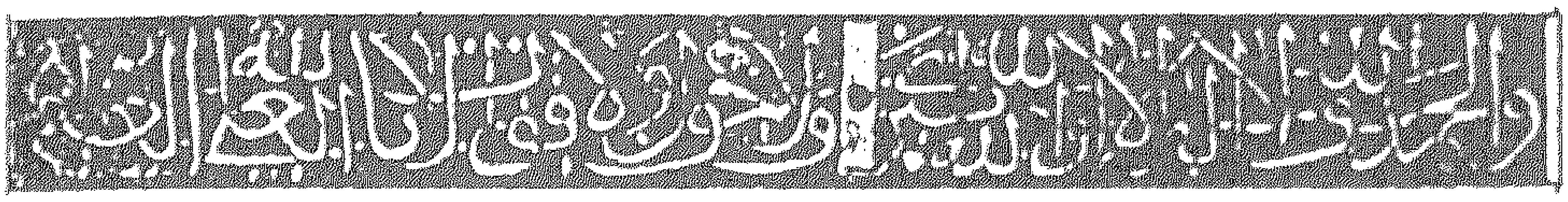

الشكل رقم (٥) : تفريغ للشريط الأوسط بالمصراع الأيمن

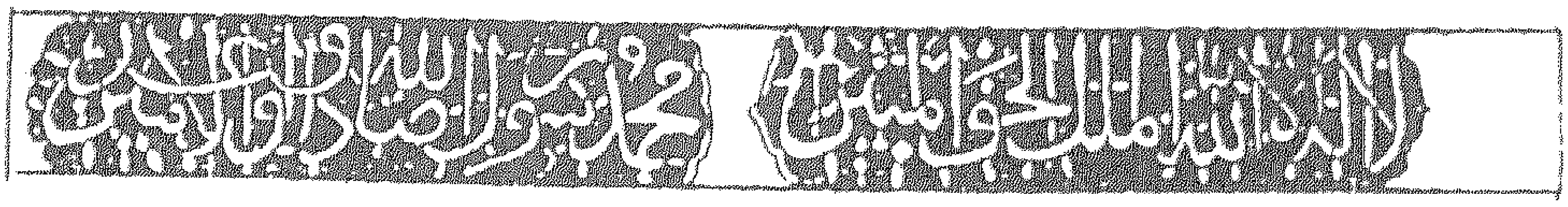

الشكل رقم (٦) : تفريغ للشريط السفلي بالمصراع الأيمن

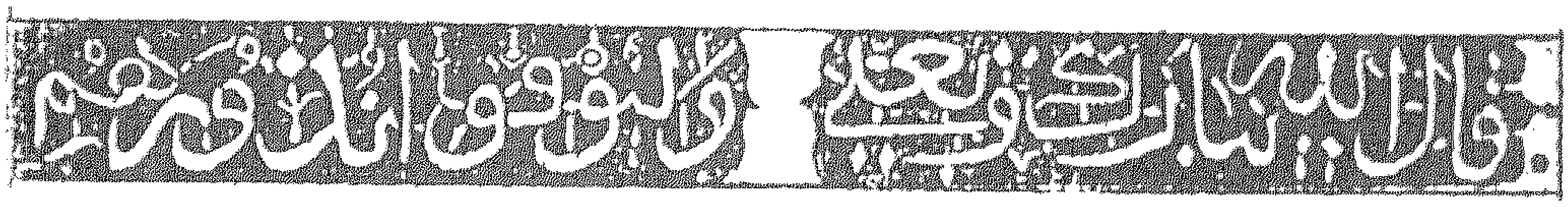

الشكل رقم (٧) : تفريغ للشريط العلوي بالمصراع الأيسر

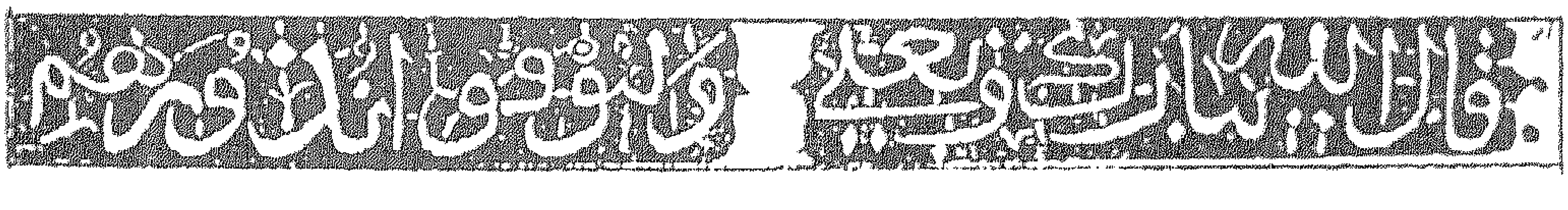

الشكل رقم (٨) : تفريغ للشريط الأوسط بالمصراع الأيسر

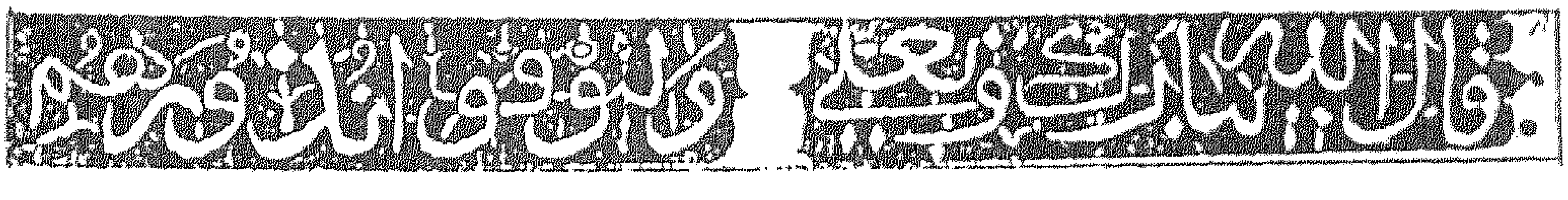

الشكل رقم (٩) : تفريغ للشريط السفلي بالمصراع الأيسر

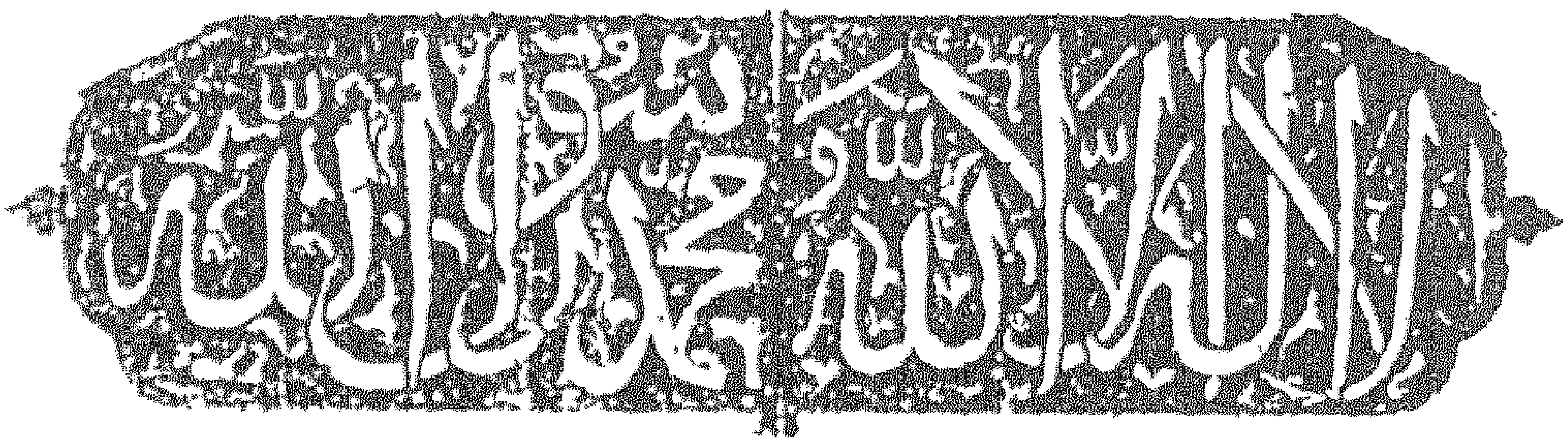

الشكل رقم (١٠) : تفريغ للشهادتين المنفذتين بأسفل العقد الذي يتوج واجهة الباب

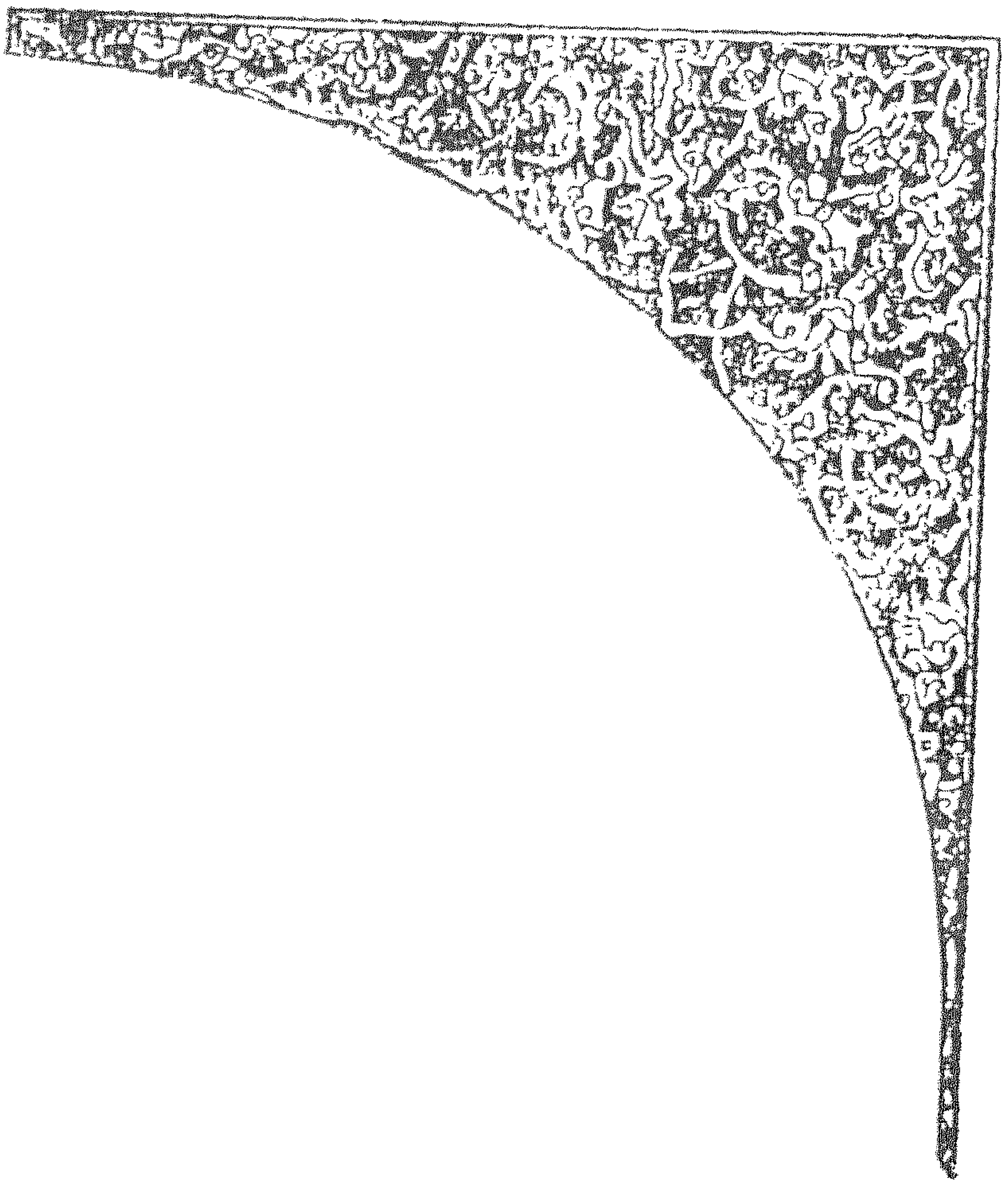

الشكل رقم (١١) : تفريغ لكوشة العقد

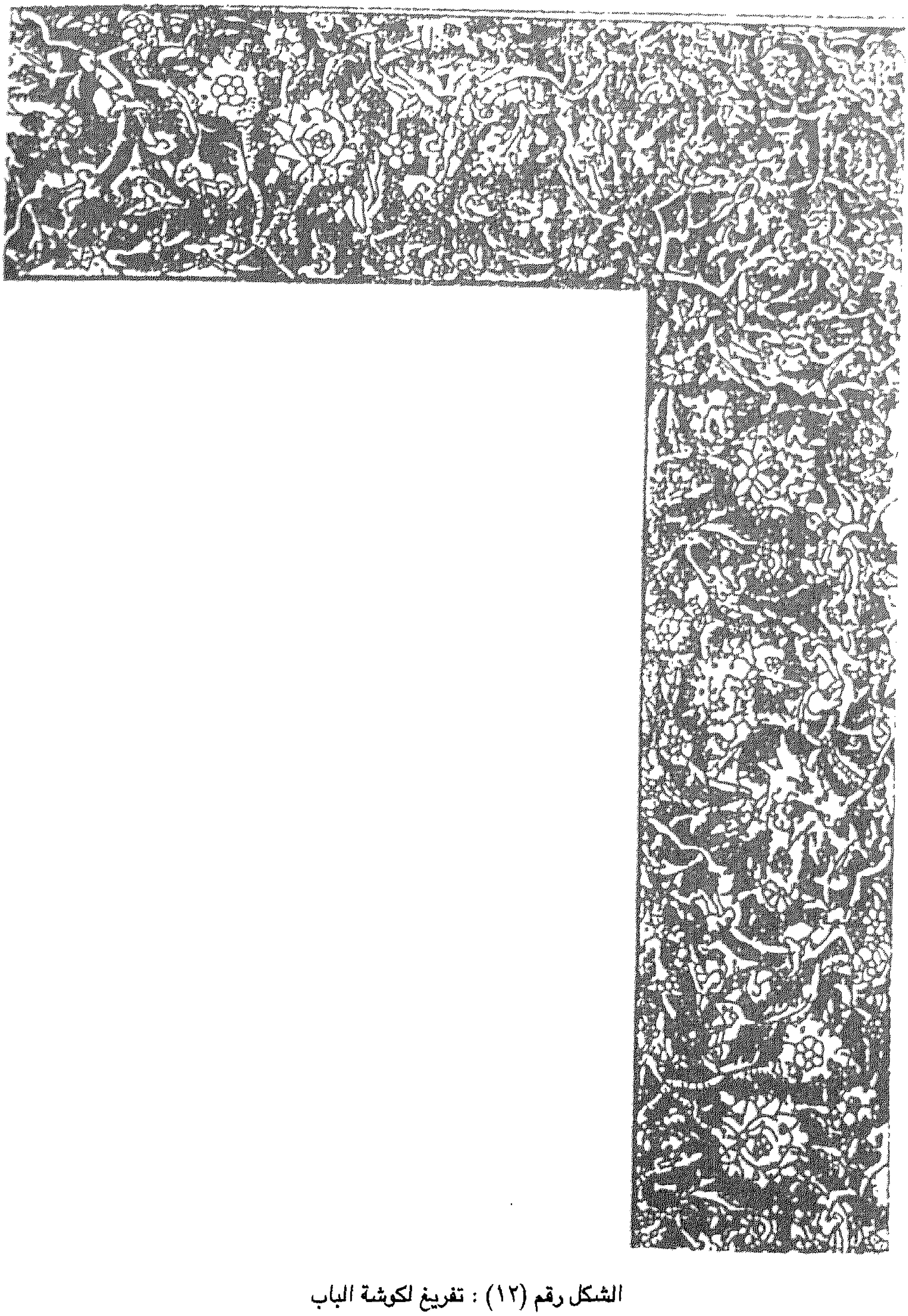

الشكل رقم (١٢) : تفريغ لكوشة الباب

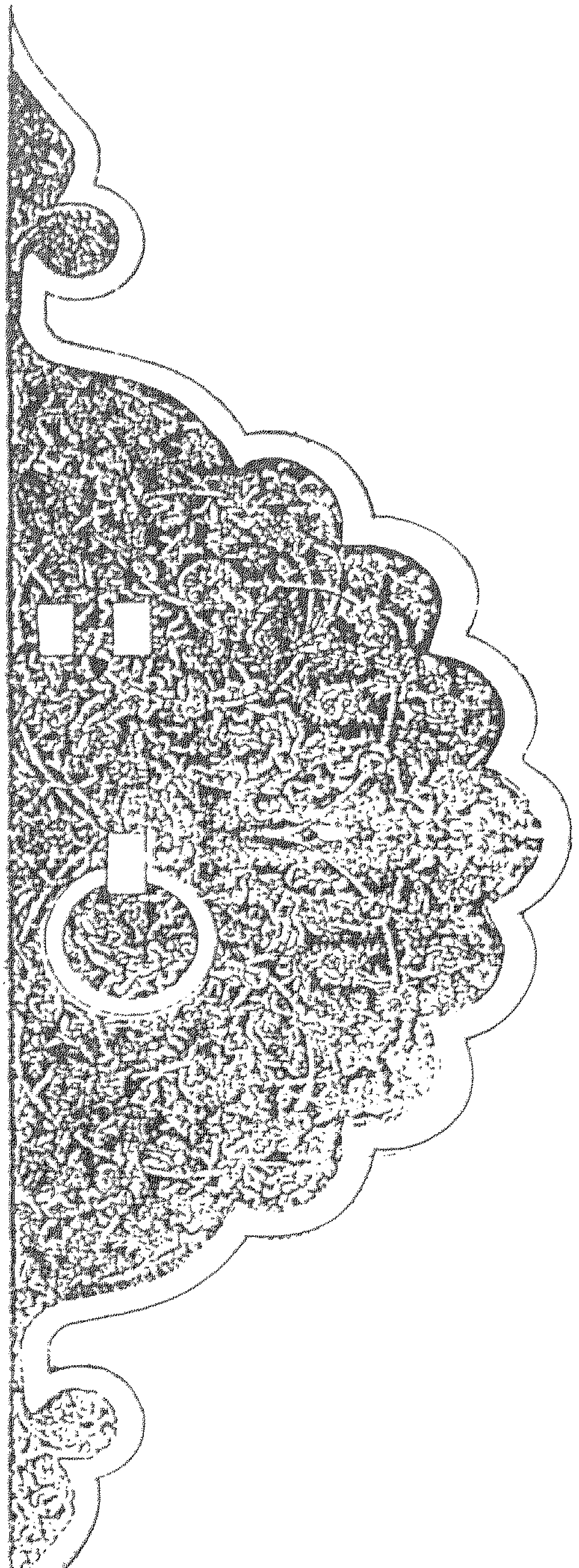

الشكل رقم (١٣) : تفريغ نصفي للزخرفة التي تتوسط الباب

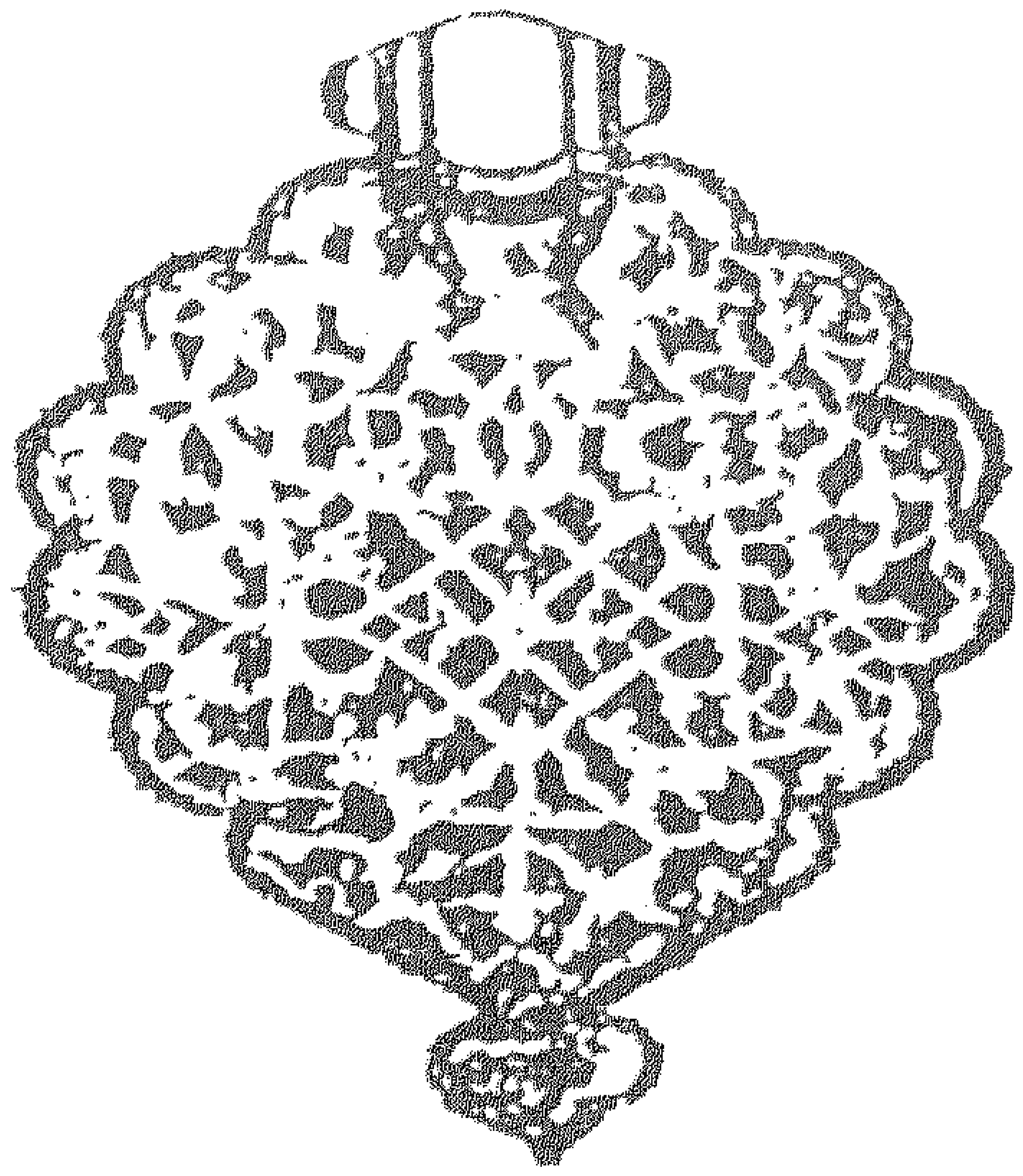

الشكل رقم (١٤) : تفريغ لمطرقة الباب

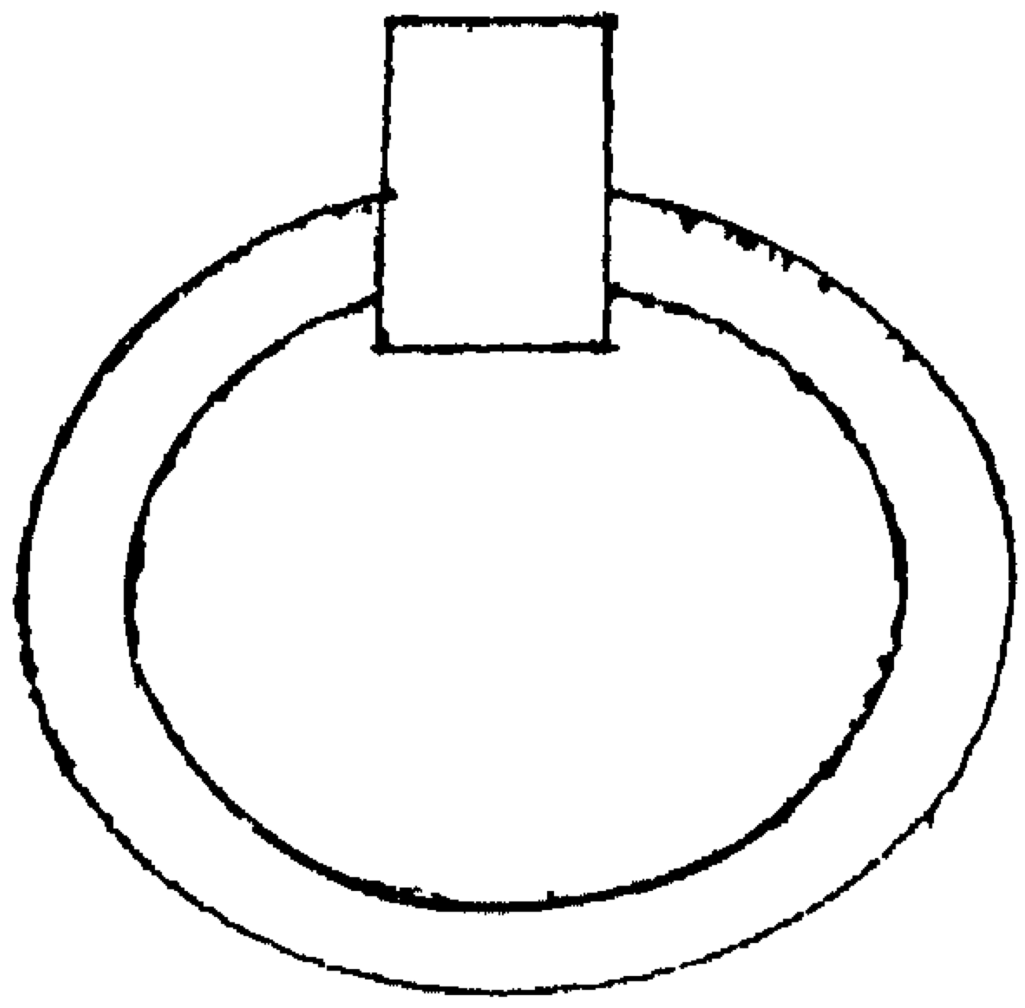

الشكل رقم (١٥) : تفريغ لمقبض الباب

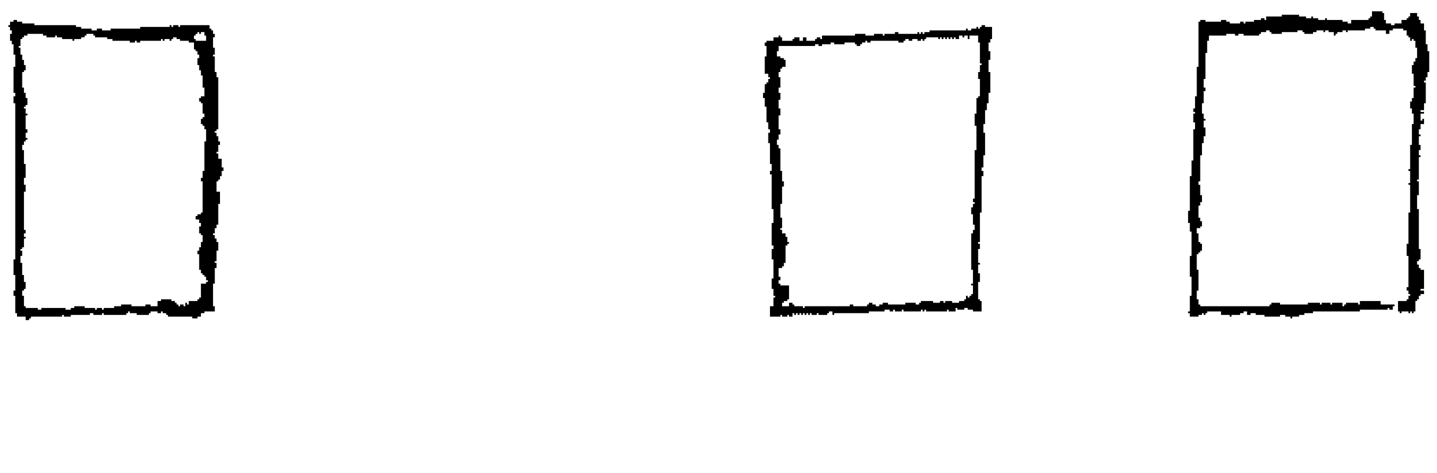

الشكل رقم (١٦) : تفريغ للمصبعات التي يدخل فيها قفل الباب

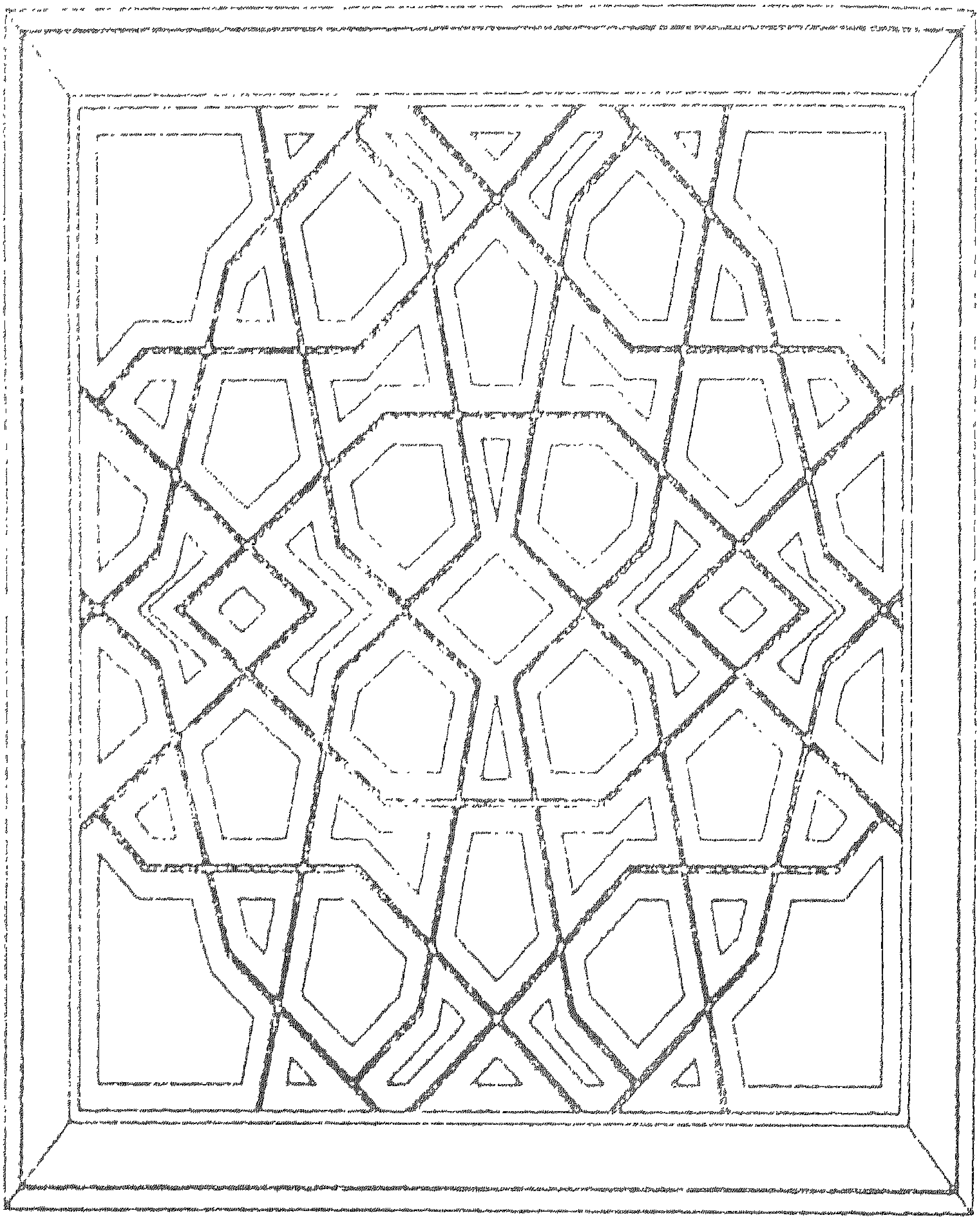

الشكل رقم (١٧) : تفريغ لإحدى الحشوات بالباب من الخلف

الحواشي

١ – أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، حققه ووضع فهارسه عمر عبدالسلام تدمري، ج١، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٧٠ .

٢ – أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي ملحس، ج١، ط٣ (مكة المكرمة : دار الثقافة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ٦٤ .

٣ – الأزرقي، **أخبار**، ج١، ص ٢٠٩ .

٤ – ناصر بن علي الحارثي، «**باب الكعبة المشرفة في العصر السعودي : دراسة تاريخية فنية**»، بحث غير منشور مقدم لندوة الحج التي سوف يقيمها معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٣ .

٥ – الأزرقي، **أخبار**، ج١، ص ٢٠٩ .

٦ – السابق .

٧ – السابق .

٨ – أبو الحسن محمد بن أحمد الشهير بابن جبير ، **رحلة ابن جبير** ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) ، ص١٠٣، ١٠٤ .

٩ – النجم عمر بن فهد بن محمد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج٣، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط١، (جدة : دار المدني، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، سلسلة من التراث الإسلامي، الكتاب العشرون، د . ت)، ص ٩٢ .

١٠– ابن فهد، **إتحاف** ، ج٣، ص ٢٠٣ .

١١– علي بن عبدالقادر الطبري، **الأرج المسكي في التاريخ المكي**، تحقيق وتقديم أشرف أحمد جمال، إشراف سعيد عبدالفتاح، ط١ (مكة المكرمة : المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص ١٥٢ .

١٢– الطبري، **الأرج** ، ص ١٥٢ .

١٣– السابق، ص ص ١٥٢ – ١٥٤ .

١٤– السابق .

١٥– علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاوي، **منائح الكرام في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج٤، دراسة وتحقيق ماجدة فيصل زكريا، ط١ (مكة المكرمة : مطابع جامعة أم القرى، إصدار مركز إحياء التراث الإسلامي بمعهد البحوث العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، ص ١٧٤ .

١٦- عملة ذهبية تركية، قيل سميت بذلك نسبة إلى زخرفة الحبيبات المنفذة في الإطار، التي تشبه حبيبات البندق ، أو من مدينة البندقية وهو الأرجح، والدينار البندقي نوعان : عتيق ينسب إلى السلطان سليم الثالث ضرب إستانبول وقيمته خمسون قرشًا صاغًا، والآخر جديد ينسب إلى السلطان مصطفى الرابع، وقيمته أربعون قرشًا صاغًا وتوقف ضربه ١٨٠٨م .

محمد شفيق غربال ، **الموسوعة العربية الميسرة** ، المجلد الأول، (القاهرة : دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م)، ص ٤٠٩ .

١٧- مصطفى أحمد ، **خامات الديكور** ، ط١ (د . م: دار الفكر العربي، ١٦٨١م)، ص٦٩.

١٨- السابق ، ص ٧٠ .

١٩- عبدالقادر عابد وفتحي السباعي، **الحفر**، ط١ (القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٣١.

٢٠- مصطفي ، **خامات** ، ص ٧٠ .

٢١- الطبري، **الأرج** ، ص ١٥٤ .

٢٢- السنجاوي، **منائح**، ج٤، ص ١٧٤.

٢٣- السابق .

٢٤- علي فهيم ، **الفنون الصناعية** ، ج١، **التجارة العلمية**، ط١ (مصر: مطبعة التوفيق، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) ص ١٥١، ومحمد عبدالعزيز مرزوق، **الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه**، ط١ (بغداد : مطبعة أسعد، ١٩٦٥م)، ص١٤٩ .

٢٥- ناصر بن علي الحارثي «**أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني دراسة فنية حضارية**» رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، (١٤٠٦هـ) ص ٥٧ .

٢٦- الباشا وآخرون، **القاهرة تاريخها ، فنونها، آثارها** ، ط١، (القاهرة : مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠م) ص٣٦٥.

٢٧- شادية الدسوقي كشك «**أشغال الخشب في العمائر الدينية بمدينة القاهرة، دراسة أثرية فنية**» رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآثار ، جامعة القاهرة (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ص١٠٢- ١٠٦.

٢٨- ف . بتراك، **تشكيل المعادن بدون قطع**، ترجمة حسن محمود إسماعيل ومحمد عبدالمجيد نصار ، سلسلة الأسس التكنولوجية، إشراف أنور محمود عبدالواحد، ط١ (د . م : ب . ن، د . ت)، ص ص ١١ - ١٦ .

٢٩- شمس الدين سامي، **قاموس تركي**، (إستانبول: إقدام مطبعة سي، ١٣١٧هـ)، ص٦٣١ .

٣٠- Ulker Esginsoy, Islam Maden Sanatini Gelis, mesi, Bos, Langicindon Anadlou Swlcukluianin Sonuna Kadar, Kultur Bakanligi Yauinlari, 205, Rurk Sanat Eserleri : 4 Istanbul (1978), p . 27 .

٣١- ف . بتراك، **تشكيل**، ص ١٤ .

٣٢- سعيد محمد مصيلحي، «**أدوات وأواني المطبخ المعدنية في العصر المملوكي دراسة أثرية فنية**»، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآثار، جامعة القاهرة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٢٥٧ .

٣٣- حسن الباشا، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، ج٢، ط١ (القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٦٦م)، ص ص ٧٢٨ - ٧٣٠ .

٣٤- سامي، **قاموس**، ص ٦٣٣ .

٣٥- محمد أحمد زهران، **فنون أشغال المعادن والتحف . سمكرة تطويع مينا لخامات تطعيم تلوين**، ط١ (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م)، ص١٠٤ .

٣٦- James W . Allan, Metal work of the Islamic world the Aron Collection , first published, Ha, Pe, and Row Publisners INC, (1986), p . 17 .

٣٧- مصيلحي، **أدوات**، ص ٢٥٤ .

٣٨- طه عبدالقادر يوسف عمارة، «**الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة : دراسة أثرية**»، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآثار، جامعة القاهرة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٣ .

٣٩- عمارة، **الأبواب**، ص ص ٣ - ٥ .

٤٠- الحارثي، **تحف**، ص ٣٩ ت.

٤١- زهران، **فنون**، ص ٢٠٢ .

٤٢- Herber Maryon and others, Metal work and Enameling, Apanciicalon Gold and Silver Smith work and thair Allied cratts, Dover plulications ING, New York, (1971), p. 113.

٤٣- الحارثي، **تحف**، ص ٧٢ .

٤٤- سامي، **قاموس**، ص ٦٣٧ .

٤٥- Maryon, op . cit., p. 243 .

٤٦- جرجس طنوس عون، **الدر المكنون في الصنائع والفنون**، ط١ (بيروت : مطبعة الأمريكان، ١٨٧٣م)، ص١٣ .

٤٧- Erginsoy , op . cit, p . 84.

٤٨- طنوس، **الدر**، ص ١٣ .

٤٩- محمد ثريا، **سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية**، ج١، ط١، (إستانبول: معارف نظارت جليلة سنك رخعتيله طبع أولنمشدر، مطبعة عامة، ١٣٠٨هـ)، ص١١٢.

٥٠- محمد فريد المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط٢ (بيروت : دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص ٢٨٠ .

٥١- يوسف آصاف، **تاريخ سلاطين آل عثمان**، تحقيق بسام عبدالوهاب الجالي، ط٣ (دمشق : دار البصائر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٩٨ .

٥٢- المحامي، **تاريخ**، ص ٢٨٥ .

٥٣- محمد علي بن محمد علان الصديقي، **أنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد** ، تحقيق خالد عزام حمد الخالدي، رسالة مكملة لمتطلبات درجة الماجستير، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود، (١٤٠٦/ ١٤٠٧هـ)، ص ص ١٠٨ - ٢١٥ .

٥٤- محمد هزاع الشهري ، «**المسجد النبوي في العصر العثماني دراسة معمارية حضارية**» ، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الدراسات العليا والتاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م)، ص٤٦ - ٥٠ .

٥٥- عادل محمد نور غباشي، **المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني : دراسة حضارية**، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص١٦٦ .

٥٦- إسماعيل أحمد ياغي ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، ص١٠٨ .

٥٧- من السلاطة بمعنى القهر، ولذلك أطلق على الوالي، وورد اللفظ في آيات قرآنية بمعنى الحجة والبرهان، ثم أطلق على عظماء الدولة، وأصبح لقبًا عامًا بعد تغلب الملوك بالشرق على الخلفاء ، ثم صار يطلق على الولاة المستقلين، وفي العصر المملوكي والعثماني أصبح هذا اللفظ يطلق على رئيس الدولة سابقًا لاسمه .

حسن الباشا ، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** ، ط١ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م)، ص ص ٣٢٣ - ٣٢٩ .

٥٨- لفظة فارسية تركية الأصل تعني الأمير والسيد ، والرئيس، أطلقت على شيوخ الأمراء الترك منذ فجر الإسلام، وانتقلت اللفظة بعد ذلك إلى بعض الأقاليم الإسلامية عن طريق خانات التركستان، ثم إلى أقاليم إسلامية أخرى عن طريق الترك

والتتار كعلم على السلطنة، ثم أصبحت لقبًا رسمياً للسلطان العثماني .

طوبيا العيسى ، **تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه**، ط١ (القاهرة : دار العرب للبستاني، ١٩٦٤-١٩٦٥م)، ص ٢٣، والباشا، **الألقاب** ، ص٢٧٤.

٥٩- محمد بن فهد الفعر، «**الكتابات والنقوش في الحجاز في العصر المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري ١٤ - ١٨م**» رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ص ١٠٠- ٤٤١.

٦٠- هو سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد ابن زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي الثاني، تولى الإمارة في يوم السبت الموافق ١٣/١١/١١٨٦هـ، وبقي فيها حتى وافته المنية في ١٨/٤/١٢٠٢هـ .

عبدالفتاح حسين راوه المكي، **تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام من عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحاضر**، ط١ (الطائف : مكتبة المعارف ، د . ت)، ص ص ٣٢٦ - ٣٣٣ .

٦١- أحمد السباعي، **تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**، ط٧ (مكة المكرمة : مطابع الصفا، منشورات نادي مكة الثقافي رقم ٦، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ص ٤٤١- ٤٤٨ .

٦٢- عبدالعزيز عبيد الرحمن مؤذن، **كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني** ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، (١٤٠٠ - ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ - ١٩٨١م)، ص ص٣٤٧ - ٤١٧ .

٦٣- إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ ، «باب الكعبة المعظمة على مر العصور» ، **الدارة**، العدد الثالث، السنة السابعة ، (ربيع الثاني ١٤٠٢هـ / فبراير ١٩٨٢م) ، ص ص ١٦ - ١٧.

٦٤- ظهرت هذه الزخرفة في إقليم الخطا بتركستان الشرقية بشكل غير معقد متأثر بدرجة كبيرة بالأسلوبين الإيراني والصيني، ثم طورها الأتراك العثمانيون فأصبحت تتألف بصفة رئيسة من زهرتي القرنفل والسوسن والأوراق النباتية، وبخاصة الرمحية المسننة .

Azade Akar Ve canide Keskiner, Turk susleme Sanatlarinda Guzel Sanatlar Matbaasi A .

، S , Isranloul (1978), p. 18
وناصر الحارثي ، **تحف** ، ص ٢٩٨ .

٦٥- زخرفة تركية مطورة عن زخرفة التوريق العربية (أرابيسك)، حيث أدخل السلاجقة عليها عناصر زخرفية جديدة مثل : الطيور، والأسماك، والأرانب. الحارثي، **تحف**، ص ٣٠٠، . Azad, op. cit, p. 19

٦٦- Gelal Esad Arseven, Turk Sanati, ozkur ofset, (istanbul), 1984, p. 219 .

٦٧- Arthur upnam pope, A Survey of perslan Art, from prehistoric Times to the present, New York, N . y. U. S. A, vol. X111, p. 1427 - B .

٦٨- محمد عبدالعزيز مرزوق، **الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني** (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م) شكل ٥٤.

٦٩- Azad and other, op. cit, p.3 .

٧٠- الحارثي، **تحف** ، ص٣٠٣ .

٧١- مرزوق ، **الفنون** ، شكل ٥٨ .

٧٢- أوقطاي أصلانابا ، **فنون الترك وعمائرهم**، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط١، (إستانبول : مطبعة رنكلر، إصدار مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٧٣- مرزوق ، **الفنون**، شكل ١٠ .

٧٤- حسن الباشا، الفنون الإسلامية، أصولها ومجالها ومداها، **مجلة منبر الإسلام**، العدد الخامس، السنة ٢٣، (جمادى الأولى ١٣٨٥هـ/ سبتمبر ١٩٦٥م) ، ص١٨٨ .

٧٥- فريد شافعي، زخارف وطرز سامرا، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، المجلد الثالث عشر، ج٢ (ديسمبر ١٩٥١م)، ص ص١٠- ١٦.

٧٦- ناصر بن علي الحارثي، «الزخرفة المكية» **مجلة جامعة أم القرى**، السنة العاشرة، العدد ١٦، الجزء الأول (الشريعة والدراسات الإسلامية)، (١٤١٨هـ)، ص٣٨٨ .

٧٧- عبدالعزيز عبيد الرحمن مؤذن، **فن الكتاب المخطوط في العصر العثماني**»، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (١٤١٠هـ)، ص ص٣١٢ - ٤١٨ .

٧٨- عبدالله حسين باسلامة، **تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك**، ط٣، (جدة : تهامة، سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم ١٦، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٢٢٣ .

٧٩- الشهري ، **المسجد**، ص٢٩٨ .

٨٠- مؤذن ، **كسوة**، ص ص٣٤٧ - ٤١٧.

الأرقام العربية أصل من أصول الخط العربي

هزاع بن عيد الشمري

الرياض – المملكة العربية السعودية

لما كان هذا الموضوع هو تقييم كفاءة استخدام كل من منظومتي الأرقام المشرقية والأرقام المستخدمة في المغرب العربي في الكتابة العربية ، ففي ظني أن هنالك من يحسب تنازعاً بينهما على الأصالة وتناغماً مع الحرف الأبجدي العربي الذي أخذ شكلاً متمايزاً عن أمثاله العروبية القديمة حيث هَنْدسة كبار العلماء والخطاطين منذ القرن الثاني الهجري فعرف بالخط البغدادي ، ومن ثم المشرقي تمييزاً له عما لحق بعد ذلك من الخط المغربي أو الإفريقي والخط الأندلسي ، وأصبح لهذا الخط قواعده وقوانينه ونظمه الراسخة الدقيقة إلى اليوم .

إن هذا الحسب وهمٌ فليست الأصالة والتناغم وشكل الصورة مع الحرف الأبجدي العربي إلاّ لمنظومة الأرقام العربية المشرقية وماعداها من منظومة أرقام أخرى تُعد نشازاً مع هذا الحرف وخارجة عن قوانينه وصوره .

ولكي يُبان خطأ هذا الحسب فإنه – قبل المقارنة – من الضرورة **معرفة الأصول التأريخية للكتابة العروبية – وإن شئت الأبجدية العروبية** – :

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها﴾. وفي تفسيره اللغوي لهذه الآية الكريمة ، قال ابن منظور : (قيل : معناه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات ، فكان آدم على نبينا محمد وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وولده يتكلمون بها ، ثم أنّ ولده تفرقوا في الدنيا ، وعلِقَ كُلٌّ منهم بلغة من تلك اللغات ، ثم ضلّتْ عنه ما سواها لبُعْد عهدهم بها)(١).

ويقترب ابن عبدربه من هذا التفسير ليورد عبارةً أكثر تفصيلاً وتحديداً فيقول : (أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب ، آدم ﷺ ، قبل موته بثلثمائة سنة ، كتبه في الطين ثم طبخه ، فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق ، وجَدَ كُلٌّ قوم كتابَهم فكتبوا به ، فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب)(٢).

ونقل القلقشندي الفزاري حديثاً مروياً عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (سألتُ رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله كل نبيٍّ مرسل بم يُرسل ؟ . قال «بكتاب منزّل» قلت : يارسول الله أي كتاب أُنزل على آدم ؟ قال «ا ب ت ث ج ...» قلت يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : «تسعٌ وعشرون»)[٣] . ونقل ابن عبدربه الأندلسي حديثاً مروياً عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قوله : «إن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم ﷺ» [٤] . ونقل ابن عبدربه أيضاً حديثاً مروياً عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه)[٥] . وروَى السهيلي في التعريف والإعلام ، عن طريق أبي عمر بن عبدالبر رحمه الله يرفعه إلى النبي ﷺ قال («أول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام » قال ابن عبدالبر : وهذا أصح من رواية أول من تكلم بالعربية إسماعيل) ويذهب هذا المذهب السهيلي[٦] .

ويتفق معظم الباحثين اللاحقين من العرب والإفرنج على أن الأبجدية اختراع عروبي، ويسميها الإفرنج أبجدية «اللغات السامية» نسبة للشعوب من ولد سام بن نُوح وهو مصطلح أطلقه عليها أحد المستشرقين الألمان في القرن الثامن عشر الميلادي[٧] ليجعل اللغة العربية فرعاً من هذه المجموعة لا أصلاً لها . على أنَّ هؤلاء العلماء اختلفوا قليلاً على : أي هذه الشعوب هو المخترع . فأحمد سوسة يقرر أنّ : (اللغة العربية هي أقدم لغة في التاريخ) [٨] . فإذا صح تقريره هذا؛ فإن هذه اللغة هي لغة آدم عليه السلام وهي التي وضع خطها آدم أو إسماعيل أو إدريس عليهم الصلاة والسلام ، وغيرها من اللغات وخطوط اللغات جاء لاحقاً لذلك . ويقرر أحمد سوسة كذلك (أن العرب أول مخترع للحروف الهجائية التي عدها العلماء أساساً لكل الحضارات)[٩].

ومن ثم يخص أحمد سوسة الكنعانيين بالذات – من العرب – بأنهم (أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة وأخذها منهم الفينيقيون وانتقلت من الفينيقيين إلى الإغريق واللاتينية وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي «ألف باء» – ويبين سوسة كذلك – أن الكنعانيين هم الذين اخترعوا أبجدية الكتابة المختزلة للخط المسماري والهيروغليفي حتى أصبح

الخط الكنعاني أساساً لجميع خطوط العالم المتمدن في الشرق) (١٠) . ولا يرى سوسة أن الخط الفينيقي اعتمد كل الاعتماد على الخط الكنعاني وحده بل كذلك اقتبس من الآرامية أسوة بكثير غيرهم أمثال الأرمن والفرس والهنود واليهود(١٠) . ويؤكد سيد أحمد الناصري القول أن الحروف اليونانية هي فينيقية الأصل(١١).

ويتفق سوسة فيما خص به الكنعانيون من أنهم أول من استعمل الأبجدية مع تقرير ولفنسون الصارم قوله : (لا وجود لأبجدية حرفية سبقت أبجدية الكنعانيين) (١٢) .

ولكي يكون أحمد سوسة أكثر دقة فإنه يرى استناداً إلى رأي كل من الدكتور ولفنسون في كتابه – تاريخ اللغات السامية– والأستاذ دايرنجر : (أن اختراع الحروف الهجائية «الأبجدية» كان بعد هجرة الأقوام من الجزيرة العربية .. وتم اكتشافها في شبه جزيرة سيناء في مناجم الذهب وهي مكتوبة باللهجة الكنعانية القديمة التي تعود إلى عام ١٨٥٠ق.م . وصارت تعرف الألف باء وكان ترتيبها من اليسار إلى اليمين .. وقد انتشرت حتى وصلت إلى الهند شرقاً وبذلك تغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع السومرية التي كانت شائعة آنذاك) (١٣) .

ويرى علماء آخرون أن الأبجدية الفينيقية هي أصل الأبجديات ومنهم رنيه ديسو ، ووجهة نظره (أن الأبجدية الفينيقية أصل الأبجديات السامية كلها) (١٤) ، وفي حديثه عن اتصال الأبجدية السبئية بالأبجدية الفينيقية يقول ديسو عن حرف «الذال» : (هذا الحرف من اختراع السامية الجنوبية وسنرى بوجه عام أن الحروف الإضافية قد حصلوا عليها بزيادة نقطة إلى حرف ما، تشبه تماماً النقط التي استعملها المسلمون من العرب في نفس الغرض)(١٥) . ويقرر إيفانس ، وسلمون ريناخ بقولهما : (أن الأبجدية الأصلية هي الأبجدية الفينيقية التي اشتقت منها الأبجديات السامية واليونانية) (١٦) . عدا أن ديدور الصقلي (ينسب إلى الفينيقيين فيها تحويراً في الكتابة لا اختراعاً لها إذ يقول : هذه الكتابة المعدلة قد أصبحت كتابة غالبية الناس وبهذا نستطيع تفسير الدلالة المستعملة عند الإغريق للحروف الفينيقية) (١٧) .

ومهما اختلف العلماء حول أي من

الشعوب العروبية كان السابق في اختراع هذه الأبجدية التي تسود العالم، دون استثناء ، فإنهم يقرون بأصلها العروبي فالفينيقيون يعودون في أصلهم إلى الكنعانيين ، نزحوا من جزيرة العرب بحدود الألف الثالث قبل الميلاد كما يرى أحمد سوسة [١٨] ، بينما لم يتأكد ول ديورانت من هذا الأصل إلاّ أنه يتفق بقدوم أجدادهم من شواطئ الخليج بحدود عام ٢٨٠٠ ق . م.[١٩]. والأمر سيان .

وهنالك من العلماء من يرجح ظهور الكتابة بالعراق لوقت متقدم جداً عن الحروف الهجائية وكانت كتابة تصويرية . ويرى ديورانت أن انتقال الحضارة في العالم القديم قد بدأ من أور إلى بابل ويهوذا ومن بابل إلى نينوى.. ثم إلى بلاد اليونان وروما[٢٠] . وهذا الرأي والترجيح في مجمله لا يخرج الأبجدية عن عروبتها .

وحول أول من وضع الخط العربي المتأخر عن الكنعاني والفينيقي ، فالمؤرخون العرب لا يتفقون حول ذلك وتختلف آراؤهم حول أيهما أقدم ، فابن خلدون حينما تحدث عن الخط الحميري قال : (ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في رسومها وأشكالها ويسمى ذلك قلماً وخطّاً ، فمنها الخط الحميري ، ويسمى المُسْنَد وهو كتابة حمير وأهل اليمن الأقدمين وهو يخالف كتابة العرب المتأخرين من مضر كما يخالف لغتهم، وإن كان الكل عربيّاً، إلاّ أنّ ملكة هؤلاء في اللسان والعبارة غير ملكة أولئك ، ولكل منهما قوانين كلية مستقرة في عباراتهم غير قوانين الآخرين . وربما يغلط في ذلك من لا يعرف ملكات العبارة . ومنها الخط السرياني وهو كتابة النبط والكلدانيين وربما يزعم بعض أهل الجهل أنه الخط الطبيعي لقدمه فإنهم كانوا أقدم الأمم . وهذا وهم ومذهب عامي)[٢١] . وعن إتقان الخط الحميري وجودة إحكامه وانتقاله إلى الحيرة في الشمال قال ابن خلدون : (وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميري . وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباءَ التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب في العراق . ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن

الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذُكر)[٢٢] . وفي معرض كلامه على القلم الحميري قال ابن النديم: (زعم الثقة أنه سمع مشايخ أهل اليمن يقولون: إن حمير كانت تكتب بالمسند على خلاف أشكال ألف، وباء، وتاء. ورأيت أنا جزءاً من خزانة المأمون ترجمته ، ما أمر بنسخه أمير المؤمنين المأمون عبدالله أكرمه الله من التراجم . وكان في جملته القلم الحميري، فأثبت مثاله على ما كان في النسخة)[٢٣] - الشكل ٦ - .

وقيل إن أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم هذه هم قوم نزلوا الطائف كما ذكر المسعودي بقوله : (سار عبد ضخم بن إرم ابن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف، فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر، فدثروا وذكرتهم الشعراء، وفيهم يقول الأزدي :

وعبدُ ضخم إذا نسبتهم
ابيضُّ أهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقاً يجمعهم
فبين الخط قحة العرب

وذكروا أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم وهي حروف : ا ب ت ث وهي التسعة والعشرون حرفاً وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع الناس في بدء الكتاب [٢٤].

ويورد المسعودي رأياً آخر فيقول : (بنو المحض بن جندل بن يعصب بن مدين ابن إبراهيم ، وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ومنفصلة فمنهم المسمى بأبي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت.. وأحرف الجُمّل على أسماء هؤلاء الملوك وهي التسعة والعشرون حرفاً التي يدور عليها حساب الجمل، وقد قيل في هذه الأحرف غير ما ذكرنا من الوجوه)(*) [٢٥] .

ويذكر عمر بن شبة : (أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيْما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر) [٢٦] . غير أن ابن شبة نفسه بأسانيده يورد رأياً آخر يجعل رجالاً من طسم وجديس هم واضعو هذا الخط : (أن أول من وضع الخط العربي ، أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ، وهم قوم من الجبلة الآخرة ، وكانوا نزولاً مع عدنان ابن أدد ، وهم من طسم وجديس .. وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهي : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب

مـا يلحن في حـروف الجُـمّل) [٢٧] . وهذا الرأي حول الروادف يتوافق تماماً مع رأي رنيه ديسو حول اختراع حرف «الذال» والحروف الإضافية الذي سبق إيراده .

وقـريب من رواية ابن شـبـة أورد القلقشندي رواية مساندة : (نقل الجوهري عن الشرقي بن القطامي أن أول من وضعه رجال من طيئ منهم مُرامر بن مرة وأنشد عليه :

تَعَلَّمْـتُ باجادٍ وآل مُرامـرٍ
وَسَوَّدْتُ أثوابي ولست بكاتبِ

قال الجوهري : وإنما قال آل مرامر لأنه كان قد تسمَّى كل واحد من أولاده بكلمة من أبي جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال : أول من اخترعه وألّف حروفه ستة أشخاص من طَسْم كانوا نزولاً عند عدنان ابن أُدَد ، وكانت أسماؤهم : أبجد ، وهوز ، وحطي ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، فوضعُوا الكتابة والخط على أسمائهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسَمُّوها الروادف ، وهي : الثاء المثلثة ، والخاء ، والذال ، والظاء ، والغين ، والضاد ، المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجُمّل ، ثم انتقل عنهم إلى الأنبار ، واتصل بأهل الحيرة ، وفشا في العرب ولم ينتشر كل الانتشار إلى أن كان المبعث) [٢٨] .

وحول هذه الصناعة الطائية للحروف العربية ترد معلومات من لدن الرواة متناقلة . ففي العقد الفريد قال ابن عبدربه : (وحكوا أيضاً أن ثلاثة نفر من طيئ اجتمعوا ببقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سِدْرة ، وعامر بن جَدَرَة ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الأنبار) [٢٩] . وتفصيل مهمة كل من الطائيين الثلاثة حسب الرواية المنسوبة لابن عباس رضي الله عنهما . قال القلقشندي : (عن ابن عباس : أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان - قبيلة من طيئ ، هزاع - نزلوا مدينة الأنبار وهم مُرامر بن مُرة ، وأسلم بن سِدرة ، وعامر بن جَدَرَة ، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة ، ثم قاسُوها على هجاء السريانية، فأما مرامر فوضع الصُّور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام ، ثم نُقل هذا العلم إلى مكة وتعلمه وكثر في الناس وتداولوه) [٣٠] .

ومـا دام أن هذا العلم نقل إلى مكة حسب ما روي عن ابن عباس فإن محمد بن إسحاق يرتب أوليات الخطوط العربية هذه

وانتقالها من مدينة إلى أخرى فيقول : (فأول الخطوط العربية ، الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي . فأما المكي والمدني ، ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلا الأصابع ، وفي شكله انضجاع ... وهذا مثاله)[٣١] - الشكل ١٣ - .

وأما **أنواع الأقلام وطريقة الخطوط** العربية الحديثة ، فالعرب يسمون الكتابة : الخط ، والرقش، والرقم ، والأمر واحد . قال أبو ذؤيب الهذلي [٣٢] :

عَرَفتُ الديارَ كرقْمِ الـدوا
ةِ يَزْبِرُها الكاتبُ الحِمْيَرِيُّ

وهذا دليل على إتقان حمير للخط وشهرته عند العرب . وفي تعريفه اللغوي للخط يقول ابن منظور : (الخطُّ : الطريقة المستطيلة في الشيء ، والجمع خُطُوط ، وقد جمعه العجاج على أخطاط ، فقال :

وَشِمْنَ في الغُبار كالأخطاط

والخط الكتابة ونحوها مما يُخَطُّ) [٣٣].

وأقلام العرب متعددة ولعل الخط الكوفي كان أهمها وأسبقها على أن هنالك بعض أوجه الاختلاف حول ذلك . فحسب إشارة صاحب «إعانة المنشئ» (أن أول ما نُقل الخط العربي من الكوفي إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن في أواخر خلافة بني أمية وأوائل خلافة بني العباس) [٣٤] . فهذه إشارة إلى أسبقية الكوفي وزعامته لهذه الخطوط . وفي تعليقه على هذه الإشارة قال القلقشندي : (على أن الكثير من كُتَّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علي بن مُقلة ، رحمه الله تعالى، هو أول من ابتدع ذلك، وهو غلط فإنا نجد من الكتب بخط الأولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي، بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المُستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أميل لقربه من نقله عنه)[٣٥].

ويرى القاضي القزويني أن الكتابة العربية كانت بطريقة الكوفية ثم إن الوزير ابن مقلة نقلها إلى طريقته[٣٦]. ويقول القلقشندي : (إن ألقاب الأقلام : من الثلثين والنصف والثُّلث وخفيف الثلث والمُسلسل والغُبار قديمةٌ وإن وقع في أذهان كثير من الناس أنها من مخترعات ابن مقلة وابن البواب فمن بعدهما) [٣٧] . ويقسم ابن خلدون الخط إلى وقته إلى ثلاثة أنواع ، الخط البغدادي أو المشرقي وله قوانين وأشكال متعارفة بينهم ، والخط الإفريقي أو المغربي وهو قريب من المشرقي في أصله ، والخط الأندلسي وهو مختلف [٣٨] .

ويورد القلقشندي ترتيب الحروف فيقول : (على ضربين ، مفرد ومزدوج وبين أهل الشرق وأهل الغرب - يعني المشارقة والمغاربة - هزاع - في كل من النوعين خلاف في الترتيب ، أهل الشرق يرتبون المفرد :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي . وأهل الغرب:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي .

وأما المزدوج فهو أبجد هوز ..)(٣٩).

وفي ثنائه على خط ابن مقلة وابن البواب المتوفى سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٣م يذكر القزويني دقةً وقوةً وصفاء في طريقة ابن البواب في الخط حتى أصبح قانوناً يسير على منواله خطاطو العصور المتتالية لا يحيدون عنه إلى هذا اليوم . يقول : (إن الكتابة العربية كانت بطريقة الكوفية ثم إن الوزير أبا الحسن بن مقلة نقلها إلى طريقته، وطريقته أيضاً حسنة ، ثم إن ابن البواب نقل طريقة ابن مقلة إلى طريقته التي عجز عنها جميع الكُتّاب من حسنها وحلاوتها وقوّتها وصفائها ، ولا يعرف لطافة ما فيها إلاّ كبار الكُتّاب ، فإنه لو كتبَ حرفاً واحداً مائة مرة لا يُخالف شيءٌ منها شيئاً لأنها قُلبت في قالب واحد ، والناس كلهم بعده ، على طريقته)(٤٠) .

ومما سبق يتبين فضل العرب القدماء في اكتشاف حروف الأبجدية وصناعتها وتطورها عبر العصور حسب أقلامهم وتتبين الدقة والصرامة في وضع القوانين لها والأشكال الهندسية العالية مع الأخذ بها مستقيمة مُبسطة . ولكون أرض العرب أرض ينبوع الحضارات ومهبط الرسالات لا يتوافر ذلك لغيرهم من الأمم السالفة حسب علمنا ، فإنهم لابُدَّ كانوا أصحابَ قوة ونفوذ على من حولهم ، وأرباب مهن متقدمة تتوازى تماماً مع هذا التطور العظيم في مجال الفكر العلمي الرائع ومنه الهجائية ولابُدّ أن للحساب وأرقامه من بداية من هنا .

ولكي نرى ضَعْفَ الأقلام الأخرى أمام القلم العربي ، وتأثيره عليها فإننا نورد شيئاً منها خاصة من أقلام الشعوب المجاورة أو القريبة التي قد يظن بأنّ لها سبقاً وفضلاً على الخط العربي أو أبجديته ، وذلك من باب الاستئناس . فمثلاً :

أ - الكلام على السودان فقد قال

النديم على قلمهم ما نصه : (فأما أجناس السودان ، مثل النوبة والبجة والزغاوة والمراوة والاستان والبربر وأصناف الزنج سوى السند فإنهم يكتبون بالهندية للمجاورة، فلا قلم لهم ولا كتابة . والذي ذكره الجاحظ في كتاب البيان ، للزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم . وقال لي من رأى ذلك وشاهده قال : إذا حَزّبتهم الأمور ولَزّتهم الشدائد جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة فيفهم عنه الباقون . قال : وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه .

وخبرني بعض من يجول في الأرض ، أنّ للبجة قلماً وكتابة ، لم تصل إلينا . وذكره ممن يجري مجراه أن النوبة تكتب بالسريانية والرومية والقبطية من أجل الدين. فأما الحبشة فلهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميري يبتدي من الشمال إلى اليمين ، يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط ينقطونها كالمثلث بين حروف الاسمين ، وهذا مثال الحروف وكتبتها من خزانة المأمون ، غير الخط) (٤١) – الشكل ٧ – .

ب – الكلام على الترك وما جانسهم ، قال النديم : (فأما الترك والبلغر والبلغار والبرغز والخزر واللان ، وأجناس الصفار الأعين ، والمفرطي البياض فلا قلم لهم يعرف سوى البلغر والتبت . فإنهم يكتبون بالصينية والمنانيّة، والخزر تكتب بالعبرانية ...) (٤٢) .

ج – قلم الصين :ذكر ابن النديم قلمهم فقال : (الكتابة الصينية تجري مجرى النقش ، يتعب كاتبها الحاذق الماهر فيها وقيل إنه لا يمكن لخفيف اليد أن يكتب منها في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاث . وبها يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم في المراوح . وقد رأيت منها عدة وأكثرهم ثنوية سمنيّة .. وللصين كتابة يقال لها كتابة المجموع ، وهو أن لكل كلمة تكتب بثلاثة أحرف وأزيد ، صورة واحدة ، ولكل كلام يطول ، شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة ، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة ورقة كتبوه في صفح واحد بهذا القلم) (٤٣) – الشكل ٩ – .

د – القلم المناني ، قال النديم : (الخط المناني مستخرج من الفارسي والسورياني ، استخرجه ماني . كما أن المذهب مركب من المجوسية والنصرانية ، وحروفه زائدة على حروف العربية ، وبهذا القلم يكتبون أناجيلهم

وكتب شرائعهم وأهل ما وراء النهر وسمرقند بهذا القلم يكتبون كتب الدين .. وللمرقيونية قلم يختصون به أخبرني الثقة أنه رآه قال ويشبه المانى إلاّ أنه غيره ، وهذه أحرف المناني) (٤٤) – الشكل ٨ – .

هـ – قلم الصُغد : قال النديم : (قال الثقة : دخلت بلد الصُغد ، وهي بناحية ما وراء النهر ويسمى صغد إيران الأعلى ، ولهم حاضرة الترك ، وقصبتها تسمى قرنكت . قال : وأهلها ثنوية ونصارى ويسمون الثنوية بلغتهم احاركف ، وهذا مثال خطهم) (٤٥) – الشكل ١٠ – .

و – الكلام على السند، وفيه قال ابن النديم: (هؤلاء القوم مختلفي اللغات، مختلفي المذاهب ولهم أقلام عدة قال لي بعض من يجول بلادهم : أن لهم نحو مائتي قلم ، والذي رأيت صنما صفراً في دار السلطان قيل إنه صورة البدّ، وهو شخص على كرسي قد عقد بإحدى يديه ثلثين . وعلى الكرسي كتابة هذا مثالها :)(٤٦) – الشكل ١١ – .

ز – وقد مرّ بنا قول أحمد سوسة من أن الأرمن والفرس والهنود واليهود اقتبسوا خطهم من أصول أرامية(٤٧) . وأما الألفاظ الهند أوربية فهي شديدة الشبه باللاتينية واليونانية (٤٨) مما يجعلها متأخرة عن العروبية وهي بلا شك قد أخذت الأبجدية العروبية فليس لها فضل مؤثر يعتد به .

ح – بقي من هذا الكلام القولُ على اللغة السنسكريتية اللغة الأم للأرقام السنسكريتية الهندية ، التي عرفت فيما بعد بالأرقام الإفرنجية ولننظر إلى تأثير هذه اللغة وتأثيرها على غيرها من اللغات .

يقول عبدالفتاح عبادة : (اللغة المقدسة عند البراهمة ، لغة قديمة لا يتكلمون بها الآن ولكن كتب علومهم الروحية مكتوبة بها ، وفيها مشابهة غريبة لبعض لغات أوربا دالة على اشتقاق اللغات من أصل واحد ، وهي أصل لغات الهند ، ومعنى سنسكريت : اللغة التامة أو المهذبة) (٤٩) . ويرى بلومفيلد في كتابه «اللغة» : أن (السنسكريتية واللاتينية واليونانية أخذت من أصل واحد موغل في القدم) (٥٠) . والرأي نفسه يقول به خبير اللغة السنسكريتية الألماني «بوبّ» حيث يذكر اللغة اللاتينية واليونانية والسنسكريتية من أصل واحد مع تفوق السنسكريتية (٥١) . وفي خطبة ألقاها سير وليام سنة ١٧٨٦م قال : (السنسكريتية أكمل من اليونانية وأغزر ثروة من اللاتينية ، وأكثر دقة وتأنّقاً

من كلتيهما . ومع ذلك فالشبه كبير بينهما في جذورها ونحوها . ولذا من الصعب على أي عالم لغة أن يدرسها دون الاعتقاد أنها نبعت من مصدر واحد .. وذكر أن القوطية والكلتية والفارسية لها الصلة نفسها مع السنسكريتية)(٥٢) . وهذا ماكس مُوللر يرى أن السنسكريتية ليست أم اللغات وإنما هي أخت اليونانية واللاتينية(٥٣).

قلت : فإذا كانت السنسكريتية ليست هي أم اللغات بل هي أخت اليونانية واللاتينية فقد تكون أبجديتها معاصرة للأبجدية اليونانية المأخوذة من الأبجدية العروبية أم الأبجديات وأصلها . بل إن السنسكريتية لم تظهر كلغة مستقلة عن العروبية إلا بعد أن انحدر أصل الهنود والسند من شبه الجزيرة العربية . فبشبه اتفاق بين المؤرخين المسلمين فإن الهند والسند من سلالة نوح عليه السلام مع أنهم اختلفوا على ساميتهم أو حاميتهم فالمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٨م يقول : (وسار نوفير بن فوط بن حام بولده ومن تبعه إلى أرض الهند والسند .. وعلى هذا القول أن الهند والسند من ولد نوفير بن فوط بن حام بن نوح) (٥٤) (**) وذكر القاضي القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م أن (الهند والسند كانا أخوين من ولد توقير بن يقطن بن حام بن نوح، عليه السلام) (٥٥) . ويجعلهم الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م : (بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح) (٥٦) .

وعلى هذه الآراء حول الجذور التأريخية للأبجدية العروبية وكونها أصل الأبجديات فليس من البدع القول بتأثير اللغة العروبية القديمة على اللغات الأخرى التي جاءت من بعدها. فتفرقت ألسنتها. وبالنظر إلى التقدم الحضاري عند العروبيين وتطور الكتابة والخط والتجارة منذ زمن مبكر ليس لغيرهم ادعاء أسبقيته ووجود أنظمة العد تبعاً لهذا السبق فإنه أيضاً ليس من البَدْع القول بعروبية أصل الأرقام وجذورها .

وما أوردنا ذلك تحقيراً لأقلام هذه الشعوب ولكنه بياناً لوضعها وتأثير القلم العربي على جُلِّ أقلامها .

الأرقام : الأرقام هي الحروف التي رسمت واستخدمت عوضاً عن حروف الجمل - بضم الجيم وتشديد الميم ويجوز تخفيفها- وهي الحروف المقطعة على أبجد وهو نظام العد أو الحساب أو الحسابة أو الإحصاء(٥٧). والترقيم هو كلام أهل ديوان الخراج (٥٨) .

وهذا الأخير مصطلح عربي إسلامي بحت . ومقابلة الأعداد بحروف الجمل كما يلي :

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠

أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق

٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠

ر ش ت ، ث خ ذ ، ض ظ غ ، وهذا هو نظام العد عند العرب وهو جميع حروف المعجم ، مما يدل دلالة واضحة على أن أصل هذه الصناعة من الأعداد هو أصل عروبي تبعاً للأبجدية العروبية كما مَرّ بنا . أما الأرقام العربية برسمها الحالي وهندسة خطها فهي ضبط دقيق من الخط اعتمد في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور – رحمه الله – ، حيث كلف محمد بن إبراهيم الفزاري المتوفى سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م بوضعها وبذلك فهي تسمى الأرقام البغدادية نسبة لمكان رسمها .

وحسب حسن ظاظا وزملائه ، فقد : (تأثر الكاتب العربي في رسمه للأرقام بفكرة أن تكون كلها مبنية على الخطوط المستقيمة على أن تكون الدائرة وهي الرقم « ٥ » فاصلاً بين نصفي الأرقام القائمة كلها على خطوط مستقيمة لأن الخط المستقيم في الأبجدية يعتبر عندهم مقياساً لجمال الكتابة) [٥٩] .

ونظرة إلى جدول تطور هذه الأرقام – الشكل ١٧ – منذ عهد الخليفة هارون الرشيد إلى يومنا هذا فإنه لا خلاف يذكر حول رسومها مما يدل على أن صناعتها كانت خاضعة لقانون من الرسم والهيئة دقيق وليس لشكل من أشكال اجتهاد الخطاطين أو غيرهم ، وكالحال بالضبط بالنسبة لحروف الهجاء التي استمدت شكلها من رسم مرتب بعناية ولو بدلت وضعه ما جاز ذلك البتة ، ولا استقام الأمر .

وهنالك مزية للرقم العربي أن قراءته تكون تبعاً لمسايرة الحرف الهجائي العربي ابتداء من اليمين إلى اليسار وتناسقه مع الحرف العربي لا من حيث ما ألفت عليه العين ولا من حيث تشابه حروف كثير من الأرقام بحروف الهجاء فحسب بل من حيث سلامة قراءته والشيء نفسه يقال أيضاً لمزية الرقم الإفرنجي ومسايرته للقلم الإفرنجي فلو بدلت هذا مع ذلك لما جاز ولاختل الأمر .

فمثلاً الرقم «١٤١٥» يقرأ: خمسة عشر وأربع مئة وألف، وهذه قراءته الصحيحة. ولربما اختزلت قراءةً على النحو: خمسة، واحد، أربعة، واحد . ولو قرئ الرقم نفسه على طريقة ما يفعل المتساهلون : ألف وأربع مئة وخمسة عشر ، لما جاز ، ولو اختزل على هذه الطريقة نفسها فقيل : واحد ، أربعة ، واحد ، خمسة لأصبح العدد مغايراً وهو «٥١٤١» ولفسد الأمر.

أما سهولة رسم حرف الرقم العربي فهي بادية للعين، فمثلاً يقول ظاظا وزملاؤه: (إن الرسم العربي لهذه الأرقام أسهل وأقرب إلى المنطق فالرقم « ٢ » مكون من عنصرين اثنين يضاف إليهما سنٌّ آخر لنحصل على الرقم «٣» ويكرر الرقم « ٢ » مرتين للحصول على الرقم «٤»)(٦٠) . والرقم «٥» يتكون من دائرة ، ويجعل لها خط مستقيم فنحصل على الرقم «٩» وكذلك رسم الأرقام «٦ , ٧ , ٨» أسهل كلفة وبساطة وتوازن وحتى على مستوى المتدرب على الكتابة فإنه لا يجد صعوبة في ذلك على خلاف مثيلاتها من الأرقام الأجنبية التي تعتمد على خطوط غير مستقيمة أو دوائر بعضها غير مغلق مثل الأرقام السنسكريتية « 9 , 8 , 7 ,6 ,5 ,4 ,3 ,2 ,1 ,0» فحتى الرقم «1» منها لابُدّ له من قاعدة تحتية وسنّ مرتدة إلى اليسار من الأعلى . وحتى الرقم صفر «0» فإنه في حقيقة أمره ليس بصفر حسب المدلول اللغوي لمعناه بل هو دائرة ولكنهم اصطلحوا على هذا . فلو نقل هذا الصفر بشكله عند الغرب إلى الحروف العربية واستخدم في المنظومة العربية للأرقام لاضْطرب المدلول اللغوي بين اللغة والصورة .

علاقة الرقم العربي الحديث بما سبقه من أرقام عروبية قديمة وتطوره عنها :

إن الناظر إلى الأرقام العروبية القديمة كالحميرية والفينيقية والإرمية والتدمرية والنبطية يجد تطابقاً في بعض أرقامها وعلاقة ما بين بعض آخر مما يدل على أصل واحد لها وتطور كتابي لبعض منها عن أصل واحد أيضاً فمثلاً الأرقام «١ , ٢ , ٣ , ٤» متطابقة في الحميرية والفينيقية والإرمية والتدمرية والنبطية وترسم على النحو هذا «ا ,اا ,ااا , اااا» عدا إن الرقم «٤» النبطي يختلف قليلاً ولكن دون اخلال فيرسم هكذا « ﻟﻟﻟ» . بينما الأرقام من «١» وحتى «٩» الفينيقية والإرمية فهي متطابقة تماماً وترسم على هذا «ا ,اا ,ااا , اااا , ااا اا , ااا ااا , اااا ااا , اا ااا ااا , ااا ااا ااا» ويتساوى رسم الرقم «٨» النبطي مع مثيليه الفينيقي

والإرمي . وهنالك رسم للرقم «٤» الفينيقي يتساوى مع مثيل له إرمي وهو هذا «\\\\» وكذلك هنالك رسم آخر للرقم «٣» الإرمي يتساوى مع مثيل له تدمري وهو هذا «||/» . ومثل هذا التطابق نجده في رسم آخر للرقم «٢» الإرمي والتدمري وهو هذا «|/» ولمزيد من المقارنة انظر الشكلين - ١٥ و ١٦ - .

ويظهر أن الأرقام العربية الحديثة ما هي إلاّ تطور كتابي للأرقام العروبية القديمة وتحوير لبعضها وأخذ صورة لرقم ما ووضعها رسماً لرقم آخر ولتبيان ذلك فهذه مقارنة :

أ - الرقم العربي الحديث «١» هو تماماً فيما يقابله بالحميرية والفينيقية والإرمية والتدمرية والنبطية .

ب - الرقم العربي الحديث «٢» هو تماماً في التدمرية «٢» وهو يشبه ما يقابله في الإرمية «|/» وكذلك في رسم آخر لهذا الرقم في التدمرية «/'» . وهو يشبه ما يقابله في النبطية «U» فلو استقام عصاه الأيسر إلى أسفل لأصبح هو نفسه . والأمر كذلك فيما يخص الرقم «٢» الحميري والفينيقي ورسوم أخرى لهذا الرقم نفسه في الإرمية والتدمرية والنبطية .

ج - الرقم العربي الحديث «٣» هو نفسه «||/» الإرمي ، وهو نفسه «||/» أو «٣» أو «٣» التدمري . وهو يشبه مثيله النبطي «U|» وهو يشبه إلى حد أمثاله «|||» الحميرية والفينيقية والإرمية والتدمرية والنبطية حيث إن هنالك أكثر من رسم لهذا الرقم في الإرمية والتدمرية والنبطية .

د - الرقم العربي الحديث «٤» يشبه مثيله التدمري «UU» وإن كان يتجه إلى الأعلى وهو أيضاً يشبه مثيله النبطي «UU|» . وهنالك رسوم للرقم العربي «٤» وردت عند الإقليدسي وشجاع المغربي وابن اللبان وابن الدريهم وهو هذا «عـ» وهو يشبه الرقم «٥» الحميري «ﻳ» .

هـ - الرقم العربي الحديث «٥» هو نفسه صورة الرقم «١٠» الحميري «٥» والمعروف أن صورة الدائرة في الأرقام العربية التسعة أو بين نصفي بيت الشعر هي الفاصل بين النصفين، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . وورد رسم لهذا الرقم العربي عند ابن وحشية وشجاع وابن اللبان وابن الدريهم يطابق الرقم «١٠٠» الحميري «ﻷ» .

و – الرقم العربي الحديث «٦» يشبه صورة الرقم « O » الإرمي « Ч » والرقم « O » التدمري « Ч » .

ز – الرقم العربي الحديث «٧» يشبه إحدى صورتي الرقم «٥» التدمري « > » بينما الرقم «٨» العربي الحديث ما هو إلاّ عكس صورة الرقم «٧» .

ح – الرقم العربي الحديث «٩» ما هو إلاّ صورة الرقم « ٥٠» الحميري « ٩ » .

ولمزيد من ذلك انظر الشكلين – ١٥ و ١٦ – .

علاقة الرقم العربي الحديث بصور الحروف الأبجدية العروبية القديمة :

وبعد هذا المثال عن علاقة الرقم العربي الحديث بما سبقه من أرقام عروبية قديمة نورد مثالاً آخر عن علاقة أخرى تربط بين الرقم العربي الحديث وصور الحروف في الأبجدية العروبية القديمة .

أ – المسند «الحميري» : الأرقام العربية الحديثة « ١, ٣, ٥, ٦ » نجد ما يشابه صورها في القلم الحميري كما ورد في – الشكل ٦ – . وكذلك فإننا نجد صوراً من حروف القلم الحميري في – الشكل ١ – تشبه صور الكثير من الأرقام العربية الحديثة .

ب – القلم الفينيقي : فالأرقام العربية الحديثة «٩ و ٨ و ٥ و ٥ و ٦ و ٣ و ٩» تشبه صورها صور الحروف الفينيقية على التتالي « 9 , ٩ , O , B , Ч , O , ٣ , 4 » وتمثل هذه في الأبجدية على التتالي «ب ج د ح ن ع ص ق» . – الشكل ٢ و ٣ – .

ج – القلم السبئي : فالأرقام العربية الحديثة «٦ و ٩ و ٨ و ٥ و ٥» تشبه في صورها صور الحروف السبئية « ٦, ٩, ٦, ٨, O » وهي في الأبجدية السبئية على التتالي «ج ي ل م ع» . – الشكل ٢ و ٣ – .

د – القلم اللحياني : فالأرقام العربية الحديثة «٦ و ٩ و ٥ و ٥» تشبه في صورتها صور الحروف اللحيانية

« ٦, ٩, ٨, O » وهي في الأبجدية على التتالي « ج ي م ع» . – الشكل ٢ – .

هـ – القلم الثمودي : فالأرقام العربية الحديثة «٥ و ٩ و ٩ و ١ و ٦ و ٥ و ٥» تشبه في

صورتها صور الحروف الأبجدية الثمودية « ٥، ٩، ٩، ١، ٦، ٤، ٥ » وهي في الأبجدية على التتالي «ج ي ي ل ل م ع» . – الشكل٢–.

و – القلم الصفوي : فالأرقام العربية الحديثة «٥ و ٨ و ٩ و ٩ و ١ و ٠» تشبه في صورها صور الحروف الصفوية « ٥، ٨، ٩، ٩، ١، ٠ » وهي في الأبجدية على التتالي «ج ج ي ي ل ع» . – الشكل ٢ – .

ز – القلم النبطي المتأخر : فالأرقام العربية الحديثة «٦ و ٩ و ٢ و ٩ و ٣ و ٣» تشبه في صورتها صور الحروف النبطية « ٦، ٩، ٢، ٩، ٣، ٣ » على التتالي . – الشكل ٥ – . وكذلك الأرقام العربية الحديثة «٦ و ٥ و ٩ و ١ و ٣» فهي تتوافق تماماً في صورها مع صور الحروف النبطية « ٦، ٥، ٩، ١، ٣ » على التتالي. – الشكل ٥ –.

ح – قلم عربي قديم مستعمل في القرن الأول للهجرة : فالأرقام العربية الحديثة «٥ و٩ و٩ وأسنان الرقم ٣» تشبه في صورها الحروف العربية القديمة هذه «٥، ٩، ٩، ٣» ومثلها الحروف «١، ٩، ٩، ٣» . – الشكل ٥ – .

ط – الأرقام العربية الحديثة «١ و ٤ و ٨ و ٢ و ٣» تشبه صورها صور الحروف الحبشية «الحميرية» :

« ١، ٤، ٨، ٢، ٣ » . – الشكل ٧ – .

ي – الأرقام العربية الحديثة «٧و ٤ و ٥ و ٣» تتوافق صورها مع صور الحروف العربية للقلم المناني :

« ٧، ٤، ٥، ٣ » . – الشكل ٨ – .

علاقة الأرقام العربية الحديثة بالحرف العربي الحديث : من الملاحظ أنهما استقاما على الحال التي هُما عليها الآن في زمن واحد وهو القرن الثاني الهجري ، أي قبل اثني عشر قرناً ونيف ، وهذا تطور تقني تبعاً لتطور الحضارة العربية الإسلامية وفنون قوانينها وضوابطها التي جرت في مدارس ودواوين بغداد والكوفة والبصرة ومنها اتجهت يمنة ويسرة إلى أنحاء الأرض وحواضرها فعرف الحرف هذا بالخط المشرقي أو البغدادي كما أشار ابن خلدون في مقدمته وعرفت الأرقام بالبغدادية أيضاً وهذا كاف على تلازمهما من الناحية النظرية .

أما الناحية التطبيقية المقارنة على ثبوت تلازمهما وعلاقة حروفهما بعضها ببعض فإليك الأمثلة :

أ - الرقم « ٠ » وضع ليشغل الفراغ ، وهو نقطة لا قيمة لها ما لم تأت مع حرف آخر وهنا تتبدل إلى قيمة معلومة وهذا واقع بالضبط بالنسبة للأرقام والحروف الهجائية معاً .

ب - الرقم « ١ » خط مستقيم يشارك تماماً في استقامته وصورته الكثير من الحروف الهجائية المستقيمة كالألف ، والخطوط المستقيمة من الحرف ل « ل » والحرف ك « ك » والحرفين ط و ظ « ط » « ظ » .

ج - الرقم « ٢ » إن جُرِّد من خطه المستقيم « ٢ » يأخذ صورة الحروف « ب » و« ت » و« ث » . ويأخذ شكلاً من أشكال الحرف « س » وهو « ٢ » وحرف « ٢ » وهنالك الرسم الثاني للرقم « ٢ » أيضاً حيث يأخذ رسم الدال والذال « > » معكوسة . ويأخذ من حرف العين والغين « غ » ورسمها الآخر « ع » ويأخذ من حروف الجيم والحاء والخاء « خ » و « خ » وكذلك يأخذ شكلاً من أشكال حرف الهمزة « ء » .

د - الرقم « ٣ » ويأخذ كثيراً من الحرف « س » و « ش » مثل « ٣ » و« س » و« س » .
وهنالك الرسم الآخر للرقم « ٣ » وهو « ٣ » وينطبق عليه ما سبق ذكره في الرقم اثنين « ٢ » .

هـ - الرقم « ٤ » يأخذ صورة الحرف « ع » و« غ » وورد في العديد من المخطوطات على صورة الحرف « ي » مثل « ٤ » و « ٤ » . ويأخذ صورة الواو إذا بسطت وركبت لاحقة للعين المبتدئة « عو » وكذلك يأخذ صورة الجيم المطرفة المرسلة والمطرفة المسبلة « ج » « ج » .

و - الرقم « ٥ » وله عدة أنواع مأخوذة من أشكال الحروف مثل الهاء المدورة المفردة « ٥ » ومثلها التاء المدورة المفردة ، وكذلك صورة الهاء « ه » والهاء « ه » والهاء « ه » والهاء « ه » وصورة الهاء « هـ » والهاء الملحقة بما قبلها « ـه » ، كما يأخذ صورة دائرة الواو « و » « و » « و » وكذلك صورة من صور دائرة القاف « ق » وتأخذ صورة من دائرتي الطاء والظاء « ط » ودائرتي الصاد والضاد « ص » وكذلك يأخذ صورة دائرة حرف الميم « م » و « م » .

ز - الرقم «٦» وعلى الرغم من بساطة صورته وسهولة قلمه فإنه يأخذ صورة السين والشين معكوسة «سـ» وصورة اللام معكوسة «ـلـ» وربما أخذ صور حروف الباء والتاء والثاء «ـبـ» وهو أيضاً يشبه رسم الهمزة المائلة «ء» وإذا مال اتجاهه هكذا «(» فإنه يأخذ صورة الدال والذال وإذا كان على هذا الخط «(» فإنه يأخذ صورتي الراء والزاء . وحرفه المستقيم إلى أسفل «٦» فيأخذ الحرف «ا» .

ح - الرقم «٧» فيأخذ صورة لام ألف «٧» وصورته «٧» كما في بعض الخطوط . ويأخذ صورة الهاء «٧» وصورة بعض خطوط حرف النون «٧» وعلامة الترقيم «٧».

ط - الرقم «٨» وهو صورة الرقم «٧» معكوسة تماماً لكنه أيضاً يأخذ عدداً من صور الحروف الهجائية مثل الهاء الديواني كما في لفظ الجلالة «الله» ، والهاء الطغراء كما في لفظ الجلالة «الله» وسن النون في خط الرقعة «٨» وسن القاف المختلسة «٨» ومن الجيم المطرفة «ج» وإن كانت مائلة ، ومن الجيم المفردة «ج» والجيم المبتدأة «ج» وكذلك الأمر بالنسبة للحاء والخاء .

ي - الرقم «٩» وهذا الرقم هو رسم للرقم «٨» بانثناء ضلعه الأيسر «٩» ويمكن رسمه على رسم الرقم «٥» بإضافة خط مستقيم «٩» . ويأخذ هذا الرقم صورة الهاء كما في لفظ الجلالة «الله» وصورة الهاء الدائرة «٩» وكذلك التاء المربوطة وصورة القاف «ق» والواو المخطوفة «و» والواو «و» .

الخاتمة : ويتبين مما مضى لمن يظن عجزاً وخواراً بهذا التراث العظيم ، أن الأبجدية والأصول التاريخية للكتابة سبق بهما العروبيون سائر الأمم ومن العروبيين انتقلا إلى الأمم اللاحقة ، ويتبيّن أيضاً أن الخط العربي متقدم عن غيره من خطوط وأقلام الأمم الأخرى ، ومنه أُخذت كثير من الخطوط وإن كانت الألفاظ بلغات قومها . كما تبيّن أن العرب أهل فنٍّ وخبرة متطورة في الكتابة وأضراب الأقلام وهندسة الحرف منذ زمن مُبكر ليس لأحد ادعاء منافستهم عليها وهذا ليس من باب المبالغة والانتماء وإنما هو الحقيقة بعينها .

وقد مرّ بنا ، عملياً ، سهولة كتابة الرقم العربي وأنه تطور عن أرقام وحروف عروبية

قديمة وأنه أخذ شكله الراهن طبقاً لضبط دقيق من الهندسة المُحكمة روعي فيها الصلة والرابطة الوثيقة بالحرف الهجائي العربي وبساطة الكلفة واستقامة الخط بحيث يصعب إبداع قلم أفضل منه . وإن هذا الإبداع أنجزه عالم ومفكر عربي كبير هو محمد بن إبراهيم الفزاري بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور حوالي منتصف القرن الهجري الثاني وذلك مواكبة ومزامنة مع تطور الحرف الهجائي حينذاك على الرسم الذي هو عليه حتى اليوم.

ولذا فهو قانون حصيف مدروس بعناية فائقة ومتلازم بدقة مع الحرف الهجائي العربي أخذ من هيئته ورسمه مساير له في طريقة قلمه لا يشكل نشازاً البتة عنه . ومن غير الجائز ، قانوناً ، ومن غير المنطق عقلاً ، حتى تقييم كفاءته مقارنة مع رقم آخر يدعي الجاهلون أو المتعصبون للهوى عروبته لمجرد أنه يعرف بالغرب بالرقم العربي مع أنها لم تثبت عروبته لا علمياً ولا عملياً لأمور جوهرية أدناها أنه أول ما عرف عن طريق اللغة السنسكريتية – الهندية القديمة – وأنه لم يعرف أو يستخدم لدى العرب القدماء وحتى العصور الإسلامية التي ازدهرت فيها الحضارة والفنون ومن بينها الخطوط والأقلام ، وأن حروفه لا تتناسب مع الحرف العربي بل معقدة غير سهلة الكتابة وأن طريقة كتابته لا تساير الخط العربي بل هي عكسه ، وعسفه على طريقة القلم العربي يفسد قيمته ويضطرب أمره لأنه صنع ليساير لغات أخرى . ولو افترضنا ، جدلاً ، أنه من أصول عروبية هاجر إلى الهند في زمن سحيق فإنه أيضاً أخذ منحىً آخر فاغترب هيئةً ونظراً وثقافةً مثل ما اغتربت اللغات العالمية من العروبية القديمة وأخذت أحوالها على ما هي عليه اليوم .

أما اللذين يدعون عروبة هذا الرقم السنسكريتي ، اليوم من الأخوة أهل المغرب فإن وثائقهم وكتاباتهم الإسلامية كافية للرد عليهم ، حتى وإن استخدم هذا الرقم أول ما استخدم في مراكش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري فإنه جاء إليها من أوربة ، وإلاّ فمن أين جاء ؟ فأهل المغرب من الناحية التأريخية قبل الفتح الإسلامي ليس لهم لغة مكتوبة فمن أين لهم أرقام مكتوبة ، ولا هذه الأرقام استخدمت في المشرق حتى ترحل مع الحرف والكتابة العربية بلونها هذا إلى المغرب ، ثم إن ابن خلدون وهو من أهل المغرب ذكر فساد الخط العربي المغربي

بسبب تأثره بالخط الأندلسي الذي تأثر هو بدوره بالثقافة المغتربة ثم جاء الاستعمار الأوربي وزاد البلاء بلاء فكبرت الطامة ووسع الشق على الراقع .

ويظهر أن أهل مراكش وهي المدينة التي جلب إليها هذا الرقم السنسكريتي في زمن ابن الياسمين المتوفى سنة (٦٠١هـ) قد تأثروا بالحضارة الأندلسية - والصلة مع الأندلس معروفة تاريخياً - فأخذوا هذا الرقم مع ما أخذوا من بعض الخط الأندلسي ففسدت بعض رسوم الخط المغربي العربي وجُهل فيه وجه التعليم وقد أشار ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) إلى شيء من هذا فقال : (وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم البربر ، وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عُدوة المغرب وإفريقية ، من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد ، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع ، وتعلقوا بأذيال الدولة ، فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفا عليه ، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما ، وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها ، لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس ، وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كُتّاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم ، إنما كانوا يفدون على دار الملك بتونس ، فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس . حتى إذا تقلص ظل الدولة المُوحديّة بعض الشيء ، وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران ، نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجُهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران . وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك، لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها. وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي، لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريباً ، واستعمالهم إياهم [في] سائر الدولة . ونسي عهد الخط فيما بَعُد عن سُدّة الملك وداره كأنّه لم يعرف، فصارت الخطوط بإفريقية والمغربين مائلة إلى الرداء بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلاّ العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة ، حتى لا تكاد تقرأ إلاّ بعد عسر،

ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول» [٦١] .

وأعود لأكرر أنه ليس من المصلحة التضحية بتراث قديم متواصل مع الأزمان عبر آلاف السنين ومرتبط بعضه ببعض من حيث الخط والطريقة والألفة والصلاح في حروفه الهجائية وحروف أرقامه وفي هذه التضحية قطع لصلة التراث وفساد في الخط ولهاث إلى ما عند الآخرين وإن كان غير صالح .

والله أعلم وصلى الله على محمد

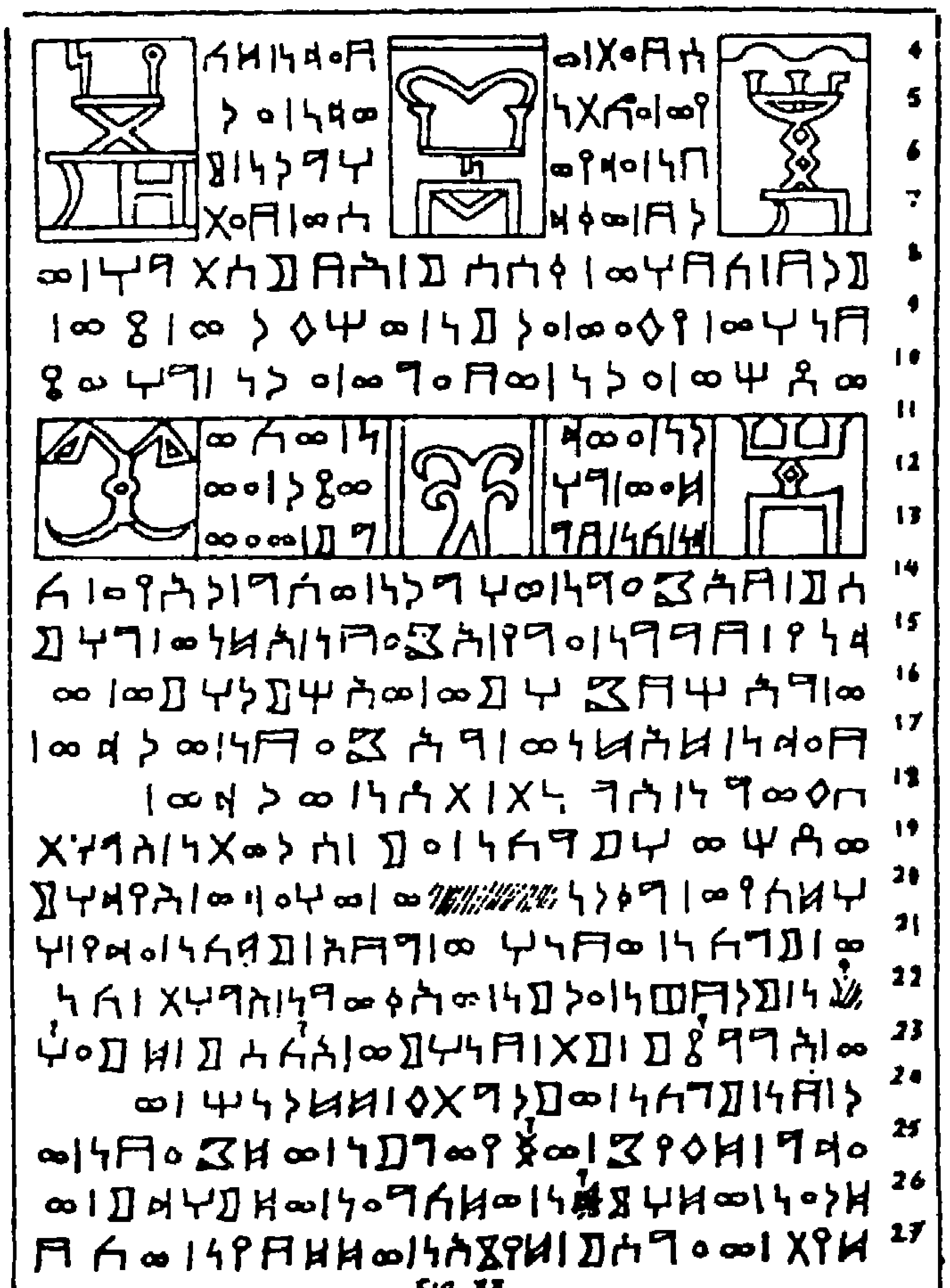

FIG. 33

نموذج من الخط المسند

الشكل رقم (١) الجبوري ، الكتابات والخطوط القديمة ، ص ٩٣

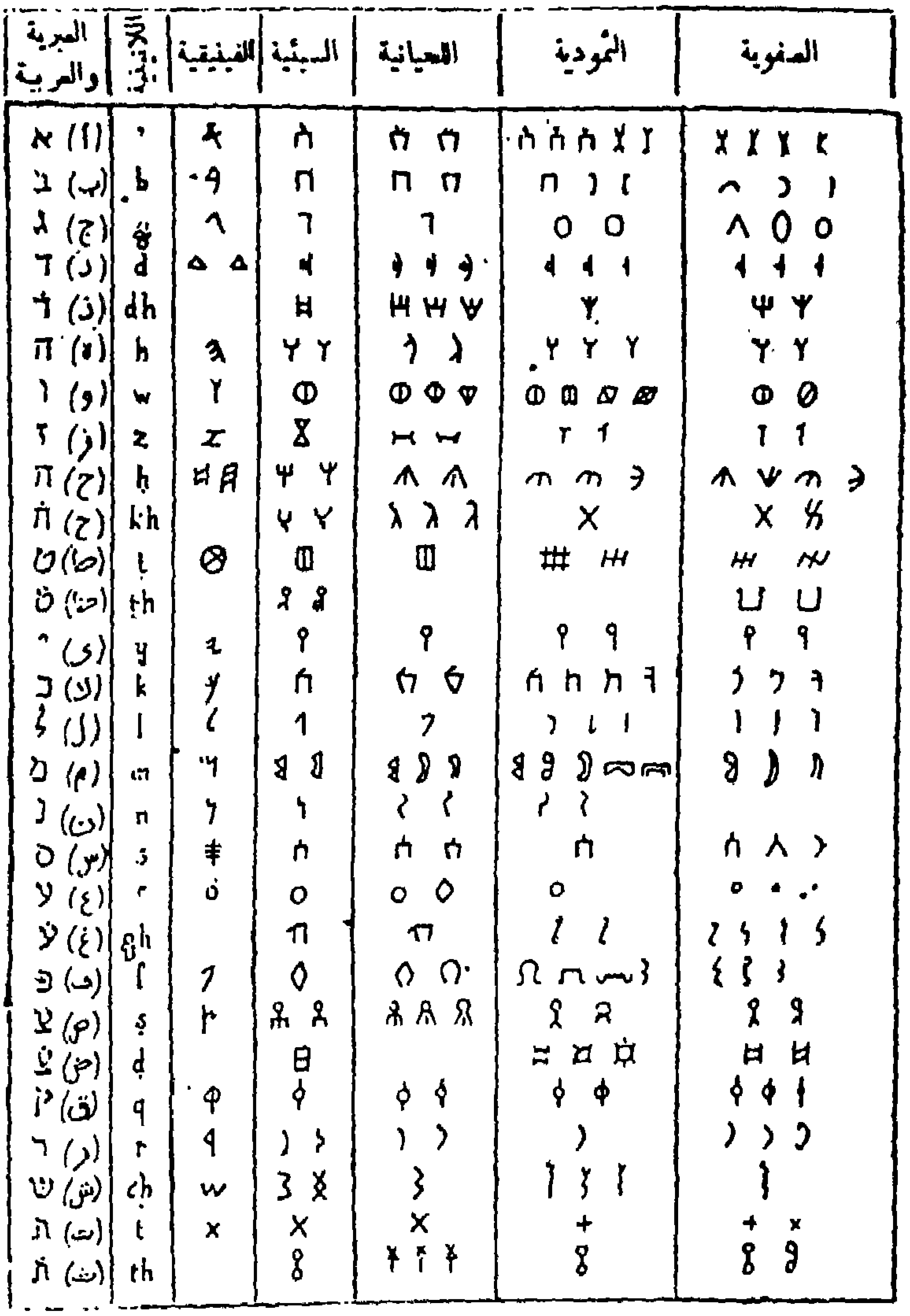

الأبجدية الفينيقية والأبجديات السامية الجنوبية

(١) Litterar. Centralblatt 1883 Col. 804-806 et Zeitschrift d. d. morgenl Gesellschaft, t. XXXVI (1882) p. 661-663 المجلة المركزية للآداب ، ١٨٨٣ ، المجموعة ٨٠٤ — ٨٠٦ ، ومجلة جمعية المستشرقين الألمانية ، ج ٣٦ (١٨٨٢) ص ٦٦١ — ٦٦٣ .

الشكل رقم (٢) رنيه ديسو ، العرب في سوريا ، ص٦١

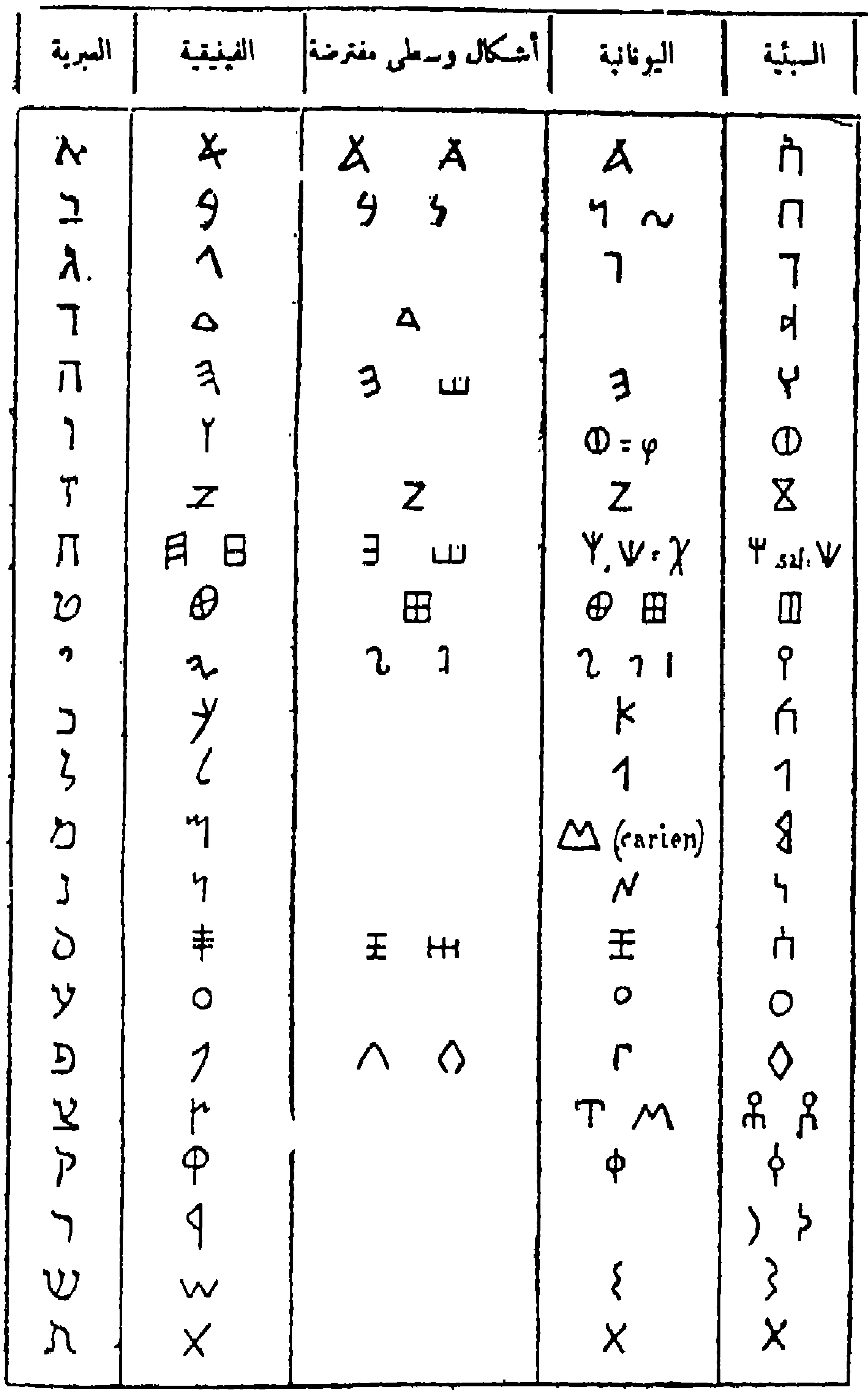

مقارنة بين الأبجديات الفينيقية واليونانية

المهجورة والسبئية

الشكل رقم (٣) رنيه ديسو ، العرب في سوريا ، ص٧٢

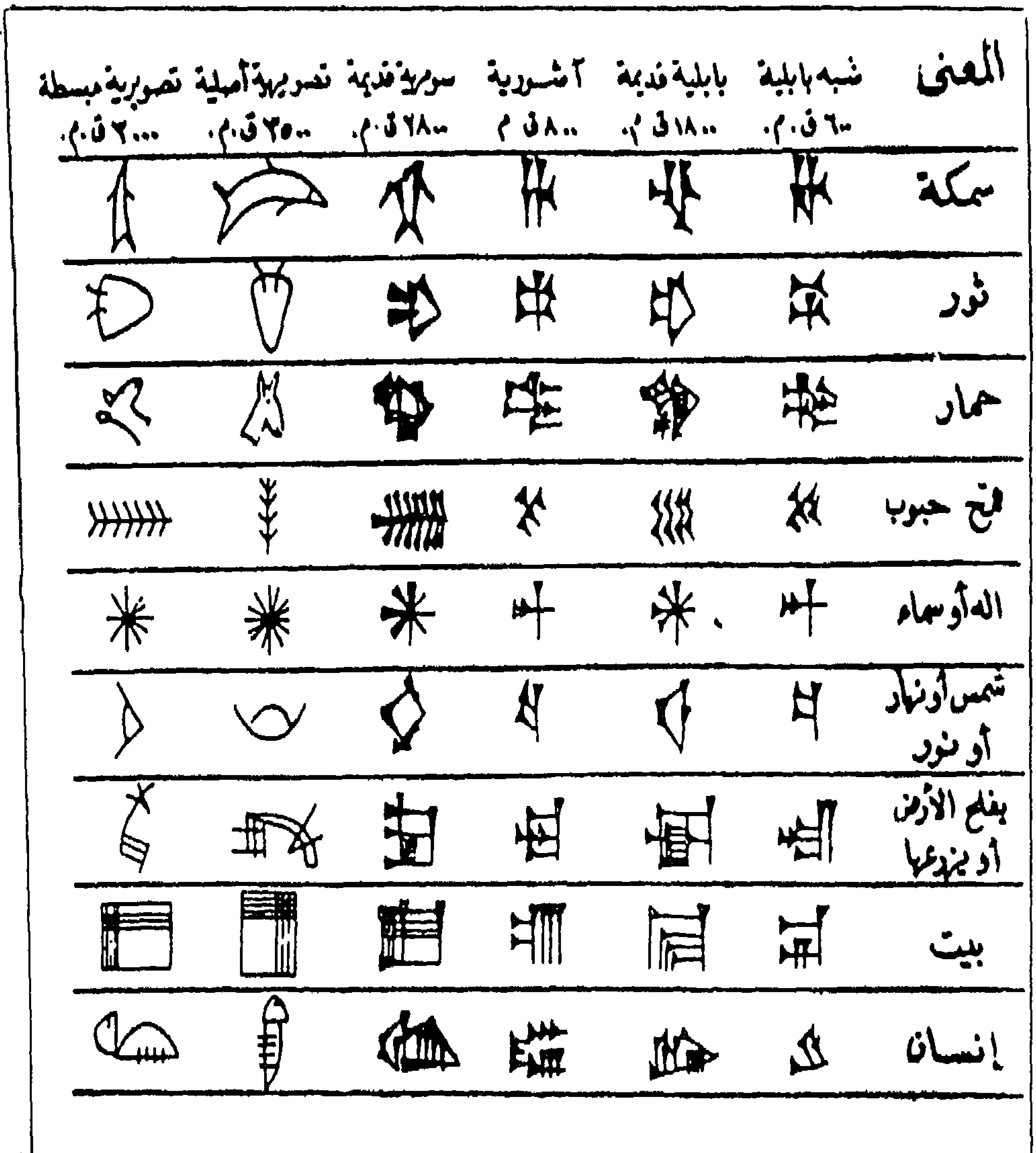

شكل يوضح تطور الصور الى حروف مسمارية بشكل متدرج .

الشكل رقم (٤) الجبوري - الكتابات والخطوط القديمة ، ص١٠٣

نماذج من القلمين النبطي المتأخر والقلم العربي القديم يمثل العمود « ١ » نماذج من الحروف العربية المستعملة في القرن الأول للهجرة ويمثل العمود « ٢ » نماذج من حروف كتابتي زبد وحران · وأما العمودان « ٣ » و « ٤ » فيمثلان نماذج من كتابة النمارة وبطرا ·

الشكل رقم (٥) المفصل، ج٨، ص١٨١

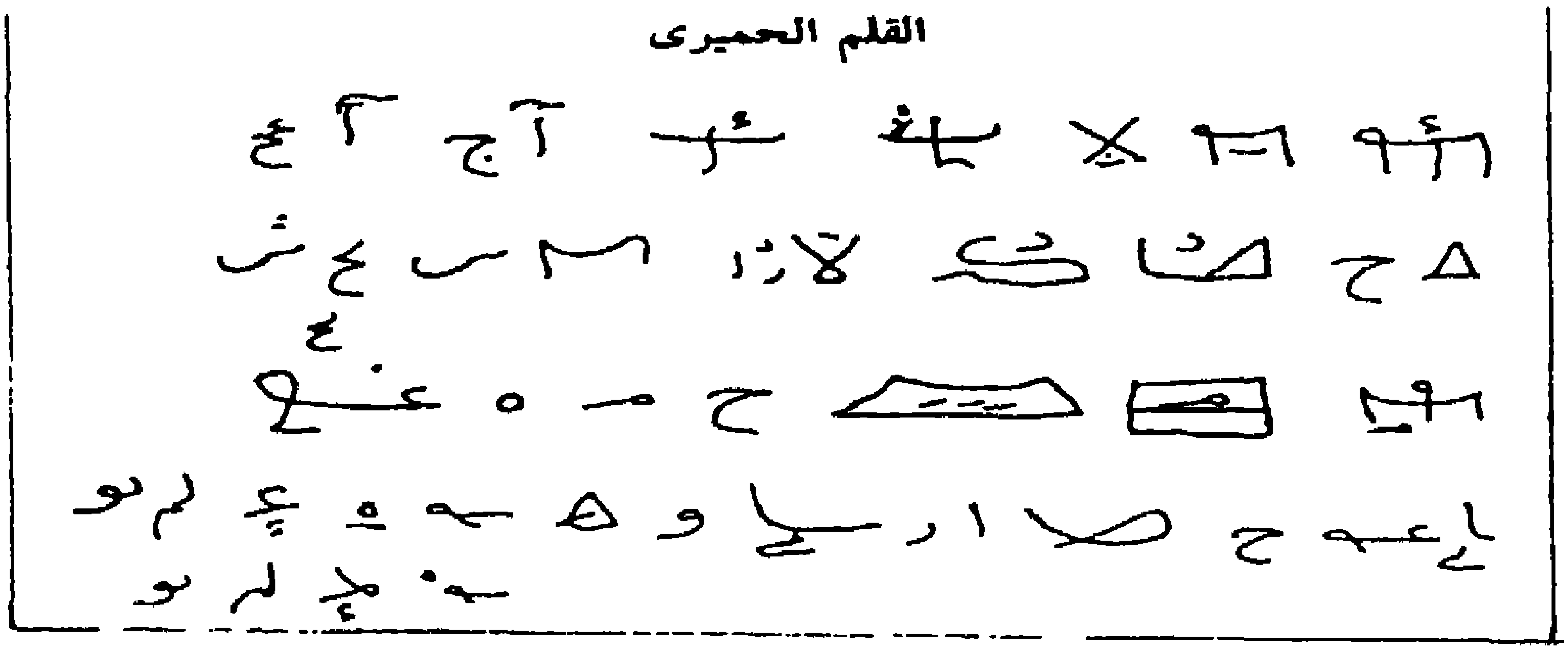

الشكل رقم (٦) الفهرست ، ص٩

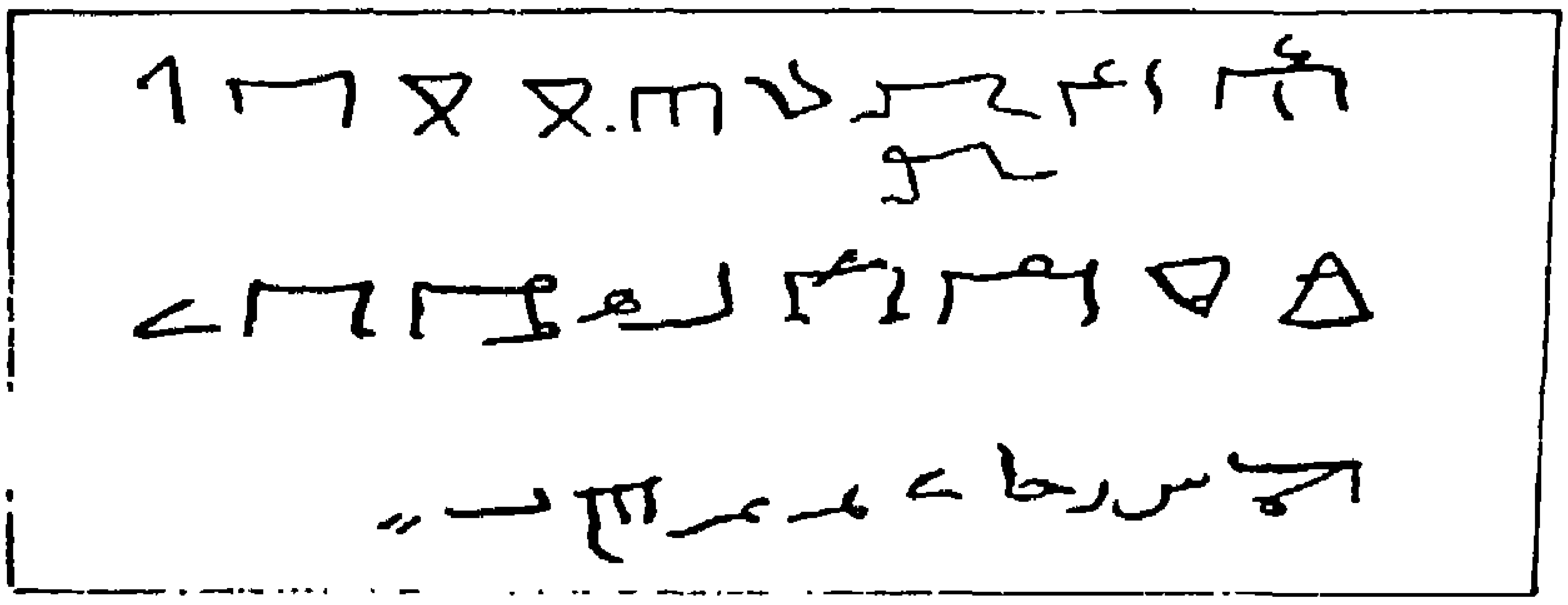

الشكل رقم (٧) القلم الحبشي – وهو كحروف الحميري . الفهرست ص٢١

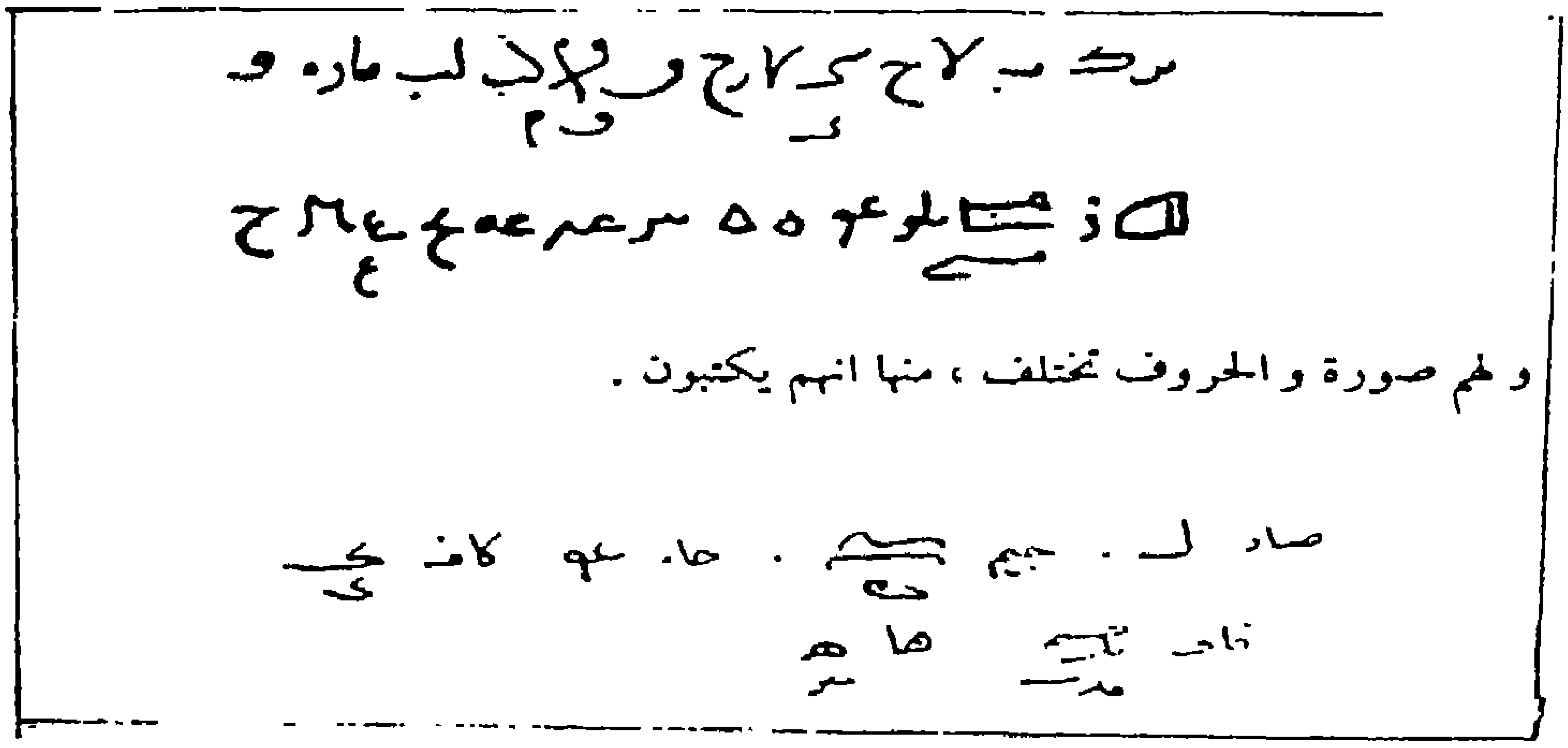

الشكل رقم (٨) القلم المناني . الفهرست ، ص١٩

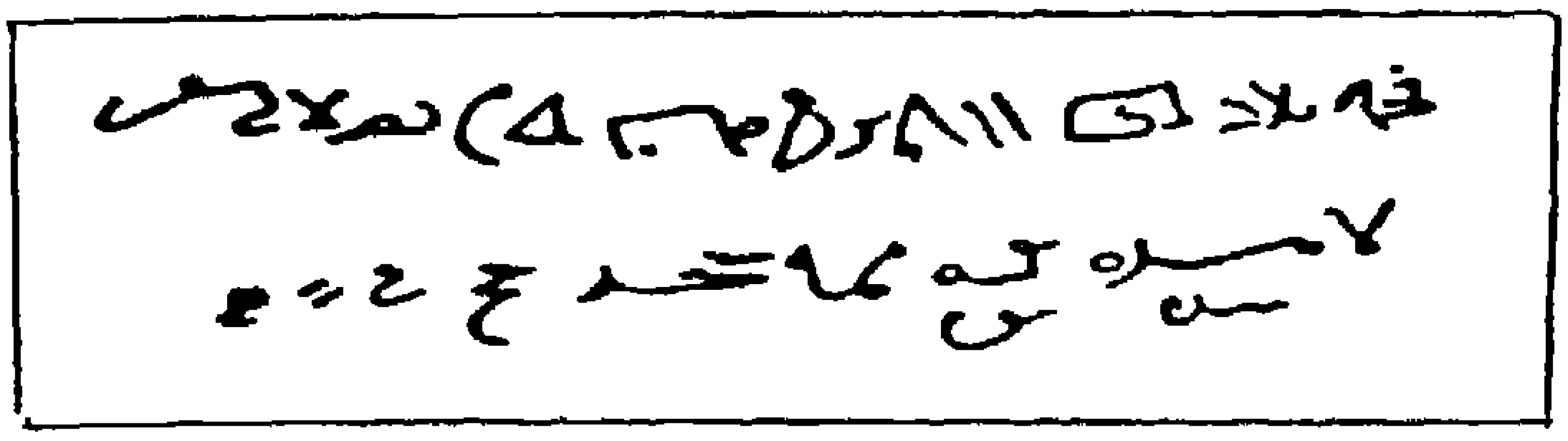

الشكل رقم (٩) من قلم الصين ، وحروفه عربية . الفهرست ، ص١٩

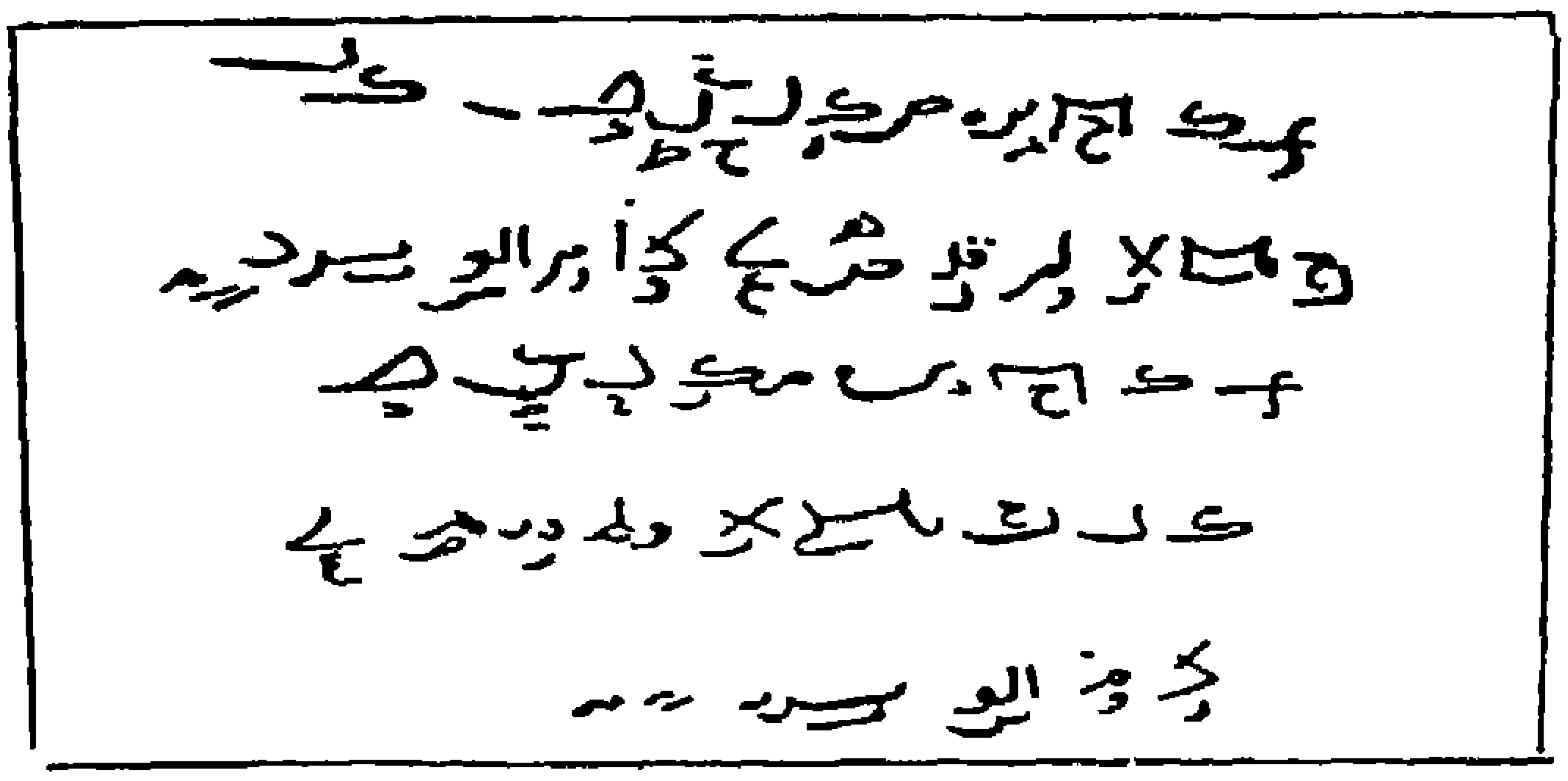

الشكل رقم (١٠) قلم الصُغد ، وحروفه عربية . الفهرست ص٢٠

الكلام على السند

هؤلاء القوم مختلفى اللغات ، مختلفى المذاهب و لهم اقلام عدة . قال لى بعض من يجول بلادهم : ان لهم نحو مائتى قلم ؛ والذى رأيت صنماً صفرا فى دار السلطان ، قيل انه صورة البدّ ؛ و هو شخص على كرسى قد عقد باحدى يديه ثلثين . وعلى الكرسى كتابة هذا مثالها : —

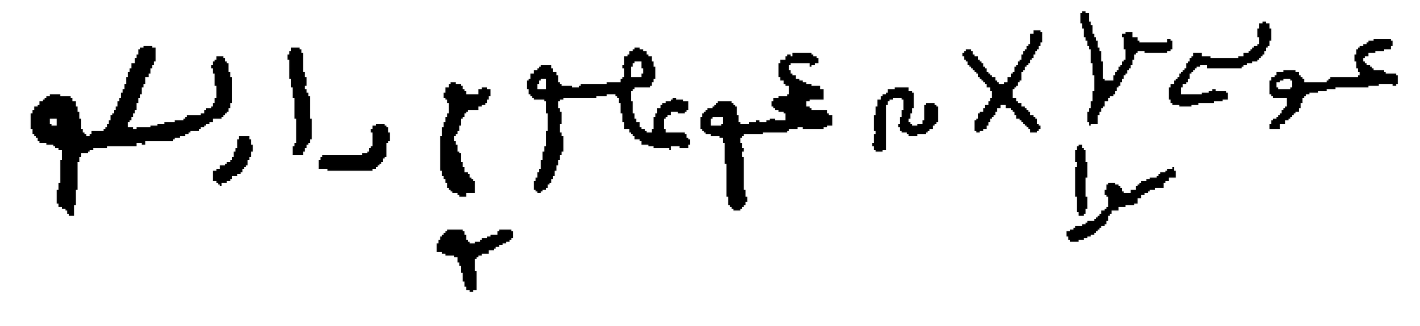

الشكل رقم (١١) الفهرست ، ص٢٠ ، وحروف القلم عربية

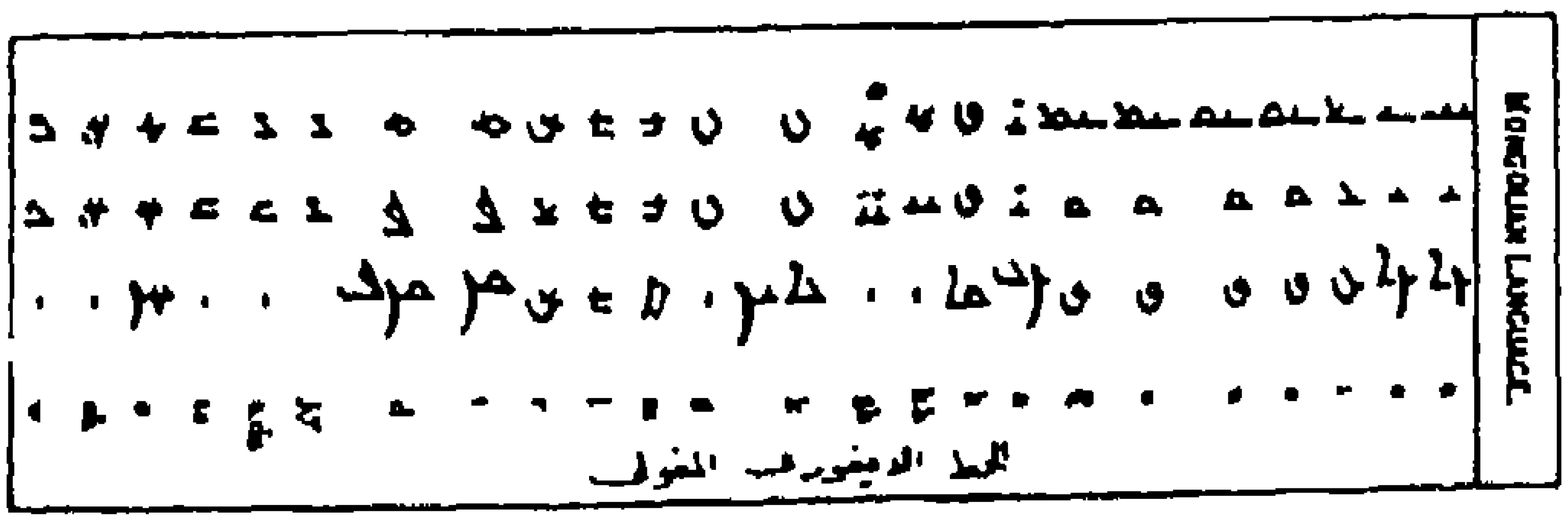

خط
ايغوري -
مغولي

الشكل رقم (١٢) الجبوري - الكتابات والخطوط القديمة

قال محمد بن اسحق : فأول الخطوط العربية ، الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي . فأما المكي والمدني : ففي الفاته تعويج الى يمنة اليد واعلا الاصابع ، وفي شكله انضجاع يسير . وهذا مثاله .

(١)

١ — زعم الدكتور جوستاف فلوجل عند طبعه لهذا الكتاب سنة ١٨٧٢ الميلادية ان هذه البسملة فاتحة لعنوان (خطوط المصاحف) فوضعها عليه بالحروف المعمولة في الطبع . و حذى حذوه الناشرون لهذا الكتاب في مصر سنة ١٣٤٨ الهجرية . ولقد ابان عن هذه الهفوة ، الاستاذ السيد مجتبى مينوى ، في المقالة التي نشرها باللغة الانجليزية حول الخطوط الاسلامية العربية ، في الكتاب المسمى : A Survey on the Persian art. vol. 2. P. P. 1715 تأليف بوب الامريكي في اربع مجلدات.

الشكل رقم (١٣) الفهرست ، ص٩ . والتعليق للمحقق

قلم الغُبار

سُمّي بذلك لدقته ، كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته كما يضعف عن رؤية الشيء عند تَوَرَانِ الغُبار وتغطيته له ، وهو الذي يكتب به في القطع الصغير من ورق الطير وغيره .

وبه تكتب بطائق الحمام التي تحمل على أجنحتها في ورق الطير . و بعضهم يسميه قلم الجناح لذلك ، وهو قلم ضئيل مولّد من الرقاع والنسخ ، مفتّح المُقَد من غير ترويس فيه ، وينبغي أن تكون قَطّته مائلة إلى التدوير لتفترعه عن الرقاع والنسخ .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

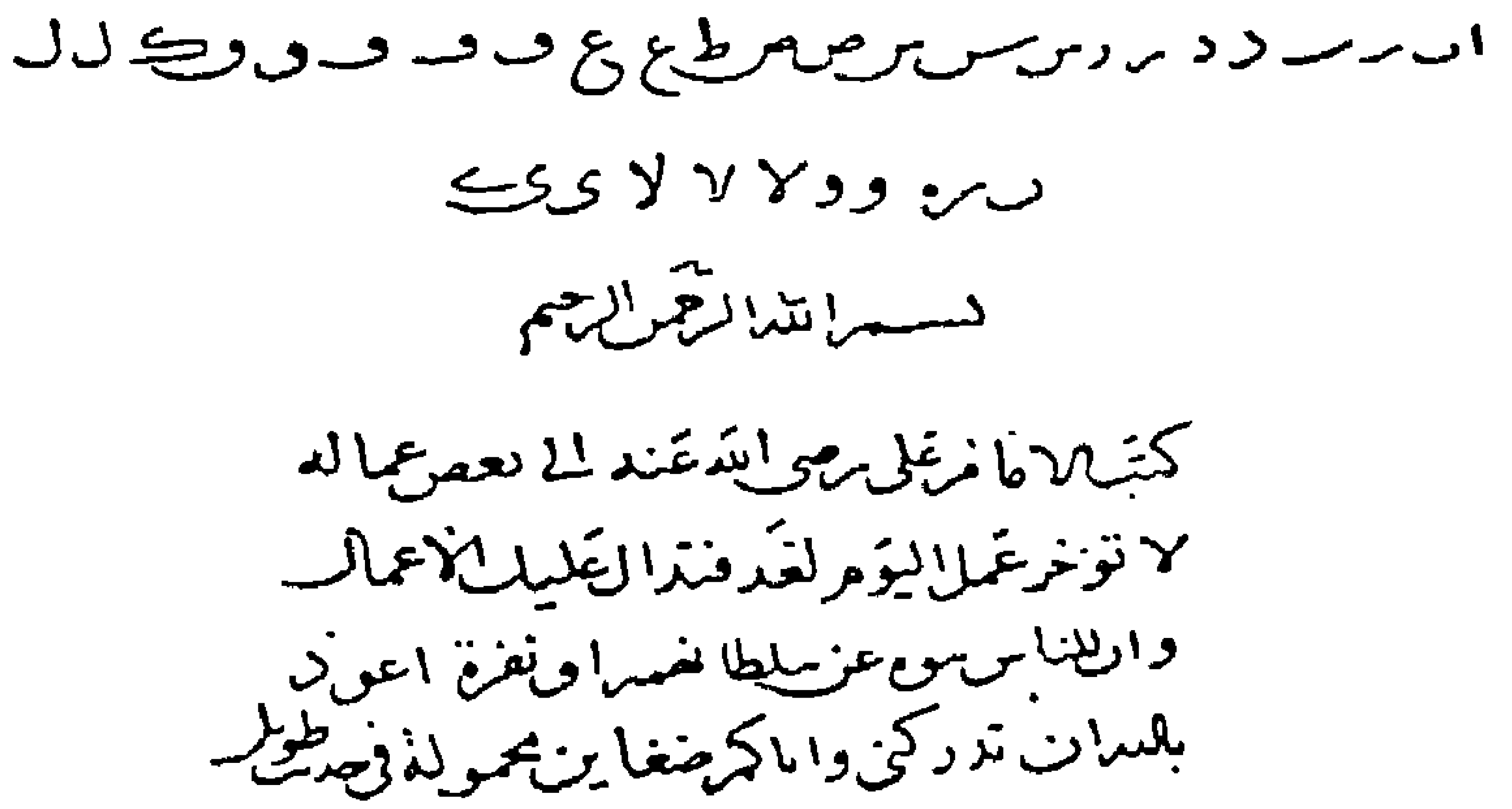

الشكل رقم (١٤) صبح الأعشى ، ج٣ ، ص١٢٨

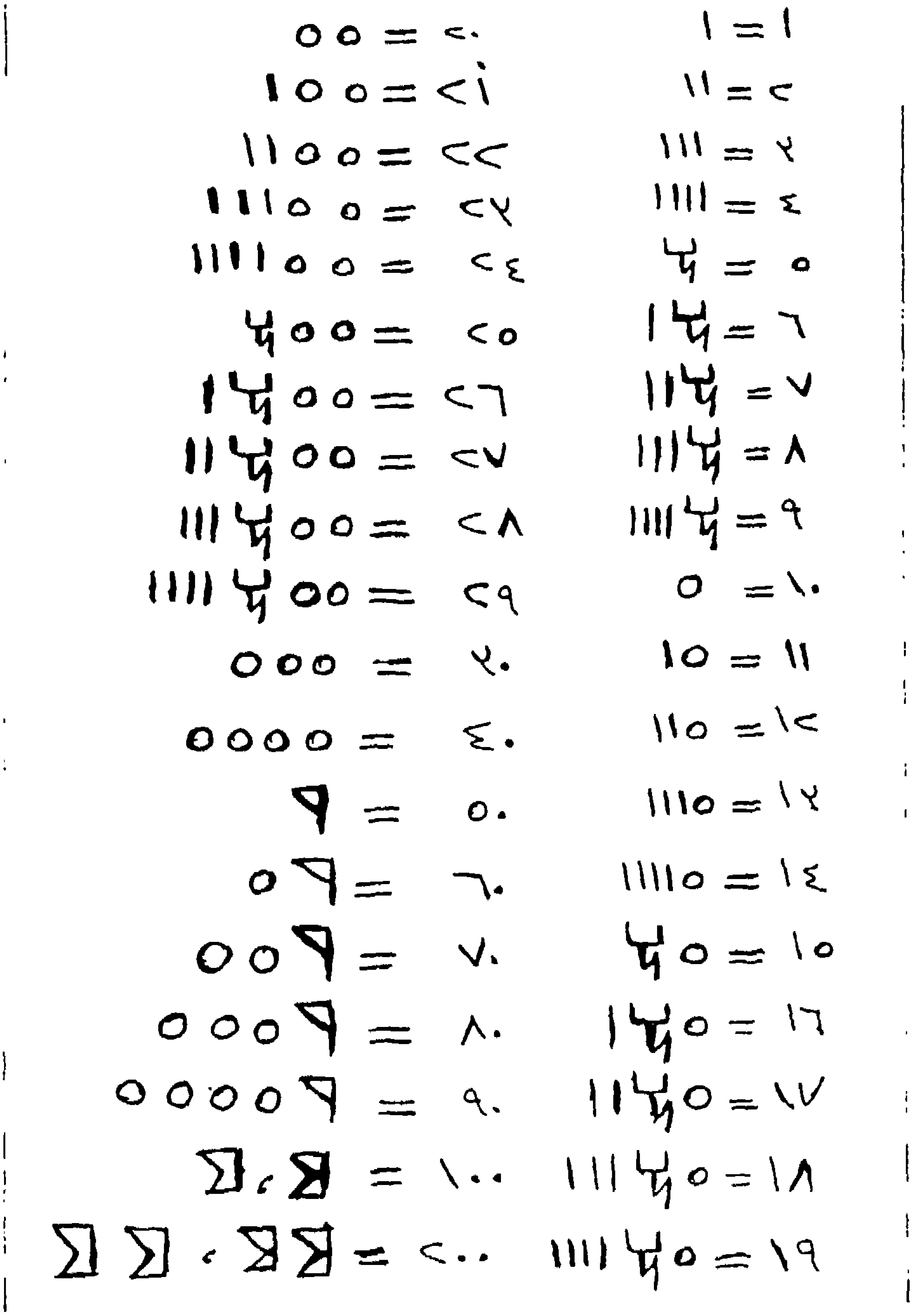

الأرقام الحميرية «المسند»

الشكل رقم (١٥) المفصل ج٨ ، ص٢٢٧

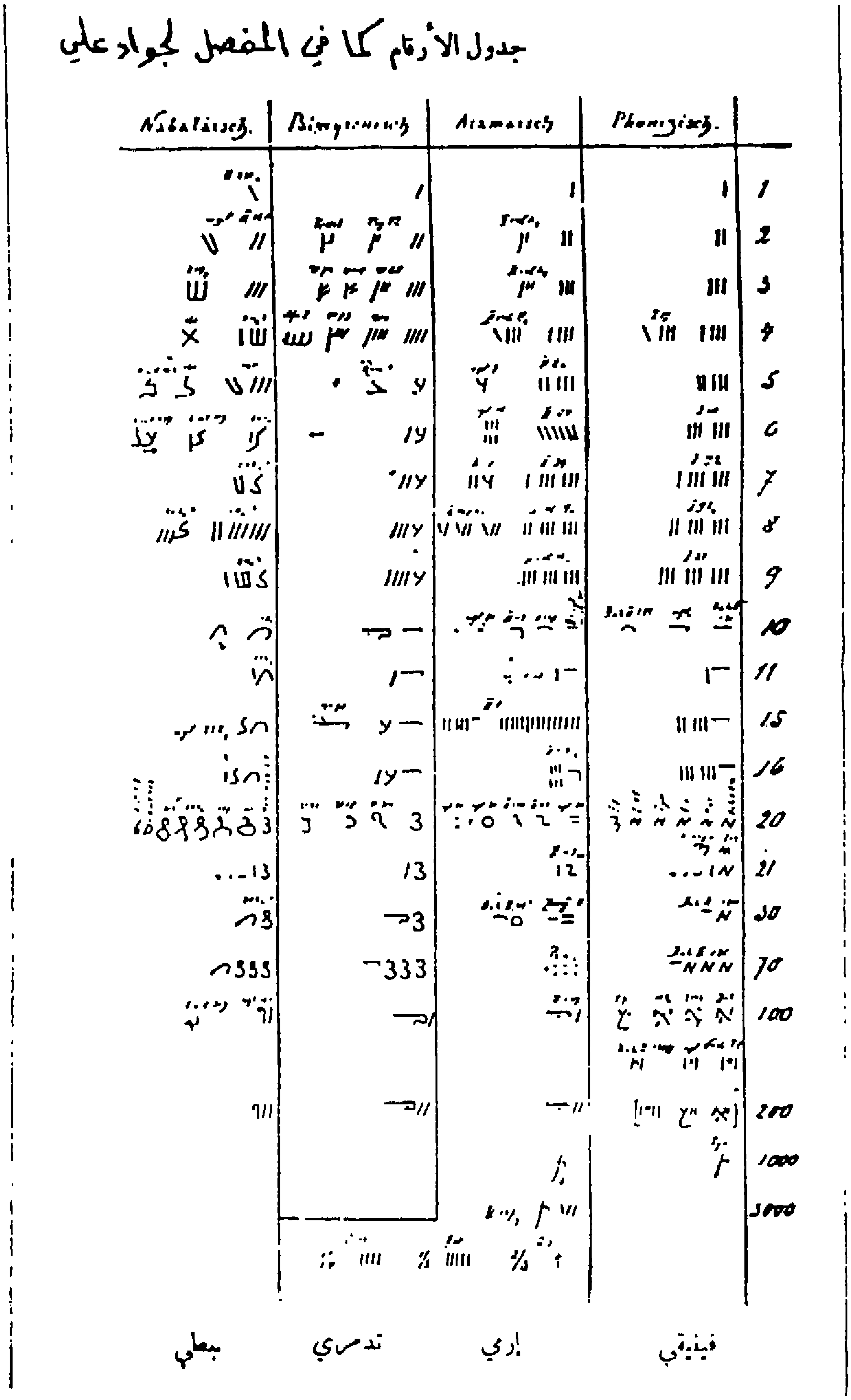

الشكل رقم (١٦) المفصل ج٨ ، ص٢٤٦

١ أرقام زمن هارون الرشيد حسب رأي سميث وغينزبيرغ . وكتبت من اليسار إلى اليمين حسب القلم الإفرنجي .

٢ - أرقام من معادلة حسابية للخوارزمي المتوفى سنة ٢٣٦هـ - ٨٥٠م :

٣ - الأرقام الواردة بمخطوطة لأبي بكر ابن وحشية الكلداني النبطي المتوفى سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٩م :

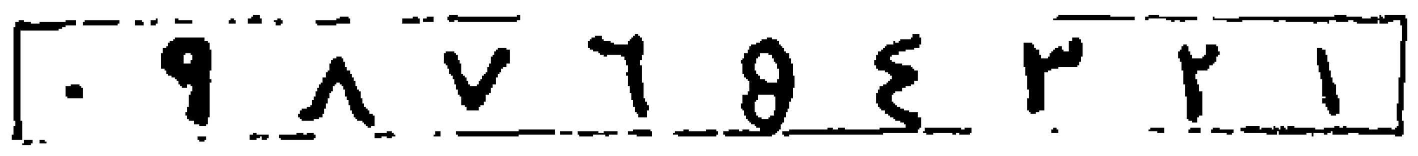

٤ - الأرقام كما أوردها أحمد الإقليدسي الدمشقي ، المتوفى سنة ٣٤١هـ في كتابه «الفصول» : وانظر كيف رسم الصفر .

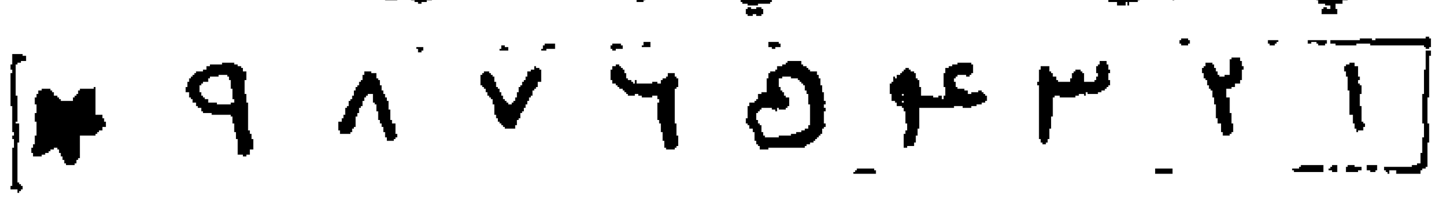

٥ - الأرقام كما رسمها أبو كامل شجاع بن أسلم المغربي المصري ، المتوفى سنة ٣٤٤هـ . في كتابه . طرائف الحساب

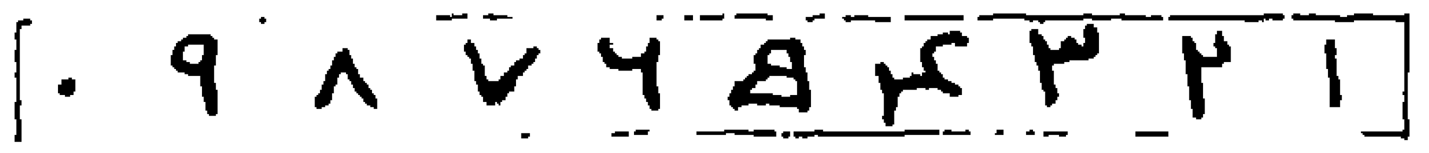

٦ - أرقام أوردها ابن اللبان ، المتوفى سنة ٣٥٠هـ في كتابه · حساب الهند :

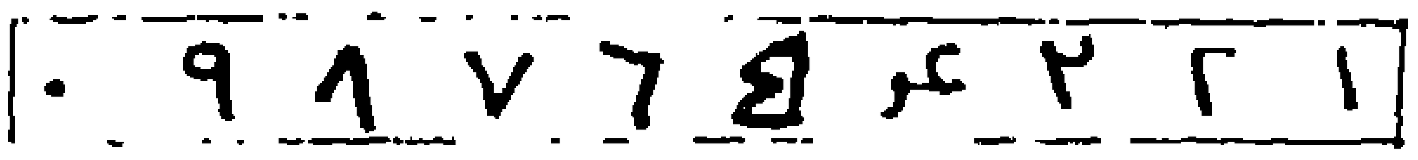

٧ - الحروف التي أوردها أبو الفرج النديم المتوفى سنة ٣٨٠هـ في كتابه : الفهرست :

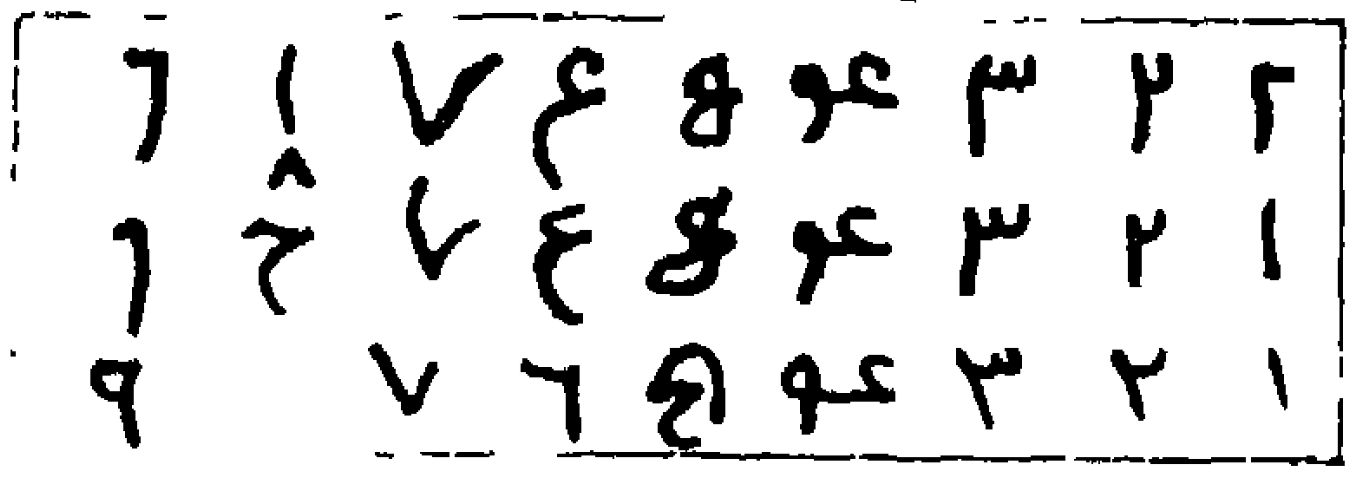

٨ - الأرقام كما أوردها أبو الريحان البيروني ، المتوفى سنة ٤٤٠هـ في كتاب الآثار الباقية :

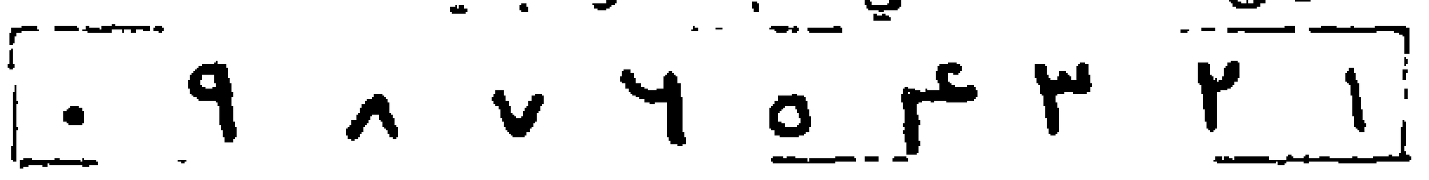

٩ - أرقام وردت في الباهر في علم الحساب ، من القرن السادس للهجرة (عالم الكتب/ المجلد التاسع عشر العددان الخامس والسادس :

١٠- أرقام أوردها ابن الياسمين ، المراكشي المتوفى سنة ٦٠١هـ ، سماها : أشكال الغبار :

١١- أرقام نقلها القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ عن ابن الدريهم الموصلي المتوفى سنة ٧٦٢هـ :

الشكل رقم (١٧) الأرقام العربية الحديثة عبر القرون

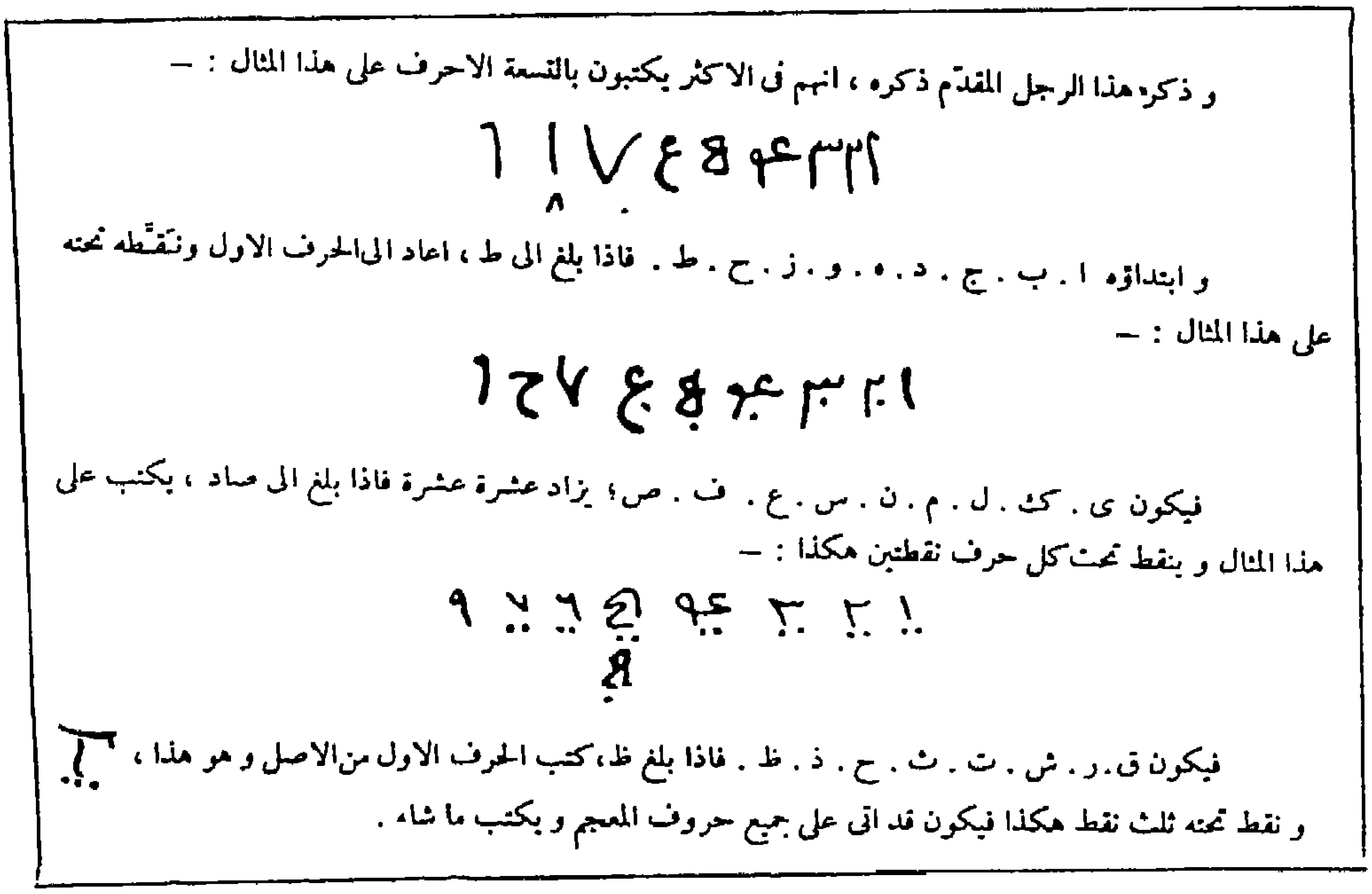
و ذكر هذا الرجل المقدّم ذكره ، انهم في الاكثر يكتبون بالتسعة الاحرف على هذا المثال : —

و ابتداؤه ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح . ط . فاذا بلغ الى ط ، اعاد الى الحرف الاول ونقّطه تحته على هذا المثال : —

فيكون ى . ك . ل . م . ن . س . ع . ف . ص ، يزاد عشرة عشرة فاذا بلغ الى صاد ، يكتب على هذا المثال و ينقط تحت كل حرف نقطتين هكذا : —

فيكون ق . ر . ش . ت . ث . خ . ذ . ظ . فاذا بلغ ظ ، كتب الحرف الاول من الاصل و هو هذا ، و نقط تحته ثلث نقط هكذا فيكون قد اتى على جميع حروف المعجم و يكتب ما شاء .

الشكل رقم (١٨) نظام العد عند العرب – النديم ، الفهرست ، ص٢٠
وانظر كيف يضع الصفر في العشرات والمئات والألف
وذكر أنه نقلها برواية رجل ، من قلم السند . وحروفها كما يرى عربية مما يعني أنه ترجمها

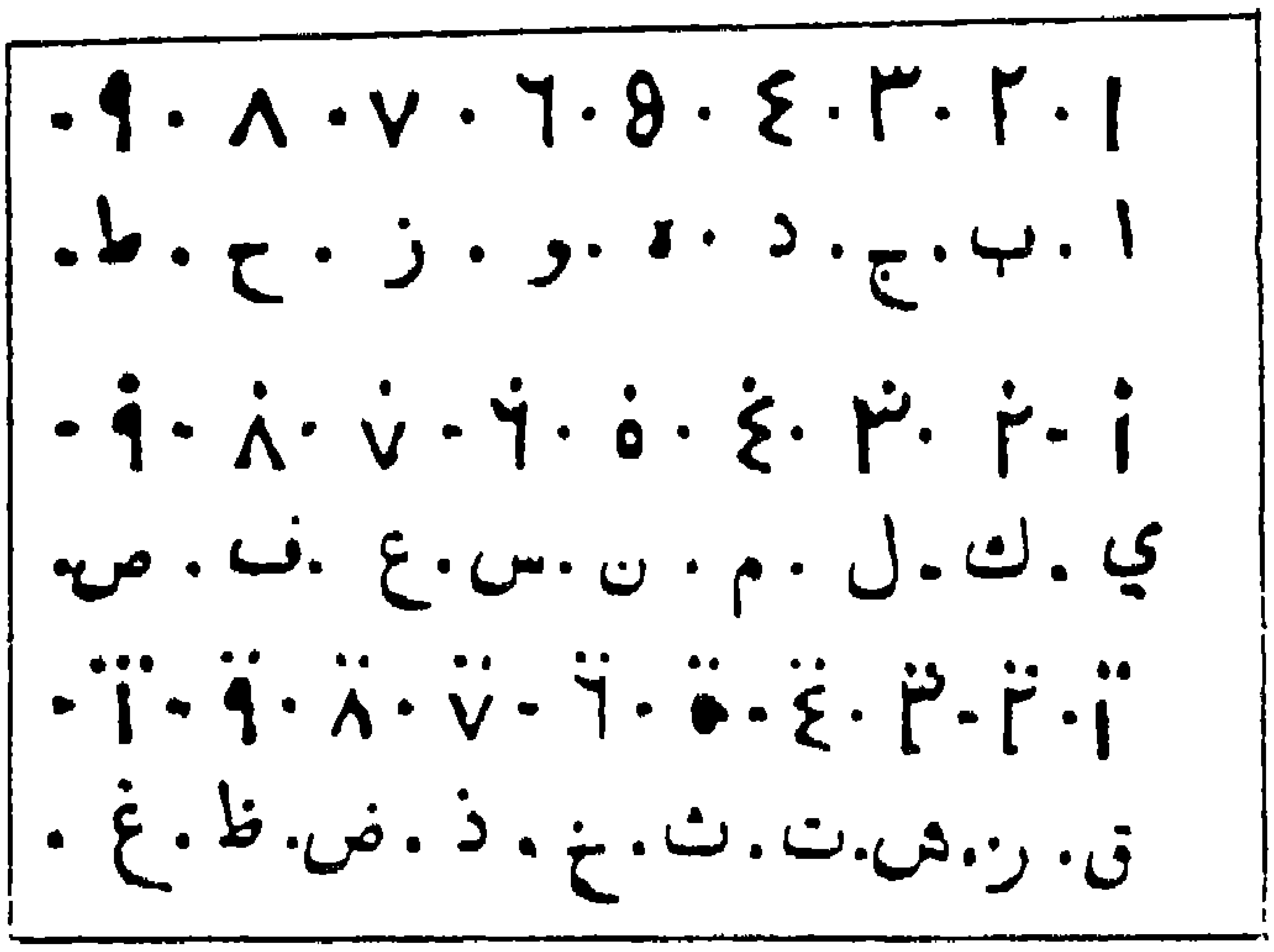

الشكل رقم (١٩) نظام العد عند العرب كما أوردها
ابن وحشية النبطي ، الأرقام العربية والأرقام الإفرنجية ، ص٥٤
وانظر كيف وضع الصفر في العشرات والمئات والألف

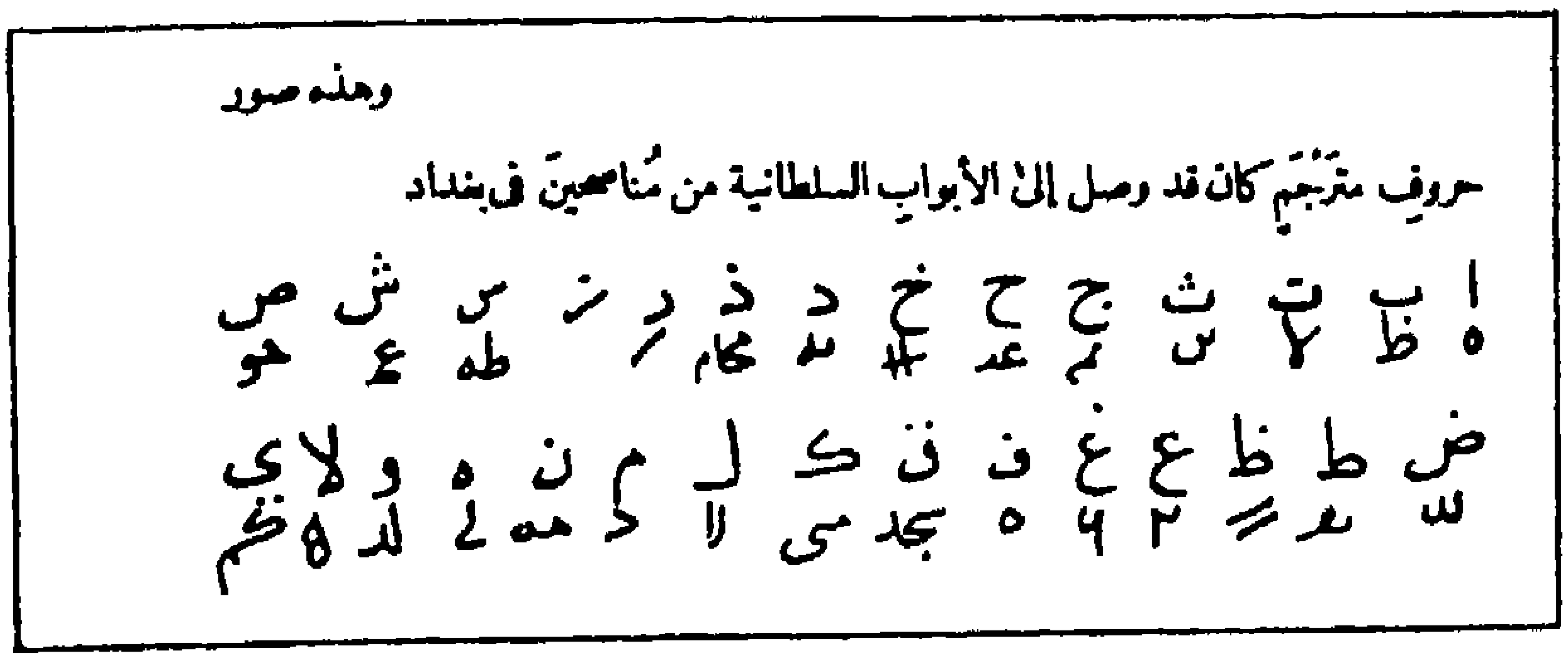

الشكل رقم (٢٠) رسالة تعمية ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٩ ، ص٢٣٣ والتعليق له

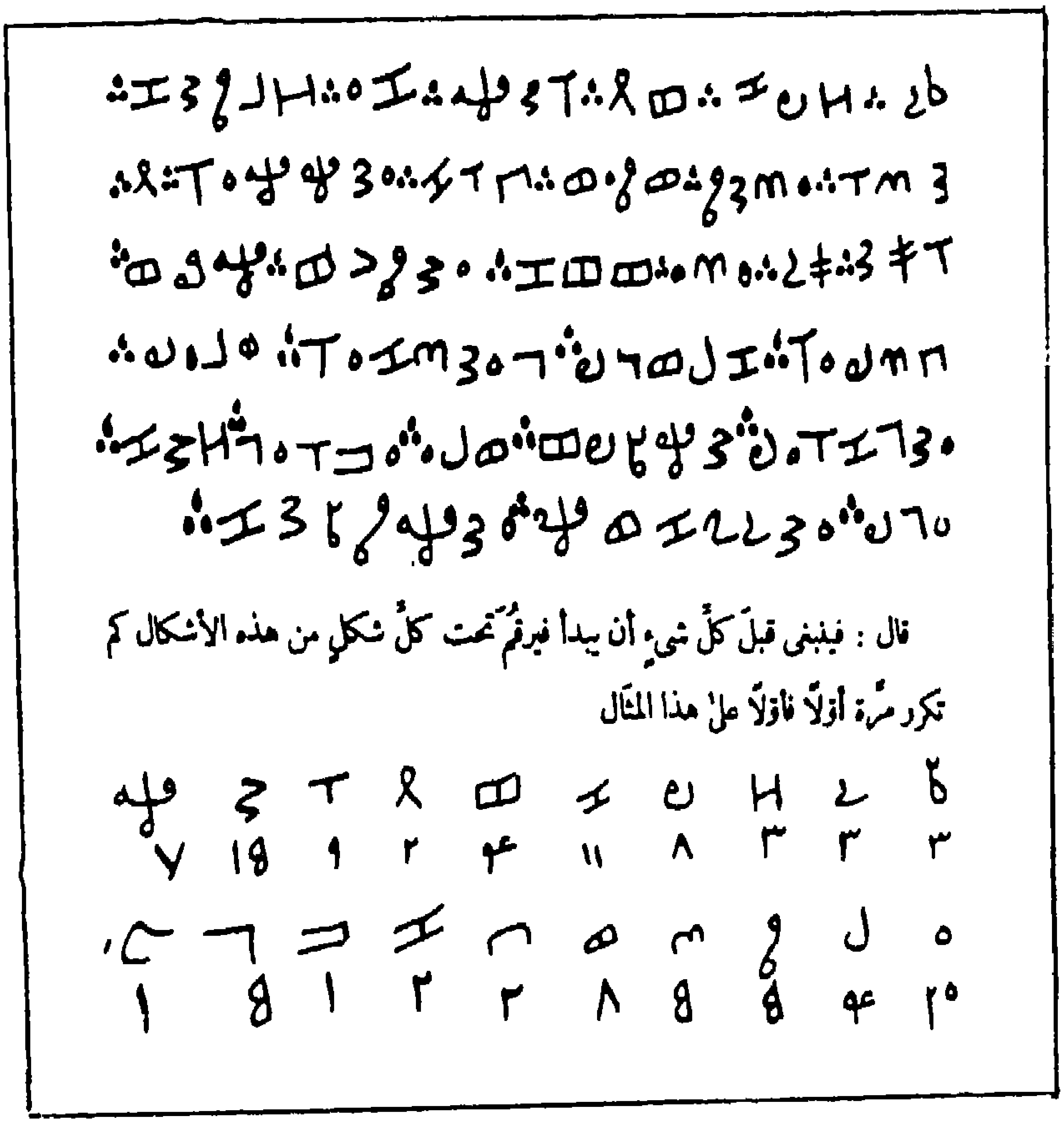

الشكل رقم (٢١) رسالة تعمية ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٩ ، ص٢٤٠
نقلاً عن ابن الدريهم الموصلي

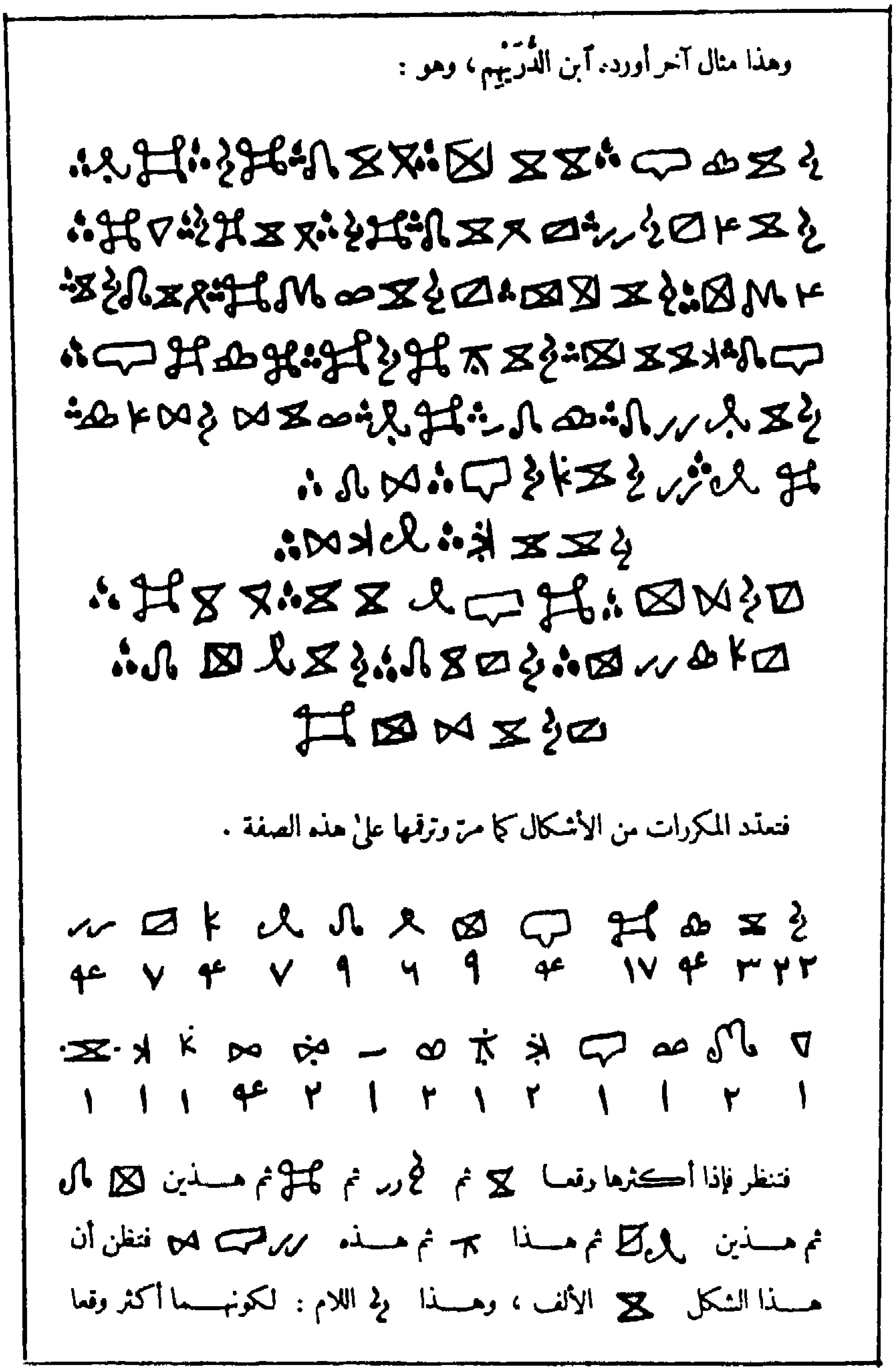

الشكل رقم (٢٢) رسالة تعمية ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٩ ، ص٢٤٥
وكان الغرض من إيراد رسائل التعمية هذه هو التزام الأول بقانون خط الأرقام

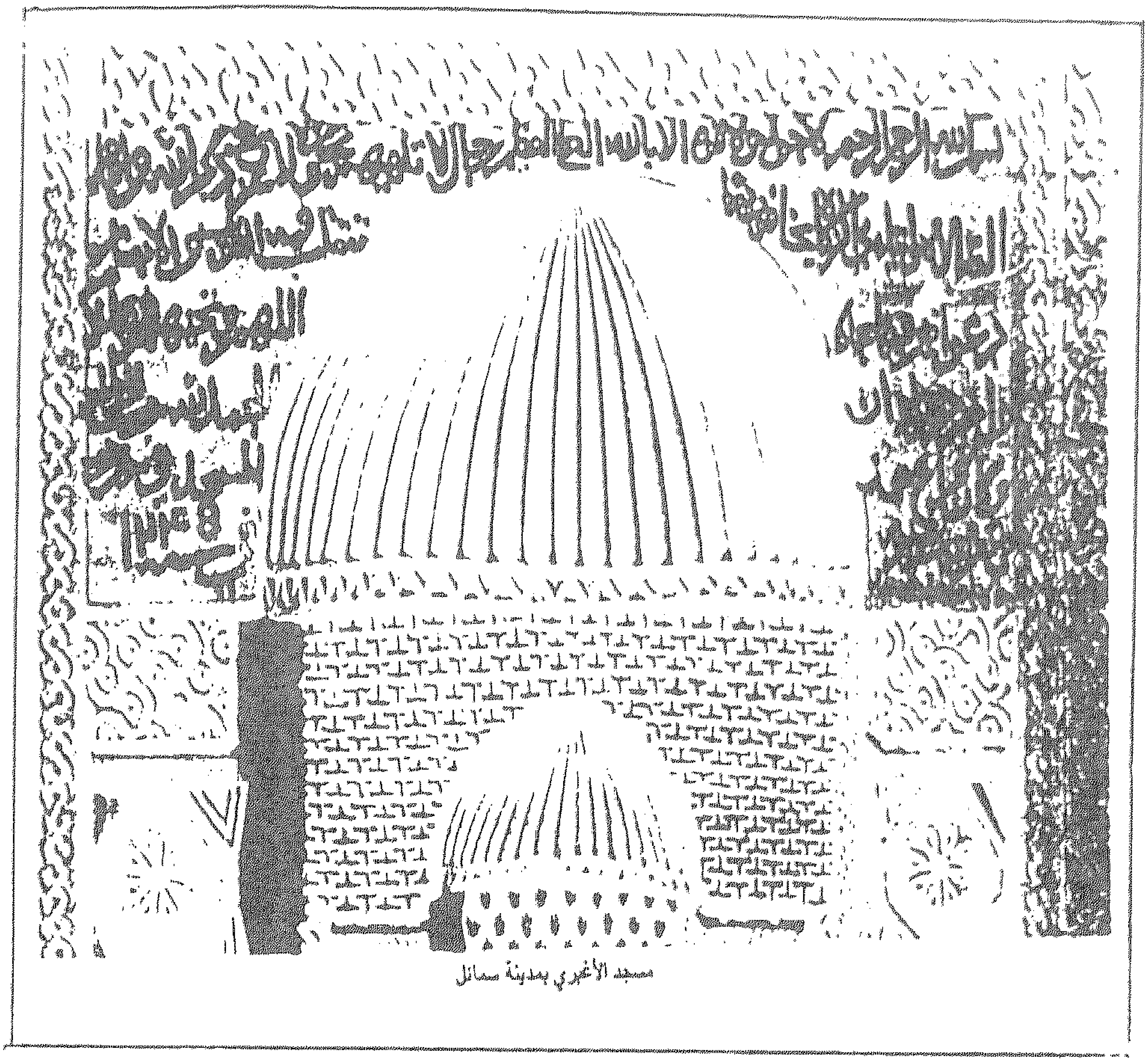

الشكل رقم (٢٣) إبراهيم الهدلق ، الكتابات في المساجد العمانية القديمة
مجلة الفيصل ، العدد ٢٧٠
وانظر إلى تاريخ الكتابة سنة ١٢٤٥هـ حيث كتبت الأرقام على خطوط القرن الرابع الهجري وما قبله مما يدل على العناية بقانون الخط

١ - يشير ول ديورانت إلى أنه ورد ما يشبه الأرقام 6 .4 .1 في القرن الثالث قبل الميلاد منقوشة على «صخرة المراسيم» التي خلفها أشوكا الهندي . وفي القرن الأول وربما الثاني الميلادي وردت أشكال الأرقام من نوع 9 .7 .6 .5 .4 .3 .2

٢ - رموز هندية قديمة (عالم الكتب ، المجلد ١٩ ، العددان الخامس والسادس) :

أ - حوالي العام ٢٠٠ق.م

ب - حوالي العام ١٠٠ق.م

ج - حوالي العام ٢٠٠م .

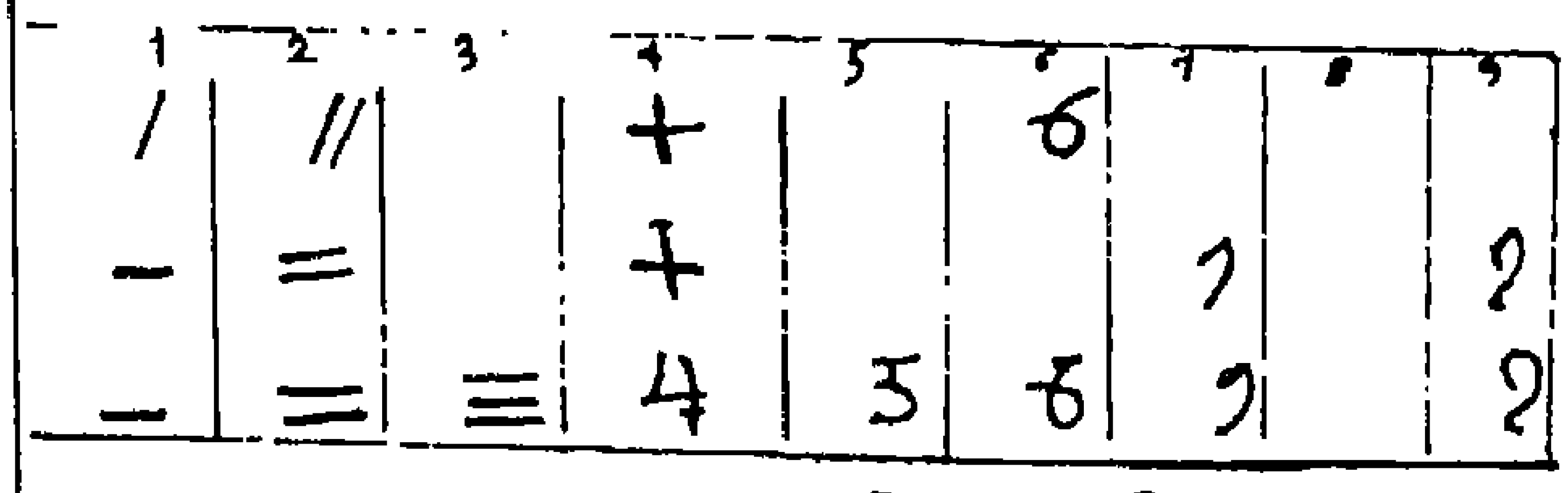

٣ - رقم هندي جوليار قديم ←

٤ - رقم براهمي قديم ←

٥ - الأرقام الهندية في القرن الثاني الميلادي حسب تاتون

٦ - الأرقام السنسكريتية ، القرن السادس الميلادي

٧ - أرقام الجوبار ، القرن التاسع حسب تاتون

٨ - أرقام حسب مخطوط إسباني يرجع تاريخه إلى سنة ٩٧٦م - ٣٦٦هـ (عالم الكتب / المجلد التاسع عشر ، العددان الخامس والسادس)

٩ - أرقام منذ القرن الحادي عشر

١٠- أرقام فرنسية ، القرن ١٢ حسب تاتون

١١- ارقام منذ القرن الخامس عشر

١٢- أرقام قوطية ، القرن ١٥ حسب تاتون

ووردت رسوم هذه الأرقام عند الحسابيين المسلمين بالرسم

أ - ابن الياسمين المتوفى سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م

ب - ابن البناء المتوفى سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م

ج - ابن الهيثم المتوفى سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م .

د - الحبال المتوفى سنة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م .

هـ - السخاوي المتوفى سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩٢م :

وقد وردت في الموسوعات الأجنبية هكذا

وأما الأرقام السنسكريتية - الإفرنجية الحديثة فهي

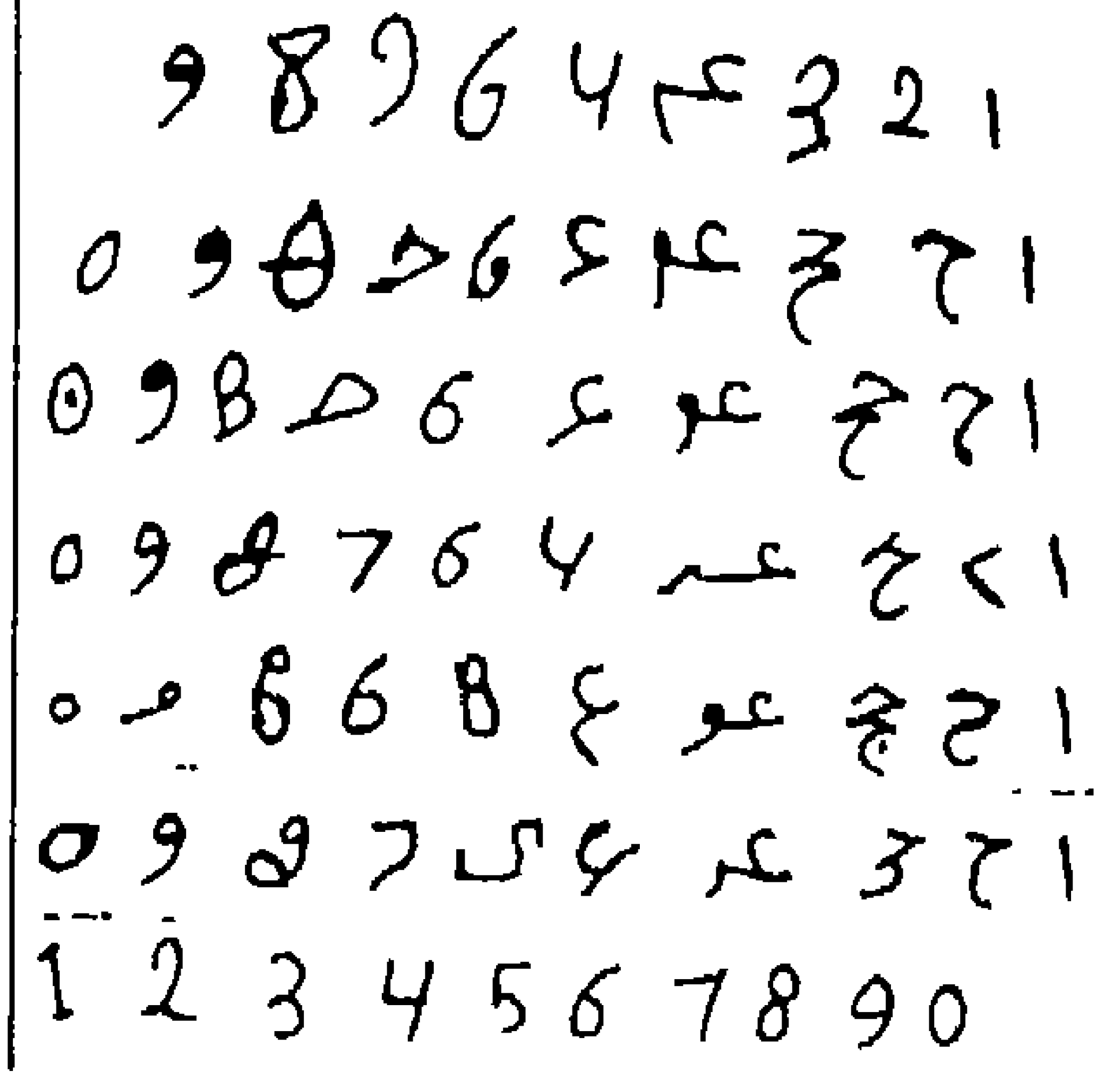

الشكل رقم(٢٤) الأرقام الإفرنجية - السنسكريتية منذ بداياتها

الهوامش

* الوجوه التي ذكرها هي ما سبق بعاليه

** لعل هنالك تصحيفاً طباعياً في صحة نوفير بن فوط. كما ورد لدى المسعودي وقد يكون الصحيح: توقير بن قوط بالنقط المثناة .

(١) **لسان العرب** : سما

(٢) **العقد الفريد** ، ج٤ ، ص٢١١. ابن عبدربه ، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٣) **صبح الأعشى** ، ج ٣ ، ص٧ . القلقشندي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .

(٤) **العقد الفريد** ، ج٤ ، ص٢١٢ .

(٥) نفسه .

(٦) **صبح الأعشى** ، ج٣ ، ص١٠ .

(٧) **انتشار الخط العربي** ، ص١١٥ . عبدالفتاح عبادة، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط٢ .

(٨) **الكتابات والخطوط القديمة** ، ص٣٠ ، تركي الجبوري ، بغداد ، ١٤٠٤هـ .

(٩) نفسه ، ص ٨٦ .

(١٠) نفسه .

(١١) نفسه ، ص٨٥ .

(١٢) نفسه ص٩٠ .

(١٣) نفسه .

(١٤) **العرب في سوريا** ، ص٦٤ . رنيه ديسو ، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي الدار القومية بمصر (د . ت).

(١٥) نفسه ، ص٦٦ .

(١٦) نفسه ، ص٨٠ .

(١٧) نفسه ، ص٨٢ .

(١٨) **الكتابات والخطوط القديمة** ، ص٣٠ .

(١٩) نفسه .

(٢٠) نفسه ، ص١٠٦ .

(٢١) **مقدمة ابن خلدون** ، ص٤٩٨ ، دار الشعب ، القاهرة (د . ت) .

(٢٢) نفسه ، ص٣٧٦ .

(٢٣) **الفهرست** ، ص٨ . لأبي الفرج النديم ، تحقيق : رضا – تجدّد ، طهران ١٣٩١هـ .

(٢٤) **مروج الذهب** ، ج٢ ، ص١٤٣ . المسعودي ، تحقيق : محمد عبدالحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ .

(٢٥) نفسه ، ص١٤٩ .

(٢٦) **العقد الفريد** ، ج٤ ، ص٢١١ .

(٢٧) نفسه ، ص٢١٢ .

(٢٨) **صبح الأعشى** ، ج٣ ، ص٩ .

(٢٩) **العقد الفريد** ، ج٤ ، ص٢١٢ .

(٣٠) **صبح الأعشى** ، ج٣ ، ص٨ .

(٣١) **الفهرست** ، ص٩ .

(٣٢) حاشية ، ص٨٤ ، **ديوان عمرو بن قميئة** ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات ١٣٨٥هـ.

(٣٣) **لسان العرب** : خطط .

(٣٤) **صبح الأعشى** ، ج٣ ، ص١١ .

(٣٥) نفسه .

(٣٦) **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ص٣٢٧ ، للقزويني ،

بيروت ١٣٨٠هـ .

(٣٧) **صبح الأعشى** ، ج٣ ، ص١٤ .

(٣٨) **مقدمة ابن خلدون** .

(٣٩) **صبح الأعشى** ، ج٣ ، ص١٨ .

(٤٠) **آثار البلاد** ، ص٣٢٧ .

(٤١) **الفهرست** ، ص٢١ .

(٤٢) نفسه .

(٤٣) نفسه ، ص١٨ .

(٤٤) نفسه ، ص١٩ .

(٤٥) نفسه ، ص٢٠ .

(٤٦) نفسه .

(٤٧) **الكتابات والخطوط القديمة** ، ص٨٦ .

(٤٨) نفسه ، ص١١٢ .

(٤٩) **انتشار الخط العربي** ، ص١١٥ .

(٥٠) **معرب القرآن عربي أصيل** ، ص١٥ ، جاسر أبو صفية ، ط١ ، الرياض ، دار أجا ، ١٤٢٠هـ .

(٥١) نفسه .

(٥٢) نفسه .

(٥٣) نفسه .

(٥٤) **مروج الذهب** ، ج٢ ، ص١٤٤ .

(٥٥) **آثار البلاد** ، ص١٢٧ .

(٥٦) **تاريخ الطبري** ، ج١ ، ص٢٠٧ . محمد بن جرير، تحقيق: محمد أبو الفضل ، دار المعارف بمصر. ط٤.

(٥٧) **لسان العرب** : جمل - عدد .

(٥٨) نفسه : رقم

(٥٩) **الأرقام العربية والأرقام الافرنجية** ، ص٤٧ . مزاع بن عيد الشمري . ط١ ، الرياض ١٤١٨هـ، دار أجا .

(٦٠) نفسه ، ص٤٩ .

(٦١) **مقدمة ابن خلدون** ، ص٣٧٩ وما بعدها .

ومن المراجع أيضاً :

١ - **من آفاق الخط العربي** ، باسم ذنون ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٠م .

٢ - **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، جواد علي. ط٢ ، ١٩٧٦م .

٣ - **كنوز المتحف العراقي** ، فرج بصمه جي ، مديرية الآثار ، بغداد ١٩٧٢م .

٤ - **الحضر مدينة الشمس** ، فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، مديرية الآثار ، بغداد ١٩٧٤م .

٥ - **العرب على حدود بيزنطة وإيران** ، نينافكتورفنا ، ترجمة : صلاح الدين عثمان ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٤٠٥هـ .

٦ - **اللغة العربية أصل اللغات كلها** ، عبدالرحمن أحمد البوريني ، دار الحسن ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٤١٩هـ.

٧ - **مجلة عالم الكتب** ، عدد خاص عن الرقم العربي ، العددان ٥ و٦ ، المجلد التاسع عشر ، رئيس التحرير : يحيى محمود "الساعاتي".

٨ - الكتابات في المساجد العمانية القديمة ، إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق ، مجلة **الفيصل** ، العدد ٢٧٠ .

العمارة اليمنية في العصور الوسطى(١) لرونالد ليوكك

ترجمة وتعليق

محمد بن عبدالرحمن الثنيان

قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

مقدمة المترجم :

حظيت الدراسات والبحوث الأثرية بمساريها المكتبي والميداني باهتمام بالغ من قبل العديد من العلماء والباحثين الغربيين منذ ولادة علم الآثار وتطوره في أمريكا وأوربا . وبنضوج المنهجية العلمية لعلم الآثار قبيل منتصف القرن الميلادي الحالي بردهات المدارس والأكاديميات الغربية المتخصصة في دراسة الحضارات القديمة للشرق الأوسط، تلقفت الجامعات العربية ، في بادئ الأمر، هذا العلم بقالبه ومحتواه الغربي ووضعته في حيز التنفيذ بخططها الدراسية الجامعية بدون إدراك واعٍ أو مسئول لأبعاده ومناحيه الثقافية . لذا نجد أن من الأخطاء الجسيمة المترتبة على اعتناق هذه المنهج الأكاديمي الغربي وتطبيقه بحذافيره في الدراسات الأثرية بالعالم العربي الإسلامي هو اللهاث المستديم واللامشروع وراء الأفكار والأطروحات والمصطلحات الآثارية الغربية، وعدم القدرة على تمحيصها التمحيص الكامل وذلك إما نتيجة حتمية للغياب شبه التام للمادة العلمية الأثرية المدونة باللغة العربية عن حضارتنا سواء قبل الإسلام أو بعده أو التكاسل وفقدان الثقة بالنفس من دخول عالم الاستكشافات الأثرية الميدانية .

هذه الصورة السلبية التي ألمت بحال علم الآثار في العالمين العربي والإسلامي تجلت بضبابيتها وهوت مندحرة بدون رجعة بعيد منتصف هذا القرن الميلادي على أثر خروج عالمنا العربي الإسلامي من ويلات المحن والتقلبات السياسية الداخلية وتحرر خارطته السياسية من أرتال المستعمر . وبنهاية هذه المرحلة التاريخية بدأت الشرايين المغذية لعلم الآثار بعالمنا ، المتمثلة بالدراسة والبحث والاستكشافات الميدانية العلمية، تدب بأطرافها الحياة معلنة للجميع وجوب عروبة هذا العلم واستحقاقه للسمة والهوية الإسلامية الدائمة .

وبالرغم من أننا نقف على أعتاب القرن الميلادي الجديد لم تزل ظاهرة المعاناة من استخدام المصطلح الأثري الأجنبي قائمة في

دراسة وتدريس علم الآثار . وهذه المعاناة ستستمر ، بدون شك ، إلى اللانهاية ما لم تتكاتف جهود الآثاريين العرب ويتصدون لها من منطلق وطني واضعين الحلول الملائمة لمقاومتها ووقف زحفها واستفحالها المرتبط جميعًا بالتطور السريع لعلم الآثار ذاته . ومن المسارات العلمية التي يجب النهوض بها مسار حركة التعريب والترجمة لعلم الآثار بمختلف فروعه . وهذا لا يعني ، بأي حال من الأحوال ، عدم النهوض بتعريب العلوم الإنسانية الأخرى وأيضًا العلوم التطبيقية البحتة .

تتركز المادة العلمية المصاغة ، في هذا المقال المترجم الذي بين أيدينا، حول البدايات الأولى للعمارة الإسلامية في بلاد اليمن، منذ عصر النبي محمد ﷺ وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي . ونظرًا لطول هذه الفترة الزمنية التاريخية فقد كان المؤلف – بطبيعة الحال – موجزًا ومختصرًا للكثير من القضايا التي تهم تاريخ العمارة الإسلامية في اليمن .

طرح المؤلف بمقاله هذا قضايا معمارية، سيتعرف عليها القارئ الكريم ، تمس هذه القضايا مجتمعة النواة الأصلية والقواعد التصميمية لتخطيط وبناء المسجد في بلاد اليمن وذلك وفقًا لما يراه المؤلف .

ولخدمة القارئ غير المتخصص، أرى وجوب إيضاح بعض النقاط المهمة الخاصة بمسيرة العمارة الإسلامية عامة وعمارة المسجد خاصة عبر المراحل التاريخية وهي أمور ربما خفيت عن بال المؤلف :

أولاً : يعدّ نمط تخطيط وتصميم وعمارة مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة هو الصورة والنسخة الأولى التي تم تكرارها في تخطيط وعمارة المساجد الأولى المبكرة في الحواضر الإسلامية كالكوفة والبصرة والفسطاط .

ثانيًا : جرت العادة لدى الشعوب العربية القديمة وغيرهم من الشعوب من إعادة استخدام مواد البناء القديمة في تشييد مساكنهم ومرافقهم . وهو نهج سلك منذ القدم وحتى ربما إلى يومنا هذا . وغالبًا ما يكون مصدر هذه المواد المجلوبة إما مواقع وتلال أثرية تقع قريبة لموقع المنشأة المزمع إقامتها أو أنها تحضر من منشآت أثرية مهجورة وآيلة للسقوط . وخير مثال على ذلك هو إعادة استخدام أعمدة رخامية في تشييد جامع الكوفة تم إحضارها من مباني ساسانية بالحيرة ومن مباني أخرى واقعة بالأهواز . ولاسيما أن هذه المواد المجلوبة

جاهزة ومصقولة وصالحة لتشييد الأبنية .

ثالثًا : من الملاحظ لدى دارس العمارة القديمة أو العمارة الإسلامية الحرص شبه الدائم على الاحتفاظ بأهمية الموقع وتشييد المباني عليه، وتعرف هذه العملية بنظرية "الحفاظ على المكان" مهما تغيرت الأحوال والأحداث . وتتجسد هذه النظرية في عمارة الجامع الأموي في دمشق المبني على موقع ذي أهمية دينية مسيحية .

رابعًا : حدوث التمازج والتزاوج، "التأثير والتأثر" بين عناصر الحضارات القديمة ، بما فيها الحضارة الإسلامية ، لهو أمر جلي وواضح المعالم في الدراسات الأثرية وهذا لا يعيب أو يحط من شأن الحضارة المتأثرة بقدر ما يرفع من شأنها وقيمتها .

وفيما يلي نظرة سريعة على محتويات هذا المقال :

١ - مقدمة عامة عن عملية التأثير والتأثر بالعمارة الإسلامية .
٢ - السيطرة الأثيوبية والفارسية على بلاد اليمن ومدى التأثر بنمط عمارتهم .
٣ - العمارة الإسلامية المبكرة في اليمن .
٤ - العمارة الإسلامية في الفترة الصليحية والرسولية والطاهرية .
٥ - العمارة الإسلامية العثمانية .
٦ - طرز المآذن المشيدة بالطوب المزخرف .

في الختام ؛ أبتهل إلى العزيز الحكيم بالحمد والشكر والثناء، وأعتقد جازمًا بأن هذا العمل لم يصل بعد إلى درجة الكمال ولكنها محاولة بسيطة وإطلالة سريعة عسى أن يكتب لها النجاح ويستفاد من ما ورد بثناياها .

نص المقال المترجم :

إن البدايات الأولى في إنشاء العمائر الإسلامية في اليمن تعود إلى عصر الرسول محمد ﷺ . ويتفق مؤرخو العمارة في الوقت الحاضر على تأثر الطراز المعماري الإسلامي باليمن، في الأصل، بتأثيرات هيلينستية وبيزنطية وفارسية (٢)، مع وجود عناصر معمارية محدودة مستمدة من العمارة المحلية القديمة، وهو الأسلوب المعماري الذي كان مزدهرًا تمامًا حتى القرن الثالث الميلادي ولاسيما في مجال العمارة الدينية . وبإدراكنا لاستمرارية الطرز السكنية فمن المحتمل أن هذا الطراز استمر بازدهاره في مجال العمارة المدنية والسكنية خلال القرون الإسلامية المبكرة وهي الفترة التي شهدت تشكل شخصية الفن المعماري الإسلامي .

تبدو التأثيرات الهيلينستية واضحة وجلية في مجال العمارة إلا أن تأثيرها أتى متأخرًا مقارنة مع ما لحق بفن النحت من تأثيرات . هذا ؛ وتوضح البقايا المعمارية المبكرة خصائص ذلك الطراز اليوناني المتأخر والمعاصر تقريبًا مع بداية الاهتمام بالمسيحية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين [٣] . ومن المفترض أن الكنائس المسيحية بنيت بكثرة في جنوب الجزيرة العربية خلال القرن الرابع الميلادي ومثال ذلك كنيسة نجران، أما الكنيسة المشهورة في ظفار [٤] فتم بناؤها عام ٣٥٤م . وبالرغم من عدم وجود أثر لبقايا الكنيسة الأخيرة إلا أنه من المحتمل أن أعمدتها وتيجانها استخدمت في حدة غليس [٥]، مع أنها لا تحمل أية رموز مسيحية أو أنها جلبت من معبد يهودي أو من منشأة مدنية[٦]، وفي كل الأحوال فإن الأسلوب هيلينستي تمامًا .

وبحلول القرن السادس الميلادي، يتمكن المرء من الحديث عن التأثير البيزنطي الذي دعم عن طريق الاحتلال الحبشي للبلاد تحت ذريعة الديانة المسيحية . أما عن التأثير الفارسي الذي أدى دورًا أقل في العمارة والزخرفة السبأية، فإن من المحتمل أن يكون هذا التأثير وصل ذروته خلال احتلال البلاد من قبل الساسانيين الذي حدث في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديين .

فترة السيطرة الأثيوبية والفارسية (القرن السادس الميلادي) :

وفيما يتعلق بالاحتلال الحبشي لليمن (في حوالي ٥٢٣ - ٥٢٥م)، فإنه وفقًا للأدلة الوثائقية والمادية الملموسة، فقد تم الإعداد له في الأصل من أكسوم وبإيعاز من الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول، وذلك بهدف الأخذ بالثأر للمذبحة الجماعية لشهداء نجران [٧] . وبعد إتمام هذه المهمة بنجاح، اتخذ الأحباش مدينة صنعاء عاصمة لهم، وبدأوا بالشروع في بناء كنيسة عظيمة في صنعاء [٨] . وقد افترض عند بناء هذه الكنيسة على أن تكون المركز الروحاني للديانة المسيحية في الجزيرة العربية، ومحاولة أيضًا لجذب الناس إليها بدلاً من خروجهم إلى مكة المكرمة لأداء الحج الوثني[٩] . ولهذا الغرض قام الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية بإرسال "الصناع المهرة من اليونان ومواد الفسيفساء والرخام"[١٠]، ومن المفترض أن كلمة "الصناع" هنا تعني المهندسين المعماريين الذين أشرفوا على تصميم وعمارة

الكاتدرائية . وقد عمل بالأسطورة القائلة إن المسيح - عليه السلام - زار صنعاء وصلى في بقعة معينة ومحددة [١١] بقصد تبرير نصب الشهداء martyrion وذلك في النهاية الشرقية من بازيليكا[١٢] ضخمة . وهكذا يمكن تصنيف هذه الكنيسة بأهمية مجموعة الكنائس المشهورة نفسها ككنيسة المذبح Sepulcher بالقدس (٣٢٨ - ٣٣٦م) وكنيسة الميلاد Nativity ببيت لحم (قبل ٣٣٣م) .

ورد لنا الوصف التفصيلي لكاتدرائية صنعاء من خلال النصوص الإسلامية المبكرة [١٣] . وكان موقعها في ما عرف لاحقًا بالحي القديم من مدينة صنعاء حيث كانت الكنيسة محاطة بمساحة مفتوحة (للطواف حولها وفق الطقوس الحبشية) . أما عمارة الجدران الحجرية الخارجية فقد استخدم فيها بالتأكيد الأخشاب وذلك لتعزيز البناء ، وكانت ناتئة للخارج كحلية معمارية ملمعة . وهذه الطريقة المعمارية التكنيكية يمكن ملاحظتها على مسلة أكسوم والكنائس المبكرة في أثيوبيا .

ووفقًا للأوصاف الواردة ، فإنه توجد بين كل مدماكين حجريين مربعين مدماك من الأحجار المثلثة والزاهية بألوان متعاقبة، مشكلة بالنهاية إفريز . وينتهي تشييد الجدار من أعلى بعمل سلسلة من الأشرطة الحجرية ذات ألوان متضادة (الأبيض، والأسود، والأصفر، والأبيض) مشكلة شرفة مزخرفة وناصعة التلوين باتجاه زرقة السماء.

وحسب وصف المؤرخين ، فإن الكاتدرائية كان يتم الدخول إليها عن طريق نهاية ركنها الغربي عبر سلم رخامي مرتفع. أما المبنى ككل فيقوم على مصطبة مرتفعة بمقدار أكثر من ٥م . وكانت أبوابها مكفتة بالذهب المموه بالفضة . ومن الداخل يوجد ، أولاً ، ساحة الكنيسة المقسمة إلى ثلاثة أقسام ، ويبلغ طولها حوالي ٥٠م وعرضها حوالي ٢٥م . وهو مدعم بأعمدة من الخشب النفيس المزخرفة بالألوان والمرصع بالذهب والفضة . أما رواق الكنيسة المقنطر والبالغ عرضه حوالي ١٢م فيمتد عبر الكنيسة بعقود مزخرفة بالفسيفساء المنفذة على هيئة أشجار وشجيرات ونجوم مذهبة . وفي الأخير ، توجد قبة "هيكل الشهداء" البالغ قطرها حوالي ٢٠م وهي ذات عقود وجدرانها مغطاة بزخارف من الفسيفساء المشكلة على هيئة صلبان ذهبية وفضية . ويوجد في وسط القبة (في الجدار الشرقي؟) إفريز من الرخام ينفذ عن طريقه النور المبهر للعيون [١٤]. وقد كانت الكنيسة مبلطة

بالرخـام الملون ، ويبـدو أن الرواق الداخلي كان مـفـصـولاً عن الصحن بواسطة عقـود تقـوم على أعـمـدة رخـامـيـة وحـجـاب سـاتر مـعمول من خشب الأبنوس وأخشاب أخرى نفيسة مطعمة بالعاج "المنفذ تنفيذاً جميلاً" . وقـد كـان هناك أبواب واقـعـة قـبـالة المذابح مطلية بالذهب ومطعـمـة بالأحـجـار الكريمة، "وتم وضع صليب مـذهب في وسط كل إطار بينمـا يحـتـوي المركز على العـقـيق الأحـمـر . ويحيط بجميع هذه الجواهر الورود المختلفة الألوان وللمشهد منظر أخاذ للناظر إليه"(١٥).

وفي كنيسة الميلاد في بيت لحم نجد أن تصميم السـاحة وهيكل الشهداء على النسق نفسه للكنيسة المشار إليها، ونحن مدركون من الحـفـائر الأثرية أن هيكل الشـهـداء في بيت لحم معيني الشكل بقطر داخلي قدره ١٦م.

يوجـد إلى يومنا هذا في الجـزء القـديم من صنعـاء حي يسـمى القليس "الكنيسـة" . وفي وسط هـذا الحي، ٧٥م للغرب من جدار الحـصن ، توجـد حـفـرة في الأرض مطوية بحـجـارة من بقايا الأسـاس وهي عبـارة عن جدران مـعـمولة من الأحجـار الخشنة التي تأخـذ الأسلوب والنمط الأكسـومي ، وواضح أنه تخطيط ذو أضـلاع متـعددة . ويبلغ قطره ١٢,٤٥م من الشـمـال الغـربي إلى الجنوب الشرقي و ١٤,٦٥م من الجنوب الغـربي إلى الشـمـال الشـرقي، أمـا سـمك هذا الجـدار التأسيسي فيبلغ حوالي ٨م . ومما لاشك فيه فإنه لابد أنه كان هناك في صنعاء كنيستان مضلعتان مشابهتان لتصميم هذه الكنيسة، وأنه بالتأكيد أن هذه الأساسات الممتدة ٦٠م نحـو الغرب ليست إلا الطرف الشـرقي من الكاتدرائيـة . وتمتـد هذه الأسـاسـات الآن تحت مجموعة من المساكن المنتهية في ميدان مربع صغير يولج إليه من خلال أربعة طرق مختلفة الاتجاهات .

وإذا كـان هذا الموقع الأصلي للمـقـدمـة الغـربيـة للكاتدرائيـة ، فـإنه يكون ٥٠م غـرب السوق الذي من المحتمل أنه يقع على حافة المدينة و ٢٥٠م شرق غمدان (القصـر الملكي القديم) .

وبالرجـوع إلى الإشـارة الواردة في وصف الأزرقي لكنيـسـة صنعـاء على أنهـا مـسـتطيلة، فإنه يبدو من الممكن أن شكلها المثمن قد دمج في حدود الجدار الخارجي . هذا التصميم للكنيسة يطابق بالتمام ما كان معمول به في أثيوبيا في العصور المتأخرة . ويظهـر أن القبـة أو بالأحرى السـقف الواقع فوقها كان بارزاً فوق جميع مـعالم الكنيسة كما حدث في بيت لحم ، ومن المشكوك فيـه

أن ارتفاعها وصل ٦٠ ذراعاً (ما يعادل ٢٩م) بالرغم من أن هذا الارتفاع في البنيان يدل على الاعتزاز .

أبقي على الكاتدرائية خلال السنوات الأولى من الإسلام، وذكر بوجود مطران[١٦]، بصنعاء بقرون لاحقة . إلا أنه في عام ٦٨٤م جردت الكاتدرائية من زخارفها الفسيفسائية بقصد استخدامها خلال إعادة بناء الكعبة بمكة المكرمة[١٧] . ومن المعروف لدينا أن تدمير هذه الكاتدرائية حدث ما بين ٧٥٣م و٧٧٥م، بينما تمت إعادة بناء الجامع الكبير (بصنعاء) ما بين ٧٥٣ - ٧٥٤م . ومن المحتمل أنه أثناء هذا العصر تم الاستعانة بالخامات البنائية المسيحية في إصلاحات وإعمار الجامع الكبير .

بالإضافة إلى الخامات العائدة إلى ماقبل الإسلام (من القرن الخامس قبل الميلاد) فإن الجامع الكبير يشتمل على أعمال معمارية غير معروف مصدرها، هذه الأعمال تتكون من : ٩ تيجان مسيحية، أجزاء من ٣ أسطوانات عامودية وقاعدتين، والعديد من العضادات الخشبية للأبواب وأجزاء للسقوف خشبية الصنع من عوارض وألواح . وأهمية هذه المواد تنضوي بتعريفنا على طرز عمائر الكنائس المسيحية في صنعاء التي هي بدورها تعبر عن الصيغة المبسطة للطراز البيزنطي في القرن السادس الذي ظهر في القسطنطينية . إذ إن التيجان والأبدان تحمل الشكل والطراز نفسه لتلك التي كانت موجودة في المدينة الرئيسة، وتوجد على واجهة من هذه التيجان الضخمة أشكال نباتية مختلفة جوزية التكوين تتمثل في أوراق الأكنثوس المسطحة والمتقابلة على شكل انحناءات نصف دائرية . وعادة تمثل هذه الزخارف إطار لصليب يوناني مزخرف. أما النوع الثاني الذي يوجد منه فقط مثالان في المسجد فهو التصميم التقليدي للتاج مع وجود نبات الأكنثوس عليها، أما الأبدان فهي برميلية الشكل ومغطاة بزخرفة قوامها أوراق العنب اللولبية الشكل المتضافرة التنفيذ . وهذه الأساليب هي من مزايا وصفات الفن البيزنطي والهيلينستي المتأخر.

فالنوع الأول من التيجان الموجودة في صنعاء مشابهة بشكل لافت للنظر لتلك التي وجدت في موقع كنيسة Zion العظيمة في أكسوم بواسطة بعثة أكسوم الألمانية لعام ١٩١١م[١٨].

وبالرغم من غياب الأشكال الصليبية على واجهات التيجان الأكسومية، فإن هذه التيجان تحمل زخارف نباتية أكنثوسية

مطابقة تماماً لتلك الموجودة على التيجان الصنعانية . ويوجد مثال واحد فقط لتاج من أكسوم على كل واجهة من واجهاته يوجد زوج من الأوراق النباتية، إلا أن الصليب اليوناني يحيط بالأوراق الواقعة في مركز المساحة بدلاً من تنفيذه في المركز . ويوجد تاجان من صنعاء (ولكن لايمكن رؤيتهما بوضوح تام نتيجة وضعيتهما المقلوبة وأيضاً نتيجة استخدامهما كقواعد إنشائية) يبدو أنهما متشابهان للنوع الأكسومي . والطراز نفسه نجده يظهر على العديد من الكسر الملتقطة من موقع ظفار القديم، فهناك لوحة حجرية جديرة بالذكر إذ إنها توضح لنا طراز الجنوب العربي قبل الميلاد الذي كان قائماً بجانب الطراز البيزنطي الجديد .

فهناك توجد نافذة قديمة مستطيلة الشكل ومدرجة، تم تأطيرها بعقد بيزنطي يحيط بجانبيه أوراق الأكنثوس المتكئة على أعمدة لولبية (حلزونية) وبتيجان متقابلة حلزونية الشكل [١٩] . وسوف نلاحظ لاحقًا أن هناك أمثلة لهذا النوع من النوافذ التي تم لها البقاء لمدة تزيد على ٦٠٠سنة .

إذا كان الاحتلال الساساني لليمن (بعد حوالي ٥٧٤م) تميز بالإنشاءات المعمارية الضخمة، فإن هذه العمائر لايوجد لها أثر الآن . إن المبنى الخشبي المطنف (قبة) والواقع أمام محراب الجامع الكبير بصنعاء هي من النوع الساساني ومن المحتمل أنه تم إنشاؤها على غرار واحدة من القباب التي كانت تزين قصر الحاكم الساساني في صنعاء . إن تشييد تلك القصور، أو على الأقل قاعات الاستقبال ، باليمن لهو على احتمال كبير وذلك لتقارب الشبه لبعض المساجد (مثل مسجد شبام كوكبان) مع الطراز الساساني في شكله الأخميني التقليدي[٢٠] .

وأخيراً ؛ فقد وجد باليمن بعض الأعمدة والتيجان والألواح المزخرفة التي تصور التأثير الساساني، إلا أنه من غير المؤكد أن هذه العمائر راجعة إلى فترة الاحتلال الساساني ولكنها بالأحرى يمكن إرجاعها إلى الفترة الإسلامية المبكرة .

العمارة الإسلامية المبكرة :

ذكر الهمداني ونقل عنه الرازي في أوائل القرن العاشر الميلادي أنه توجد أربعة مساجد في اليمن ترجع إلى عصر الرسول محمد ﷺ. هذه المساجد حسب تسلسل بنائها هي : مسجد الجند بالقرب من تعز ، والجامع الكبير بصنعاء، ومسجد الجبانة

بالقرب من صنعاء، ومسجد فروة بن مسيك بالقرب من صنعاء [٢١] . وهي - جميعًا - تقف اليوم شامخة مع بعض التغيير في بنيتها الأساسية .

شيد مسجد الجند الواقعة بالقرب من تعز [٢٢] - على يد الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، وكان "مسجدًا لطيفًا" ومركزًا يحج إليه إذ "أن زيارته تعدل عمرة أو قالوا حجة، ولم يزل الناس يزورونه في كل سنة في أول رجب حتى كثر ذلك وصار موسمًا من مواسم الحج" [٢٣] . وفي حوالي عام ١٠١١م تم تجديد بناء المسجد على يد القائد - العبد النوبي - الحسين بن سلامة وزير مدينة زبيد[٢٤] . وفي حوالي عام ١١٠٥م قام المفضل بن أبي البركات وزير الملكة أروى بنت أحمد بتجديد المسجد بأكمله ، وقد استخدم في تعميره الحجر واللبن خاصة في الطرف الجنوبي من المسجد . قام طغتكين (أخو صلاح الدين الأيوبي) بعد الفتح الأيوبي لليمن في حوالي عام ١١٨٤م بإصلاحات وترميمات للمسجد بعد أن تعرض لحريق مدمر على أثر هجمة عسكرية على المدينة في حوالي ١١٣٠م [٢٥] . "وهو الذي ابتنى ذلك وزاد في سمك المسجد ما هو مبني الآن بالآجر" [٢٦] . وبقي المسجد على هذا الشكل [٢٧] حتى عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤م حينما مدت إليه يد التحديث من ترميم وغيره مما نتج عنه الضياع الأبدي لهذا الإرث المعماري .

يتكون المسجد من فناء واسع محاط ببائكات العديد منها محمولة على ركائز مشابه للوهلة الأولى جامع أحمد بن طولون بالقاهرة، كما وضح ذلك المؤرخ عمارة في القرن الثاني عشر الميلادي[٢٨] . وقد تبقى منارتين جهة الأروقة الجنوبية للمسجد في موضع مماثل إلى حد ما لنظيرتيهما في الجامع الكبير بصنعاء، وتقوم إحداهما على سقف المسجد وترجع لفترة حديثة وهي ذات بدن مثمن مستدق لها شرفة مطنفة تحمل قبة[٢٩] مثمنة، ومن المؤكد أن تأريخها يرجع إلى عمارة العصر الأيوبي ولكن تصميمها لا يجزم بنسبتها أو بقائها من عمارة الحسين ابن سلامة . ويعلو القبة بدن مثمن ذو قمة مخروطية متميزة أضافها أحد الولاة العثمانيين.

ومن أكثر العمائر اليمنية أهمية هو المسجد الثاني ، الجامع الكبير بصنعاء، الذي بناه في الأصل أحد صحابة النبي ﷺ ومن المحتمل أنه فروة بن مسيك، وتؤكد المصادر الإسلامية الأولى على أنه بني بأمر النبي ﷺ وأنه هو الذي حدد موقع المسجد

وبين مساحته [٣٠] . وإذا كان هذا قد حدث فإنه كان بالأصل بناء كبير جداً لأن الجدار الغربي للمسجد مازال واقع في حدود الطرف الغربي للصخرة البارزة الكائنة في حديقة قصر غمدان (تسمى في النصوص حديقة باذان الحاكم الفارسي الأخير) . وعلى الرغم من أن الجانب الشرقي للمسجد قد أحدث به مؤخراً بعض التغيرات بقصد توسعته إلا أن الحجم الأصلي يمكن بالكاد تقديره بما لا يقل عن ٥٥م . تم تشييد ضريح ضخم خلف جدار القبلة الشمالي لواحد من "الأنبياء" الأوائل[٣١] . ولربما أن هذا العمل هو استطراد لتقاليد المعابد اليمنية قبل الإسلام المتمثلة ببناء المقابر مواجهة للجدران الخارجية للمعابد[٣٢] . وبغياب الحفائر الأثرية فلسنا متأكدين من إرجاع أي شيء في المسجد إلى عصر إنشائه . ومن ناحية أخرى وبالنظر إلى مقاساته ، نستطيع أن نؤكد أن المسجد كان يضم بالأصل فناء واسعًا مماثلاً لبعض معابد ما قبل الإسلام[٣٣] التي لاتزال خرائبها باقية في الموقع نفسه .

في الحقيقة لا يستطاع التعرف على التصميم الأساسي للمسجد، بعد إتمام "عمارته وتوسعته" بأمر من الخليفة الأموي الوليد حوالي عام ٧٠٧م . فقد قام واليه[٣٤] بتوسعته "من ناحية قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم" (كما ذكر ذلك الرازي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي)[٣٥]، ويعزى إلى الوليد، بعد إعادة بناء المسجد ، ذلك المظهر الخارجي العظيم للمسجد كما هو باقٍ إلى الآن . كان المسجد الأول صغيرًا وضريح النبي الواقع إلى شمال المسجد تمت إزالة جزء منه من أجل خلق مساحة لجدار القبلة وعمل توسعة لرواق الصلاة بجهة الشمال ومضاعفة مساحة الصحن ، ومن المرجح أن الجدارين الغربي والجنوبي قد بقيا في موضعهما الأصلي .

لمسجد الوليد محراب يعدّ من المحاريب المبكرة [٣٦]، كما توجد بالمحراب بعض النقوش والأعمال الزخرفية الجصية الجميلة[٣٧]. وكان سقف المسجد محمولاً على عقود غير متجانسة، وهذه العقود شيدت على أعمدة ذات تيجان من الطراز المحلي للجنوب العربي . ومن الممكن أن استخدام العقود في هذا المسجد يعود إلى تعرض مدينة صنعاء في القرون الأولى إلى النظم الإنشائية البيزنطية والساسانية .

ومما لاشك فيه فإن قصر غمدان

العظيم الذي كان شامخًا بجانب المسجد وتمت إزالته في حوالي عام ٦٣٢م بأمر من الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد استخدم كمحجر غني من أجل الأعمال الحجرية الإنشائية للمسجد . وتوجد الآن بالمسجد بعض من النقوش التي تعود إلى فترة ما قبل الإسلام وأيضًا العديد من العناصر المعمارية القديمة . كما نجد أن باب الإمام بجدار القبلة تم إنفاذه من قصر غمدان ، ومن ثم أعيد استخدامه بالمسجد في ذلك الوقت ، وهذا الباب كان مصفحًا بالحديد (الآن مطلي بالصبغ) أما المساحات السفلية للباب فتحمل أشكالاً معقودة نفذت بطريقة الحفر والمساحات العلوية مغطاة بالنقوش العربية القديمة [٣٨] . كانت الجدران الخارجية للمسجد تحمل بعضاً من النقوش الكوفية المسجلة للإنجازات المعمارية في المسجد من قبل الخلفاء الأمويين ، ويعتقد أن هذه النقوش تم طمسها عندما تولى الخلفاء العباسيون مقاليد الحكم[٣٩] .

ووفقًا لنص كتابي تم تنفيذه في صحن المسجد، فإن الجامع الكبير بصنعاء كان من ضمن مساجد عدّة تم ترميمها بأمر من الخليفة العباسي في عام ٧٥٣ - ٧٥٤م . ومن المحتمل في هذا الوقت أن عدداً من الأبدان والتيجان التي ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام قد نقلت إلى المسجد حينما هدمت الكاتدرائية، ودمجت هذه العناصر المعمارية في عمارة أجزاء مختلفة من المسجد[٤٠] .

ومن الموثوق فيه أنه في عام ٩١١ - ٩١٢م كان للجامع الكبير منارة واحدة[٤١]، ومن غير المعروف تاريخ بنائها ولكنه يبدو أنها ترجع إلى القرن الثامن أو التاسع الميلادي[٤٢] إذ إنه تم إنشاء منارات كجزء من مسجد الوليد في عام ٧٠٧م .

وفي عام ٨٧٥ - ٨٧٦م تعرض الجامع الكبير لفيضان شديد أدى إلى إلحاق الضرر به مما أوجب القيام بأعمال ترميمية شاملة له[٤٣]، ومن المحتمل إنه في هذه الفترة أنشئ سقف للمسجد يحمل عناصر مشابهة لسقف مسجد شبام كوكبان[٤٤] .

ومن المعروف أن المسجد، في فترة لاحقة تم تعريضه لفيضان مقصود من قبل زعيم الإسماعيلية[٤٥]، في عام ٩١١ - ٩١٢م، وتجاهل هذا الزعيم وجود المياه داخل المسجد حتى أتت المياه على جميع الزخارف وأفقدتها عناصرها الفنية . ولابد أن هذا العمل قد ترتب عليه أضرار بالغة للبنية الأساسية (الإنشائية) للمسجد مما نتجت عنه الحاجة الماسة (ربما خلال مرور قرن من

الزمن) إلى توطئة منسوب ارتفاع السقف وإلى القيام باستبدال السقف ذاته بسقف خال من الزخارف ماعدا الاحتفاظ بأربعة عوارض خشبية من السقف القديم الموجود الآن في الطرف الغربي من المسجد(٤٦) .

ووفقًا لمرجع يعود للقرن السابع عشر الميلادي(٤٧)، فإن الملكة أروى بنت أحمد (في عام ١١٣٠ - ١١٣١م) قامت ببناء شامل للحائط الشرقي في موضع جديد (إلى الشرق من الحائط القديم) ونتيجة لذلك فقد أصبح صحن المسجد متسعاً . وأثناء تشييد هذا الحائط أعيد استخدام حجارة الحائط القديم وثبتت بعض النقوش (الراجعة إلى القرن الثامن الميلادي) على الواجهة الخارجية لهذا الحائط . وأمرت هذه الملكة برفع منسوب ارتفاع السقف الشرقي بأكمله، وبهذا تم إدخال العوارض والألواح الخشبية المحفور عليها زخارف مختلفة رائعة التنفيذ . وفي الوقت نفسه فإن سقف رواق القبلة الشمالي الذي أعيد بناؤه بغير إتقان في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي تمت تغطيته بزخارف متشابهة التكوين . أما السقف الغربي فتم رفع منسوب ارتفاعه ليوافق ارتفاع السقف الشرقي وأضيف إليه بعض الزخارف . وفي عام ١٢٠٦ - ١٢٠٧م تم إعادة بناء (أو ترميم) منارات المسجد، وذلك وفقًا للنقوش المنفذة على هذه المنارات . أما بيت المال بالمسجد المقبب الشكل والواقع في صحن المسجد فتم بناؤه أثناء الاحتلال العثماني الأول في عام ١٦٠٣م .

وأنه لايعرف ما إذا كان يحتل موقع بيت المال قبل تشييده ، ولكن من المحتمل أنه كان هناك بيت للمال مشيد رفعت أساساته عن منسوبي ارتفاع الفسقية، وهذا البيت ربما صمم على غرار بيوت المال الكائنة في مساجد تم إعادة بنائها على يد الوليد .

وهكذا؛ فإن الجامع الكبير بصنعاء يعدّ صرحاً مكونًا من وحدات معمارية عديدة تعود إلى عدة عصور مختلفة (بصفة أساسية إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين).

تتبقى ظاهرة واحدة - تسترعي الانتباه - بالجامع الكبير بصنعاء لابد أن تناقش هنا بالرغم من أنه تم ذكرها في ماسبق . هذه الظاهرة هي الإنشاءات الخشبية(٤٨)، للسقف الواقع أمام جدار القبلة. يوجد مربعان صغيران تم تشكيلهما باستخدام عوارض محيطة بكلا الجانبين لمربع ضخم عمل بالوسط، وهذا المربع يحتل العرض الكامل للوحدة السقفية . ووضعت عوارض فوق العوارض السابقة بطريقة

مائلة ، كما أضيفت عوارض أخرى فوق اللاحقة لخلق عدة أضلاع .

ومن هذه العوارض تظهر أضلاع خشبية مطنفة، كل واحد منها أصغر من الذي قبله حتى تنتهي القباب بمناور علوية معمولة من المرمر[٤٩] . هذه التشكيلات الآن قاتمة اللون لدرجة السواد بفعل عامل الزمن، إن إنشاءات كهذه عرفت وعمل بها في فارس وخاصة تلك التي تقع فوق بعض الردهات المهمة منذ العصور الإخمينية وما بعدها . ومن المعتقد أن استخدام هذه الإنشاءات في المناور السقفية قد تم جلبه إلى اليمن أثناء الاحتلال الساساني للبلاد وذلك قبيل العصر الإسلامي[٥٠] .

كانت الجبانة القديمة في صنعاء، التي كانت مكاناً مفتوحاً وفسيحاً، تستخدم كمصلى للعيدين . ووفقًا لتعاليم النبي ﷺ على أن تكون هذه المصليات خارج نطاق المدن فهذا المصلى بصنعاء يقع في الجهة الشمالية وخارج سور المدينة . وهو محاط بسور حجري، أما رواق القبلة فهو مبلط، وبني المحراب في وسط جدار القبلة . شهد السور المحيط بالمصلى - في عصور مختلفة وخاصة في عام ١٠١٥ - ١٠١٦م - عدة تجديدات وترميمات [٥١] . وفي مطلع القرن العشرين الميلادي تمت توسعة حجمه وذلك بإزاحة الجدار الجنوبي، وفي الوقت نفسه تم إعادة تصميم المحراب مرة ثانية .

بني مسجد الصحابي فروة بن مسيك المرادي، الذي كان صغير الحجم، على يد هذا الصحابي الجليل بينما كان يقوم بالإشراف على إنشاء الجبانة . وفي عام ١٥٨٨م قام حسن باشا العثماني بالتعمير الكامل والشامل للمسجد[٥٢] . وفي الآونة الأخيرة (١٩٧٢م) تم إدخال بعض الإصلاحات والتعديلات على المسجد مما أدى إلى ضياع أي مؤشر يدل على تصميمه الأصلي[٥٣] .

يعدّ مسجد شبام كوكبان[٥٤] من أجمل وأزهى المساجد المبكرة في اليمن . ولم يزل هذا المسجد محتفظاً بتخطيطه الأصلي مما يعطينا تصوراً كاملاً عن شخصية وهوية إنشاء المساجد المبكرة في الجنوب العربي أثناء فترة القرن التاسع الميلادي[٥٥] .

يحيط بالمسجد سور ضخم مبني من الحجر ، نادراً ما يتخلل هذا السور بعض الفتحات الصغيرة . وكان هناك - بالأصل - بروز منخفض فوق مستوى السطح في الزاوية الجنوبية الشرقية ، هذا البروز كان يستخدم كمنارة . وبداخل المسجد يوجد صحن مربع محاط بجميع جهاته الأربع

بأعمدة حجرية عالية الارتفاع، تحمل هذه الأعمدة سقوفًا مسطحة التكوين معمولة من الجذوع الخشبية . وفي فترة من الزمن أي بعد الإنشاء الأصلي للمسجد في وسط القرن التاسع الميلادي عمل حماية للردهات الجانبية للمسجد من تأثير العوامل الجوية وذلك بإنشاء حواجز جدارية حول الصحن، وهي صاعدة من عقود وبنوافذ تحليها العقود الرخامية في الأعلى، ومتوجة بعقود من الطراز الساساني .

ومن الأجزاء المهمة في المسجد رواق الصلاة الشمالي الذي وصفه ابن جبير أنه يشبه الجامع الكبير في الكوفة ٦٧٠م حيث أجاد بقوله : "الأروقة مدعمة بأعمدة تشبه الصواري وتتكون من كتل قوية من الحجر موضوعة قطعة فوق قطعة ... وغير متوجة بالعقود، ويصل ارتفاعها حتى سقف المسجد"(٥٦). يبلغ ارتفاع أعمدة مسجد شبام ٨م ، وتحمل تيجان من نوع المراوح النخيلية المشتقة تمامًا من الأساليب الهيلينستية . وكما ذكر سابقًا ، فإن هذا المسجد صمم على أسلوب "الأبدانا"(٥٧) وهي قاعة الاستقبال الرسمية (الملكية)، واشتق الاسم من "قاعة الاستقبال ذات الأعمدة" المعروفة ، قديمًا، عند ملوك الفرس(٥٨) .

ومشابهة للمسجد الأخير ، فإن سقف رواق الصلاة في جامع شبام كوكبان يحتوي على أعمال خشبية مرسومة ومحفورة بثراء مكونة أربعاً وعشرين حشوة كبيرة لا يوجد اثنتان متشابهتان وثماني عشرة حشوة صغيرة وعدداً من العوارض المحفورة . ويتقدم المحراب حشوتان ترتفعان لتكونان شكل مربع أعلى السطح مغطى بحشوات رخامية ذات نهايات سوداء يكسوها الملاط من الخارج . وطلي السقف بأكمله باللون الأحمر بصفة رئيسة واللونين الأزرق والأحمر ، وغطي برسوم تتخلل المساحات الخشبية غير المحفورة، وهي في حالة جيدة من الحفظ وتبقى كمثال شامخ من أمثلة الأعمال الخشبية في العالم الإسلامي .

بُني المنبر في تجويف جهة القبلة وهو بارز من الخارج ، على الرغم من أن المحراب غير بارز، ويرجع تاريخ حشوات سقف جامع شبام كوكبان إلى أواخر القرن التاسع الميلادي وهو تاريخ الحشوات الباقية في الجامع الكبير في صنعاء . وهناك عدد آخر من المساجد الصغيرة في اليمن تملك مميزات ذلك الأسلوب نفسه ، ومن أجملها مسجد صغير يدعى صرحة يقع بالقرب من يريم ويؤرخ بنهاية القرن العاشر أو الحادي

عشر الميلادي[٥٩] . وللمسجد خمس منارات كما في أسلوب جامع شبام كوكبان، واقعة بأسلوب التماثل في وسط الصحن المربع للمسجد.

أما الجامع الكبير الزيدي الواقع في مدينة صعدة فإنه يحتاج لدراسة جادة . تم إنشاؤه بعد عام ٩٠١م على يد الإمام الهادي يحيى[٦٠] : وهو من سلالة الجيل السادس للسيدة فاطمة - رضي الله عنها - وعلي رضي الله عنه ابنه وصهر النبي ﷺ . وللمسجد صحن ورواق كبير للصلاة وأسوار خارجية عالية تعود إلى تاريخ التأسيس . هذا ؛ وترتفع المئذنة وهي من نماذج القرن العاشر الميلادي من وسط الصحن في موضع فريد بالنسبة لمآذن اليمن ونادراً وجودها في أي مسجد آخر . وتوجد مئذنة أخرى أقل ارتفاعاً في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد . وهناك مجموعة من المقابر للأئمة الزيدية [٦١]، تقع جنوب مدخل صحن المسجد ولها قباب محززة وغنية بالزخرفة المتقنة من الداخل . ويبدو أن أقدمها تاريخيّاً بشكلها الحالي ترجع إلى القرنين ١٣ - ١٤م وربما أعيد عمارتها عن المقابر الأخرى المبكرة . أما المسجد فأعيد تجديده كاملاً زمن خروج الأتراك من اليمن في القرن السابع عشر الميلادي .

أما مدينة زبيد فهي أكبر مدينة في تهامة اليمن، أسست بين عام ٨١٩ - ٨٢٠م على يد ابن زياد الذي جعلها خلال مدة وجيزة عاصمة اليمن كله . وحينما أصبحت زبيد عاصمة للأيوبيين لفترة وجيزة ومن ثم لأسرة بني رسول أعيد تجديد مسجد الجمعة ، بالإضافة إلى مساجد أخرى عديدة ويعود جميعها إلى القرن التاسع والعاشر الميلاديين.

يضم مسجد الجمعة في زبيد فناء في الوسط ومئذنة كما في عمارة جامع الجند . توجت المئذنة بقبة ملوية على الطراز العباسي، تحمل تشابهاً كبيراً للقبة المشيدة على ضريح جوبيد في بغداد (القرن ١٢م) . يحيط بصحن المسجد عقود مدببة موزعة بالتساوي ، زخرفت عقودها بزخارف جصية بارزة بأسلوب Cairene [٦٢] الذي يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، أما عوارض السقف وحشواته فهي مرسومة بطراز زخرفي وبألوان صافية وبراقة وللمسجد محراب جصي جميل شيد حسب أسلوب عمارة دولة بني رسول .

يوجد في جنوب وشرق عدن وفي مدن أخرى ساحلية مساجد مبكرة ولكن لايبدو أن هناك في الوقت الحاضر بقايا معمارية ذات أهمية عائدة إلى ما قبل القرن الخامس عشر

والقرن السادس عشر الميلاديين، باستثناء مسجد الشحر [٦٣] (الموصوف لاحقًا) .

ومن المحتمل أن مسجد الجمعة في شبام[٦٤] يعدّ أبكر مسجد باقياً إلى الآن في حضرموت ، وهناك بعض الشواهد على أن أجزاء من عمارته تؤرخ ببداية القرن العاشر الميلادي حيث استخدمت بعض قوالب الطوب الأحمر - وهو نوع غريب ، ونادرًا ما يستخدم في عمارة حضرموت - التي وجدت في المستويات السفلية من أركان المسجد . وهذه القوالب الحمراء مطابقة للأسطورة القائلة إن المسجد شيد (أو أعيد تشييده) بواسطة مهندسين معماريين قدموا من العراق خلال عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[٦٥]. ومن المعتقد أن تاريخ بائكات المسجد بوضعها الحالي يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي ولكن المئذنة الحجرية التي تظهر واضحة في الصور الفوتوغرافية المبكرة ، لكنها الآن مغطاة بزخارف جصية تقليدية ربما تكون أقدم .

اشتهر مسجد عبدالله في بور لاحتوائه على بقايا تأسيسية من البناء الذي شيد بعد عام ٩٥٥م على يد السيد أحمد بن عيسى المهاجر[٦٦] الذي وفد إلى اليمن من البصرة، ولكن عمارة المسجد إلى حد كبير متداخلة (وخاصة في الأساسات) بالمسجد الثاني الذي شيد في القرن الخامس عشر الميلادي على أطلال المسجد الأول ، ومازال يمكن رؤية المحراب المستطيل والعميق للمسجد الأصلي ، ولكن جزءاً قليلاً منه يمكن الاستدلال به على أسلوب وخاصية عمارته .

وهناك مساجد أخرى حضرمية مشهورة بقدمها كتلك الموجودة في تريم مثل مسجد سرجيس ومسجد باعلوي . وبالنظر إلى طراز عمارتها، فإن هذه المساحة بشكلها الحالي تم إعادة بنائها في القرن الخامس عشر أو القرن السادس عشر الميلادي ، ولايوجد فيها سمة معمارية واحدة يمكن نسبتها إلى القرون الأولى في الإسلام[٦٧] .

العصور الصليحية والرسولية والطاهرية :

بني مسجد الجمعة في ذي جبلة[٦٨] التي كانت العاصمة إبان حكم الصليحيين في آخر فترة حكمهم عام ١٠٨٨م على يد الملكة أروى بنت أحمد[٦٩] . يعد المسجد ذا تأثير فاطمي خاصة فيما يتعلق بكتاباته وزخارفه . وللمسجد فناء ورواق عمل بأسلوب فاطمي مع وجود بلاطة رئيسة مرتفعة [٧٠]، تمتد من الفناء حتى منتصف جدار القبلة عند الزاوية اليمنى لصف

البائكات التي يقوم عليها سقف الكتلة الرئيسة لرواق الصلاة . تقطع رواق البلاطة الرئيسة عوارض مدهونة شيد فوقها قبتان واحدة تتقدم المحراب بينما الأخرى واقعة على بروز الفناء . تقوم مئذنتان من طرازين مختلفين في الركنين الجنوبيين للمسجد، فتلك المئذنة الكائنة في الجنوب الغربي هي أقدم، وهذه المئذنة بحالتها الحالية معادة البناء أما في القرن الرابع عشر أو القرن الخامس عشر الميلاديين .

يقع المحراب وضريح الملكة أروى في الركن الشمالي الغربي من المسجد، وقد شيدا وفقًا للطراز الفاطمي الأصلي ، هذا بالإضافة إلى الأحجبة الخشبية العديدة والأبواب التي تنتسب إلى الطراز نفسه . أما أماكن الوضوء فهي مركزة حول بركة كبيرة تستخدم لعملية الوضوء وكذلك الاستحمام . وقد صممت غرف الوضوء التي تحيط بالبركة بأسلوب ضخم وفخم .

وبالرغم من كونه مسجداً صغيراً ومكتشفًا حديثًا، إلا أن مسجد عباس في أسناف[٧١] يعد واحداً من المساجد الرائعة والجميلة في اليمن . بني هذا المسجد في عام ١١٢٦م على يد الحاكم المحلي ليحوي ضريحًا لشيخ وقور . وينتمي طراز هذا المسجد إلى النمط المستمر لمساجد الأبدانا[٧٢] التي تمتد من شبام كوكبان (القرن التاسع الميلادي) مروراً بصرحة (أواخر القرن العاشر أو القرن الحادي عشر الميلاديين) حتى ظفار ذي بين (القرن السابع عشر الميلادي) . شيدت أعمدة هذا المسجد باستخدام كتل من الأحجار الجيرية ، أما التيجان فهي مجلوبة من معبد يرجع إلى ما قبل الإسلام ، كما يوجد نقش يرجع إلى ما قبل الإسلام في جدار القبلة وبالتحديد على بروز المحراب من الخارج . وربما أن موقع المسجد كونه على منحدر جبلي كان مكانًا مقدسًا لقرون عدّة قبل تشييد المسجد . أما أسلوب معالجة النوافذ من الداخل فهو أسلوب يمني قديم يتشابه إلى درجة كبيرة مع سمات العنصر المتدرج المعروف الذي تم مناقشته في مساجد اليمن المبكرة والمقتبس مباشرة من الأساليب المعمارية لما قبل الإسلام.

تكمن روعة المسجد في سقفه ومحرابه، إذ إن السقف متنوع تمامًا : فهو غني برسوماته، مصندق ومشتمل على طرز وأنماط مختلفة الأساليب وعلى جانب كبير من التنوع تعود إلى فترات مبكرة ومختلفة في تاريخ اليمن . مزجت تلك مع عدد من الأساليب التي كانت شائعة آنذاك في الحواضر

الكبيرة وقت إنشاء المسجد . أما حالة المسجد الحالية فهي جيدة، وسيكون المسجد ذا قيمة عندما يتم استكمال برنامج الترميم.

لم تزل باقية حتى عصرنا الراهن ثلاثة مساجد من العدد الكبير لمساجد بني رسول التي كانت تزين مدينة تعز، وأجملها هو مسجد الجمعة (لم يزل يدعى بمسجد المظفر)، ومسجد الأشرفية ومسجد المعتبية(٧٣). تحتوي هذه المساجد على صحون مكشوفة مع أروقة للصلاة مغلقة ومغطاة بقباب مزخرفة بزخارف متقنة من الخارج والداخل . وتكشف هذه المساجد عن قوة التأثير السوري العثماني وذلك من خلال شكلها وزخارفها، بالرغم من أن الزخارف الجصية من الداخل وأعمال الخشب والرسوم مقتبسة من الأنماط المعاصرة مثل: المصري، والفارسي، وحتى النمط العربي الأندلسي الذي يظهر بوضوح تام . أما المآذن التي تعد تطوراً أصيلاً من الطراز الفاطمي المتأخر في مصر فشيدت بعقود مقرنصة .

يرجع مسجد الجمعة (المظفر) إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ويعدّ من أقدم المساجد الثلاثة ، إذ يشتمل على أكبر رواق للصلاة (يزيد على ٥٣م في الطول) . تقوم ثلاث قباب فيما يلي جدار القبلة، لكنها ليست متماثلة تماماً : فواحدة تتقدم المحراب والآخريان تقعان في نهايات رواق الصلاة . وتأثراً بالطراز التركي المبكر، فإن قطر كل قبة يصل إلى صفين من البائكات ويكتنفها من كل الجوانب أزواج من القباب الأصغر حجماً . أما من الداخل فإن كل القباب غنية برسوماتها الجميلة الفخمة وأنماطها الجيدة، ويبدو أن البعض منها أعيد زخرفتها خلال الاحتلال العثماني الأول .

من الواضح أن مسجد الأشرفية(٧٤) بُني على مرحلتين : الأولى بواسطة الأشرف الأول (١٢٩٥ - ١٢٩٦م) والثانية على يد الأشرف الثاني (١٣٧٧ - ١٤٠٠م). وفي التخطيط الأول فإن للمسجد على الأرجح رواقاً واحداً للصلاة يعلوه ثماني قباب صغيرة تكتنف القبة الرئيسة الكبيرة ، وجميعها كانت مزخرفة بزخارف ورسوم من أعمال الجص الرائع . ويقع خلف رواق الصلاة فناء مربع . وكان بصحن المسجد الضريح الملكي وحجرات لمدرسة القرآن بحيث تجعل تخطيط البناء يغلب عليه الشكل المربع الكامل . وفي أركان الجانب الجنوبي من المسجد ترتفع مئذنتان ذاتا تصميم متنوع إحداهما تشبه تلك المئذنة في مسجد الجمعة .

وفي وقت لاحق، شيدت ثلاثة أضرحة

ملكية في الأركان الثلاثة للفناء . ويبدو من الواضح أن غرفة رابعة كانت معدة للتشييد وبذلك تمتلئ تماماً مساحة صحن المسجد . هذا؛ ويلتف حول الجوانب الثلاثة للمسجد رواق غير مسقف ذو بائكات من الخارج ينتهي بجوسقين مقببين في خط واحد مع جدار القبلة حيث يسمح برؤية المدينة من علو.

لقد بقي عملان كبيران من المرحلة الثانية في عمارة هذا المسجد . أحدهما هو تصميم وزخرفة الأضرحة الملكية الواقعة في الفناء الرئيس ، إذ يحتوي كل منهما على قبة مركزية (مروحية الشكل) قائمة على مثلثات كروية غنية بأساليب الزخارف الجصية الكثيرة ويوجد تحتها الأحجبة الخشبية . عملت الأضرحة من الخشب المحفور والمزين بكتابات رائعة التنفيذ . ومن المحتمل أنه في هذا الوقت تم تنفيذ الزخارف المرسومة في القبة الكبيرة الواقعة في رواق الصلاة الشمالي ، التي تعدّ واحدة من أعظم الأعمال الفنية الفريدة في اليمن ، وأيضًا تتميز بأنها فريدة في أهميتها بالعالم الإسلامي .

يتكون مسجد المعتبية [٧٥] (١٣٩٣ - ١٤٠٠م) من ضريح لأم خليلة أحد السلاطين، ويؤرخ من فترة مرحلة البناء الأخيرة في الأشرفية حيث إنهما قريبا الشبه . شيد بيت الصلاة صغيراً ومتوجًا بست قباب صغيرة الحجم وجميلة التنفيذ . وللمسجد رواق بعقود وغير كامل التسقيف، ينتهي بشرفتين مقببتين وذلك لرؤية المدينة من المقاعد المبنية .

نتيجة لانهيار دولة بني رسول وقيام السلطة لعبدالوهاب بن طاهر ، تم تشييد مسجد العامرية في رداع[٧٦] عام ١٥١٢م. وهو مسجد عظيم ذو طراز معروف، شيد على مصطبة مرتفعة لدرجة أن القبلة وجدارها تشد الانتباه، وله أروقة ذات بائكات تشرف على المدينة بالطريقة نفسها والأسلوب المعمول بها في مساجد بني رسول بالرغم من أن الموقع هنا مستوٍ وليس منحدراً كما في تعز . تشغل المساحة الواقعة تحت المصطبة وفي الجانب الشمالي للمدينة سمسرة [٧٧] أو خان عالية الارتفاع، كما يوجد هناك مكان للوضوء ومسجد صغير للنساء وكلاهما يقعان في أسفل المسجد الرئيس . وإلى الجنوب من هذا المسجد ، توجد بركة كبيرة للوضوء يكتنفها بالجهة الجنوبية مكان مكشوف ومحجب للوضوء . كما توجد أربع سلالم عالية ومعتبة تؤدي إلى المسجد العلوي، اثنان يقعان في الشرق واثنان في الغرب، ويتم الوصول إليها من الشوارع المحيطة عن طريق مداخل

رئيسة . توصل هذه السلالم إلى الفناء العلوي المطل على البركة وأماكن الوضوء . أما السلالم الأخرى فتصل الأفنية السفلية بالعلوية . هذا ؛ ومن الملاحظ أن السلم الغربي قد خرب في الآونة الأخيرة .

يفصل حاجز جداري فناء المدخل العلوي عن الفناء الرئيس للمسجد المحاط من كل الجوانب بعقود تتكئ على أعمدة غير ضخمة . وتقع في الجهة الشرقية والغربية من الفناء حجرات للتدريس .

يتشابه الجزء الشمالي من تخطيط العامرية بتخطيط المعتبية بدرجة كبيرة مع إضافة الدهليز خارج جدار القبلة المحتوي على بركتين صغيرتين ، وقد حل محل الجوسقين المشرفين على المدينة حجرات صغيرة متوجة بقباب متقنة على مثلثات ذات دلايات . أما أسقف الدهليز والقباب الست التي تعلو رواق الصلاة فهي مغشاة بزخارف مرسومة رائعة التنفيذ مماثلة لتلك الزخارف المنفذة في مساجد بني رسول بالرغم من أنها متأخرة في أسلوبها ويغلب عليها التأثير الهندي(٧٨) .

أعيدت زخرفة مسجد الجمعة المبكر في رداع أيام الطاهريين، وخاصة في إضافتهم لسقيفة مقببة بديعة الصنع، كما وأنهم قاموا بتشييد العديد من المساجد الصغيرة في مدينة رداع . هذه المساجد ليست إلا نماذج مصغرة لمسجد العامرية في تخطيطها، وجميعها مشيدة فوق محلات وخانات تجارية.

الواقع أن تأثير بني رسول وبني طاهر قد انتشر في أجزاء عدّة من اليمن ، ففي ثلا(٧٩)، فإن مسجد الجمعة القديم تمت توسعته في القرن السادس عشر الميلادي وهو متأثر بالأسلوب الطاهري خاصة بقبابه المتقنة المغطاة بالزخارف . وفي صنعاء ، فإن جدار القبلة وحجرة الضريح المقببة في مسجد الفليحي(٨٠) غشيت بزخارف جصية رائعة متضمنة كتابات كوفية ونماذج عدّة من الكتابات بالخط النسخي ، فضلاً عن تنوع كبير في الزخارف الهندسية والأشكال الآرابيسكية .

وفي مدينة الشحر الواقعة على الشاطئ الجنوبي فإن المسجد البديع للشيخ سعد بن علي تاج العارفين يبدو بوضوح أنه يرجع بعمارته إلى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلاديين وذلك بعقده الوحيد المدبب الملتف حول المحراب.

الاحتلال العثماني الأول :

يعد مسجد البكيرية(٨١) – الذي بني على يد حسن باشا في عام ١٥٩٧م – من أجمل المعالم الآثارية العثمانية الباقية في

اليمن . وهو على هيئة مجموعة من المنشآت الضخمة الواقعة بالقرب من القلعة في صنعاء . يتكون المسجد من بيت للصلاة مربع الشكل (طول ضلعه ١٧م) مغطى بقبة واحدة فقط . يفصل فناء طويل السقيفة عن كتلة مكان الوضوء المقبب . وفي الشرق من المسجد توجد مئذنة عالية جداً أما في الغرب فتوجد بوابة رئيسة رائعة تعلوها قبة وعلى جانب المدخل تقع حجرات لأضرحة مقببة تمت إضافتها في القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد استخدمت الأعمال الجصية الجميلة والمعاصرة للأسلوب العثماني في تغطية التواشيح الداخلية لقباب السقيفة . وللمسجد منبر رخامي عال جلب من إستانبول(٨٢) ملاصق للجدار الجنوبي كما يوجد "ديوان"(٨٣) ملكي رائع للحاكم متوج بمنصة لقراءة القرآن الكريم، معتمدة على ستة أعمدة رخامية .

طرز المآذن المشيدة بالطوب المشكل :

تعود على مايبدو خاصية أسلوب بناء المآذن بالطوب المشكل (المزخرف) في صنعاء إلى الفترة التي سبقت الاحتلال العثماني . وواحدة من أجملها هي مئذنة مسجد البكيرية نفسها ومآذن أخرى مثل مئذنة صلاح الدين (حوالي ١٥٧٠م) ومئذنة المدرسة (١٥١٩ - ١٥٢٠م) وهي المئذنة الأكثر قدمًا من هذا النوع في اليمن . وترجع الأصول الأولى من هذا النوع من العمارة إلى عمارة شرق العالم الإسلامي، حيث إن هناك تشابهاً مع مثيلاتها من المآذن المعمولة بالطوب في الفترة المبكرة في وسط آسيا وفي فارس(٨٤) .

الهوامش

١ - نشر هذا المقال العالم البريطاني رونالد ليوكك باللغة الإنجليزية في كتاب خاص صدر بمناسبة إقامة عرض متحفي حضاري بجمهورية ألمانيا تحت عنوان: اليمن ٣٠٠٠ عام من الفن والحضارة في العربية السعيدة" (المترجم) .

Lewcock, Ronald, "The Medieval Architecturre of **Yemn, Yemen : 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix**, edited by Werner Daum, Published by Verlag , Innsbruck (1989), pp. 204 - 211 .

٢ - يمكن القول إن جميع هذه التأثيرات تداخلت في العديد من الأنماط المعمارية والفنون الزخرفية في العالم الإسلامي. أما ما يخص

تأثيراتها في العمارة اليمنية بالذات فهي أمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة ومستقلة (المترجم).

٣ - وفقًا لمناقشة جروهمان لأنواع الأعمدة الهيلينستية في اليمن - وأيضًا - بناء على الملتقطات السطحية الهيلينستية التي عثر عليها في ظفار القديمة (المؤلف) . انظر :
Costa, "Antiquities from Zafar" in **Annali dell Istituto Orientale di Nappli**, 33, 1973, 185 - 206.

٤ - ظفار: اسم مشترك بين جملة بلدان في اليمن، وظفار المقصودة في المتن هي "ظفار حمير" الواقعة إلى الجنوب من يريم بمسافة ١٧كم، ويقال لها - أيضًا- ظفار الملك ، انظر : المقحفي، إبراهيم أحمد . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، (صنعاء ، دار الكلمة ، ط٣، ١٩٨٨م)، ص٤١٠ - ٤١١ (المترجم).

٥ - قرية في جبل حجاج من بلاد خبان وأعمال يريم . الحجري، محمد بن أحمد . **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، (صنعاء، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، ط١، ١٩٨٤م) مج١، الجزء الثاني، ص٢٥٠ (المترجم) .

٦ - انظر : P . Costa ، المرجع السابق، لوحة ٢٥ (المؤلف) .

٧ - راجع سورة البروج : الآيات ١ - ٩ . (المترجم) . انظر :
Procopius, "History of Wars" , ed. H . B . Dewing , London, 1958, I, 188 - 189, 191 - 196 ss. Photius, The Library of Phtius, trans . J . H . Freesse , London, 1924,Chrysostomos Papadopoulos, **Church History of Alexandria,** Alex andria,1935, 443. (المؤلف)

٨ - التي تدعى بكنيسة القليس (المترجم).

٩ - هذه المعلومات مستقاة من مخطوطة مفقودة للطبري، نقلت حرفياً في كتاب أبو صالح : **كنائس وأديرة مصر وبعض البلدان المجاورة،** ترجمة أفيتس، أكسفورد، ١٨٩٥م، ص ٢٠٠ - ٢٠١ . انظر - أيضًا - رسالة أبرهة إلى النجاشي التي أوردها الأزرقي (المؤلف) .

١٠- الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق دي غويه، ج١، ص٩٣٢ - ٩٧٣ (المؤلف).

١١- الأزرقي، **كتاب أخبار مكة**، تحقيق : وستنفيلد، ليبزج، ١٨٩٥م، ص٨٩. والإشارة من ترجمة سارجنت ، في : Serjeant and Lew-. **Islamic** cock, **Sana, an Arabian City,** : Lodon, 1983. (المؤلف)

١٢- البـازيليكا : هو المبنى الحكومي الروماني المستخدم كقاعدة للمحاكمة ومكان للاجتماعات العامة، وقد تأثرت طرز الكنائس المسيحية الأولى بتخطيط البازيليكا المتميز بالشكل المستطيل والمقسم إلى ثلاثة أقسام طولية . صدقي، محمد كمال، **معجم المصطلحات الأثرية**، ص٥٩ (المترجم).

١٣- انظر على سبيل المثال : الأزرقي، المصدر نفسه، ياقوت، **معجم البلدان** ، ج٣، ص٤٩ . وأيضاً : الطبري : أوردها نصّاً أبو صالح في كتابه ، المرجع نفسه (المؤلف) .

١٤- الطبري: أورد هذه المعلومات أبو صالح في كتابه المشار إليه (المؤلف) .

١٥- معنى النصوص العربية غير واضحة (المؤلف).

١٦- ذكره :

Marga, c837 - 850, **The Book of Thomas Governors**, Trans . E . Wallibudge, London, 1893, 11, 448.

ولم يزل المسيحيون في صنعاء يذكرون على أنهم "المحميون" في عام ٩١١م انظر: Ser- jeant, R . B and Lew cock, op. cit . (المؤلف)

١٧- المسعودي، **مروج الذهب**، ص١٩٢ - ١٩٣ (المؤلف) .

١٨- E . Littmann, U. von Krenker, and the von Lupke, **Deutsche Aksum Expedition**, Berlin . 1913, 11, 106 .

١٩- انظر: كوستا، المرجع السابق، لوحة ٢٢، شكل ٥ (المؤلف) .

٢٠- انظر :

K. A. C . Creswell, **Short Account of Early Muslim Archi tecture**, London, 1958, 158 .

٢١- الرازي، **تاريخ صنعاء**، ص ٢٣٢ - ٢٣٣، (دمشق، ١٩٧٤م) (المؤلف) .

٢٢- تقع الجند إلى الشمال الشرقي من مدينة تعز بمسافة ٢٢كم . انظر : المقحفي، إبراهيم أحمد . **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ص ١٣٠ - ١٣١ (المترجم) .

٢٣- عمارة الحكمي، **اليمن**، ص١٠، ترجمة كاي، لندن، ١٨٩٢م (المؤلف) .

٢٤- كاي، المصدر السابق، ص ٩ - ١٠ . (المؤلف) . القائد الحسين بن سلامة لم يكن فقط وزيرًا لمدينة زبيد بل قام بأمور الدولة الزيادية، للمزيد عن سيرته، انظر : الحكمي ، عمارة . **تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها**

وأنبائها ؛ تحقيق وتعليق : محمد بن علي الأكوع الحوالي (صنعاء، ط٣، ١٩٨٥م) ص ٦٩ - ٧٦ (المترجم) .

٢٥- الجندي، **كتاب السلوك**، الخزرجي، **العقود اللؤلؤية** . انظر : كاي، المصدر السابق، ص ٢٩٤ (المؤلف) .

٢٦- كاي، المصدر السابق، ٢٥٩ - ٢٦٠، نقلاً عن الجندي (المؤلف) .

٢٧- تبع ذلك إصلاحات وترميمات أخرى في العصر الأيوبي والعصر الرسولي، انظر : شيحة، مصطفى عبدالله ، **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية** (القاهرة، ط١، ١٩٨٧م) ، ص ٣٨ (المترجم).

٢٨- ترجمة كاي، المصدر السابق، ص ١٠. (المؤلف) .

٢٩- المقصود بهذه القبة الصغيرة هو ما يسمى بالشخشيخة (المترجم) .

٣٠- ابن رستة، **كتاب الأعلاق**، قبل عام ٩٠٣ للميلاد . انظر : وصف صنعاء ترجمة سارجنت، في : R . B . Serjeant in Serjant and Lewcock, **Sana, an Arabian Islamic City.**

الرازي، **تاريخ صنعاء**، وأيضًا الهمداني، **الإكليل**، ج٨، ص٤٣، للمزيد من المعلومات حول تاريخ الجامع الكبير بصنعاء انظر ذلك الفصل المؤلف من قبل : R . B . Serjeant in Serjant and Lewcock,op . cit, in Lew cok and smith . (المؤلف)

بالإضافة إلى فروة بن مسيك المرادي قيل إن بانيه هو الصحابي وبر بن يحنس الأنصاري، وقيل أيضًا إنه أبان ابن سعيد بن العاص القرشي، وقيل المهاجر بن أمية ، انظر : الحجري، محمد بن أحمد . **مساجد صنعاء عامرها وموفيها** (بيروت، ط٢، ١٣٩٨ للهجرة)، ص ٢٣ - ٢٤ (المترجم) .

٣١- ابن رستة ، **كتاب الأعلاق النفيسة** ، كتب في حوالي عام ٩٠٣ للميلاد، تحقيق دي غويه ضمن مجموعة : Bibliotheca Geo- graphorum Arabicorum, Leiden, 1892, VII, . (المؤلف).

لعل المقصود بأحد الأنبياء الأوائل هو حنظلة ابن صفوان . انظر : الرازي، أحمد بن عبدالله . **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق : حسين بن عبدالله العمري، (صنعاء، ط٢، ١٩٨١م) ص٥٤٦ (المترجم).

٣٢- هكذا وردت المعلومة في النص الإنجليزي (المترجم) .

٣٣- هكذا وردت المعلومة في النص الإنجليزي (المترجم) .

٣٤- هو أيوب بن يحيى الثقفي الذي استمرت ولايته على اليمن ما يقارب ست سنوات (سنة ٩١ - ٩٦ / ٧٠٩ - ٧١٥م)، انظر :
Al - Madvaj, **The Yemen in early Islam . 9 - 233 / 630 - 847: a Political History** (London, 1988) P . 162 - 170 . (المترجم).

٣٥- الرازي، المصدر السابق، ص ٢١٤ (المؤلف) .

٣٦ - CF . Encyc . Islam article Mamar, III, 231 . (المؤلف).

٣٧- الرازي، ص٢١٤ (المؤلف) .

٣٨- وهي كتابة نفذت بخط المسند الجنوبي، انظر : الحجري ، محمد بن أحمد . **مساجد صنعاء**، ص ٢٤ - ٢٥ (المترجم) .

٣٩- من استنتاج البروفيسور ركس سميث المبني على دراسة نوع الخط المستخدم الذي يعود بكل تأكيد إلى ما قبل القرن العاشر الميلادي (المؤلف) .

٤٠- لابد من ملاحظة أن استخدام الأبدان والتيجان وغير ذلك من العناصر البنائية المنقولة من العمائر القديمة كان شائعاً في كل البلاد المختلفة، وحتى في استخدام الموضع نفسه كما في الجامع الأموي بدمشق وغيره وتعرف بنظرية الحفاظ على المكان مهما تغيرت الأحداث (المترجم) .

٤١- الجندي، ترجمة كاي، ص٢٠٠. تبدو المنارة الشرقية - من الوجهة المعمارية - على أنها الأقدم من المنارتين الأخريين (المؤلف) .

٤٢- سجل هيوسكوت في كتابه **In The High Yemen,** London, 1942.
بأن كلا المنارتين شيدتا في عام ٨٧٨ للميلاد، ولكنه لم يوضح اسم مرجعه . إن الهيكلية البنائية للمنارتين وشكلهما الخارجي مختلف ، إذ إن المنارة الشرقية مبنية من الطوب وتصميمها مربع الشكل، أما المنارة الغربية فهي مشيدة من الحجر وشكلها أسطواني من الداخل (المؤلف) . لمزيد من المعلومات حول حركة البناء في مآذن جامع صنعاء، انظر : شيحة، مصطفى. **مدخل إلى العمارة والفنون**، ص ٣٥ - ٣٦ (المترجم) .

٤٣- الرازي، المصدر السابق، (المؤلف) .

٤٤- الجندي، **السلوك** . الحجري، **مساجد صنعاء** (المؤلف) .

٤٥- المقصود هو الداعية علي بن الفضل الحميري الذي دخل اليمن عام ٢٦٨ للهجرة وقتل عام ٣٠٣ للهجرة، انظر : المدعج، عبدالمحسن

مدعج، "علي بن الفضل ودعوته في اليمن"، **العصور**، مج٣، ج١، (لندن، دار المريخ، ١٩٨٨م)، ص ٨٣ - ١٠٦ (المترجم) .

٤٦- الجندي (المصدر السابق، ص ٢٠٠) يؤكد على وجود بقايا لمستوى الماء في المسجد، وكانت هذه البقايا واضحة للعيان في أيامه - حوالي عام ٧٣٢ للهجرة/١٣٣١ للميلاد (المؤلف).

٤٧- سيد يحيى بن الحسين ، **أنباء الزمن** (المؤلف).

٤٨- تعرف هذه الإنشاءات بأسلوب المصندقات الخشبية (المترجم) .

٤٩- حول هذه الأسلوب الزخرفي لسقوف المساجد المبكرة، انظر : شيحة، مصطفى . **مدخل إلى العمارة والفنون**، ص ١٤٣ - ١٤٤ (المترجم).

٥٠- للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة، انظر: R . B . Serjeant and Ronlad Lewcock . (المرجع السابق) (المؤلف) .

٥١- انظر قراءة (ترجمة) ركس سميث للنقش في : R.B. Serjeant and Ronlad Lewcock **Sana, an Arabian Islamic City**, London, 1983. (المؤلف).

٥٢- حدثت عدة إصلاحات وترميمات على بنية المسجد قبل عمل حسن باشا العثماني، ومنها ما عمل على يد ابن الروية وعمارة محمد بن حسين الأصبهاني وغيرهما، انظر: الحجري، محمد بن أحمد . **مساجد صنعاء**، ص٨٩ - ٩٠ (المترجم) .

٥٣- الحجري، المرجع السابق، ص٨٩ (المؤلف) .

٥٤- تقع إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٥كم بسفح جبل كوكبان (المترجم).

٥٥- للمزيد من المعلومات حول هذا المسجد، انظر R. B. Lewcock and G.R . : Smith "Two Early Mosques in the Yemen - APreliminay Report, in **Art and Archaeology Research Papers**, London, 1973, iv, 117 - 130 . (المؤلف)

٥٦- ترجمة دي غويه، ص٢١١ . (المؤلف).

٥٧- الأبدانا - Apadana : هي قاعة الاستقبال في القصر الملكي الساساني (المترجم).

٥٨- المرجع السابق، ص١٣ (المؤلف) .

٥٩- حسب ما صرح به مدير عام الآثار ، القاضي إسماعيل الأكوع، فإن المسجد يعود إلى أواخر القرن العاشر الميلادي. وللمزيد من المعلومات حول إمكانية تاريخ المسجد إلى القرن الحادي عشر الميلادي، بناء على الدلائل المعمارية والفنية، انظر : Barbara Finster, "Die Moschee von Sarha "Baghdader Mitteilungen, vol. 10 . 1979, pp. 220 - 242 . (المؤلف)

٦٠- هو الإمام الزيدي يحيى بن الحسين بن

القاسم بن إبراهيم ، الملقب بالهادي إلى الحق المبين . دخل اليمن سنة ٢٨٠ للهجرة ، ومات ودفن بصعدة سنة ٢٩٨ للهجرة . حول سيرته ، انظر : يحيى ابن الحسين . **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق : عبدالملك بدر الدين ايقل (جامعة درم ١٩٩٠م)، رسالة ماجستير لم تنشر (المترجم).

٦١- عند زيارتي لليمن في عام ١٩٨٩م لاحظت وجود العديد من المقابر داخل وخارج مدينة صعدة عامة، وفي جبانتها المشهورة خاصة . وتكمن أهمية هذه المقابر باحتواء شواهدها الرخامية على نصوص وأدعية نفذت بخط الثلث والنسخ . أما التوابيت الخشبية المحتوية على رفات بعض من الأئمة الزيدية فتضم ثروة عظيمة من الأساليب الزخرفية المهمة جداً في تتبع تطور طراز الزخارف الخشبية في العالم الإسلامي عامة وفي بلاد اليمن خاصة (المترجم) .

٦٢- لم أتمكن من معرفة ماهية هذا الأسلوب الزخرفي حسب المراجع المتاحة (المترجم) .

٦٣- الشحر : بكسر الشين وسكون الحاء، مدينة وناحية منبسطة في حضرموت تطل على بحر العرب. العمري، حسين عبدالله . **الموسوعة اليمنية** ، (بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٢م) ج٢، ص٥٤٨ - ٥٤٩ (المترجم) .

٦٤- تعرف - أيضًا - باسم شبام حضرموت : وهي من أكبر المدن في حضرموت ورد اسمها في عدد من النقوش القديمة . المقحفي ، إبراهيم أحمد. **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ص ٣٤٣ (المترجم) .

٦٥- لذا يسمى المسجد ـ أيضًا - مسجد الرشيد نسبة إلى الخليفة بالرغم من عدم وجود دلائل تاريخية تثبت صحة هذه النسبة . انظر : **Damluji, Salma, The Valley Of Mud Brick Architecture, Shibam, Tarim and Wadi Hadramut,** (London, 1992), p. 88 . (المترجم)

٦٦- هو جد العلويين الحضارمة ، سكن في قرية باعلوي بوادي دوعن بعد قدومه من البصرة سنة ٣١٧ للهجرة . المقحفي، إبراهيم أحمد . **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ص ٥٩، ص ١١١، (المترجم) .

٦٧- عن هذه المساجد وغيرها الواقعة في مدينة تريم ، انظر كتاب : Damluji, op . cit , p . 206f. (المترجم)

٦٨- ذي جبلة : من المدن المشهورة ، تقع إلى الجنوب الغربي من إب بمسافة ٧كم . للمزيد من المعلومات ، انظر : المقحفي، إبراهيم أحمد . **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ص ١٠٨ - ١٠٩ . (المترجم) .

٦٩- للمزيد من المعلومات ، انظر : R. B. Lewcock and G . R . Smith, note 36 . (المؤلف)

٧٠- وهي التي تعرف بالمجاز (المترجم) .

٧١- أسناف : اسم يطلق على قرية وحصنها، كلاهما يقعان إلى الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة حوالي ٢٠كم. انظر : المقحفي، إبراهيم أحمد. **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ص٣١ (المترجم) .

٧٢- اصطلاح خاص بالمؤلف لا وجود له بتاتًا في تاريخ عمارة المساجد (المترجم).

٧٣- لمعرفة الوصف المعماري الكامل لهذه المساجد الثلاثة، انظر :

R. B. Lewcock and G . R . Smith, "Three Medieval Mosques in the Yemen **APreliminary Surviy in Oriental Art**, London, 1474, XX, 1, and 2,75 - 86 and 192. (المؤلف)

٧٤- نسبة إلى الملك الرسولي الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد (توفي سنة ٨٠٣ للهجرة) . حول هذا المسجد، انظر : الأكوع ، إسماعيل بن علي. **المدارس الإسلامية في اليمن** . (بيروت. مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٦م) ، ص٢٦٨ - ٢٧٠ (المترجم).

٧٥- نسبة إلى الجهة الكريمة جهة الطواشي الأجل جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرفي، المتوفية عام ٧٩٦ للهجرة . وجدير بالذكر بأن كنية "الجهة الكريمة" تعني المرأة الجليلة كما كان يكنى عن الرجل العظيم بالجناب ، انظر: شيحة، مصطفى عبدالله . **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية** ، ص ٩٤ . ولمزيد من التفاصيل المعمارية بما يخص هذا المسجد، انظر : الأكوع، إسماعيل بن علي . **المدارس الإسلامية في اليمن**، ص ٢٨٣ - ٢٨٧ (المترجم).

٧٦- سمي هذا المسجد بالعامرية نسبة إلى مؤسسه السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر . ورداع: مدينة مزدهرة واقعة إلى الشرق من ذمار بحوالي ٥٠كم، والمدينة تعد مركزًا لتلك الناحية، راجع : الأكوع، إسماعيل بن علي ، **المدارس الإسلامية في اليمن**، ص ٣٣٧ - ٣٤٦ . وأيضًا : الأكوع ، إسماعيل بن علي . **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي**، (الكويت، ١٩٨٥م)، ص ١١٨ - ١١٩ (المترجم) .

٧٧- السمسار : الشخص الذي يبيع البر للناس، والكلمة فارسية معربة لها التصاق مباشر في عمليات البيع والشراء . أما السمسرة فهي مكان فعاليات البيع والشراء وبمثابة صفة

الحانوت، ولاتزال الكلمة مستخدمة في بلاد اليمن، انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد. **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، بدون تاريخ)، ج٤، ص٣٨٠ - ٣٨١ (المترجم).

٧٨- انظر :

R. B. Lewcock "The Painted Dome of the Ashrafiyyah in Taizz, Yemen, "in Essays Presented to R . B . Serjeant, eds, R . L . Bidwell and G. R . Smith, London, 1983 . (المؤلف)

٧٩- من المدن المشهورة بالعلم، تقع إلى الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٤٥كم. وبالمدينة حصن يسمى باسمها. راجع الأكوع إسماعيل بن علي . **البلدان اليمانية عند ياقوت**، ص ٦٠ (المترجم).

٨٠- يقع هذا المسجد في الجهة الشمالية من صنعاء وينسب إلى الحاج أحمد بن عبدالله الفليحي الذي قام بتأسيسه سنة ٦٦٥ للهجرة . للمزيد من التفاصيل حول هذا المسجد ، انظر : الحجري، محمد بن أحمد . **مساجد صنعاء**، ص٩٠ - ٩١ (المترجم) .

٨١- نسبة إلى بكير بك مولى الوزير حسن باشا. راجع : الحجري، محمد بن أحمد . **مساجد صنعاء** ، ص١٧- ٢١ (المترجم) .

٨٢- جلب بأمر من السلطان العثماني عبدالحميد ابن عبدالمجيد خان سنة ١٢٩٨ للهجرة . انظر : الحجري ، محمد بن أحمد . **مساجد صنعاء**، ص١٧ (المترجم) .

٨٣- هكذا وردت بالنص الإنجليزي ولعل المقصود هو الإيوان وليس الديوان . وعادة ما تبنى دكة المبلغ أو المؤذن (وتدعى السدة) في الحيز المكاني للإيوان (المترجم).

٨٤- البناء بهذا الأسلوب (استخدام الطوب لتشكيل الزخارف) يعدّ خاصية معمارية للمقابر العادية والمقابر التي تعلوها الأبراج . وقد عملت الشعوب التركية على تطبيق هذا الأسلوب في أواسط آسيا منذ القرن الحادي عشر للميلاد وما بعده . ونتيجة لذلك، فإن المنارات من هذا الطراز شاع تشييدها في فارس وبلاد الرافدين .

إنه لمن المؤسف ، حقاً بالنسبة للمؤلف وللمحرر بأن هذا المقال ينشر بدون الصور والرسومات التوضيحية اللازمة ، وذلك بسبب فقدانها بالبريد المرسل من كمبردج إلى بون (المؤلف).

موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي

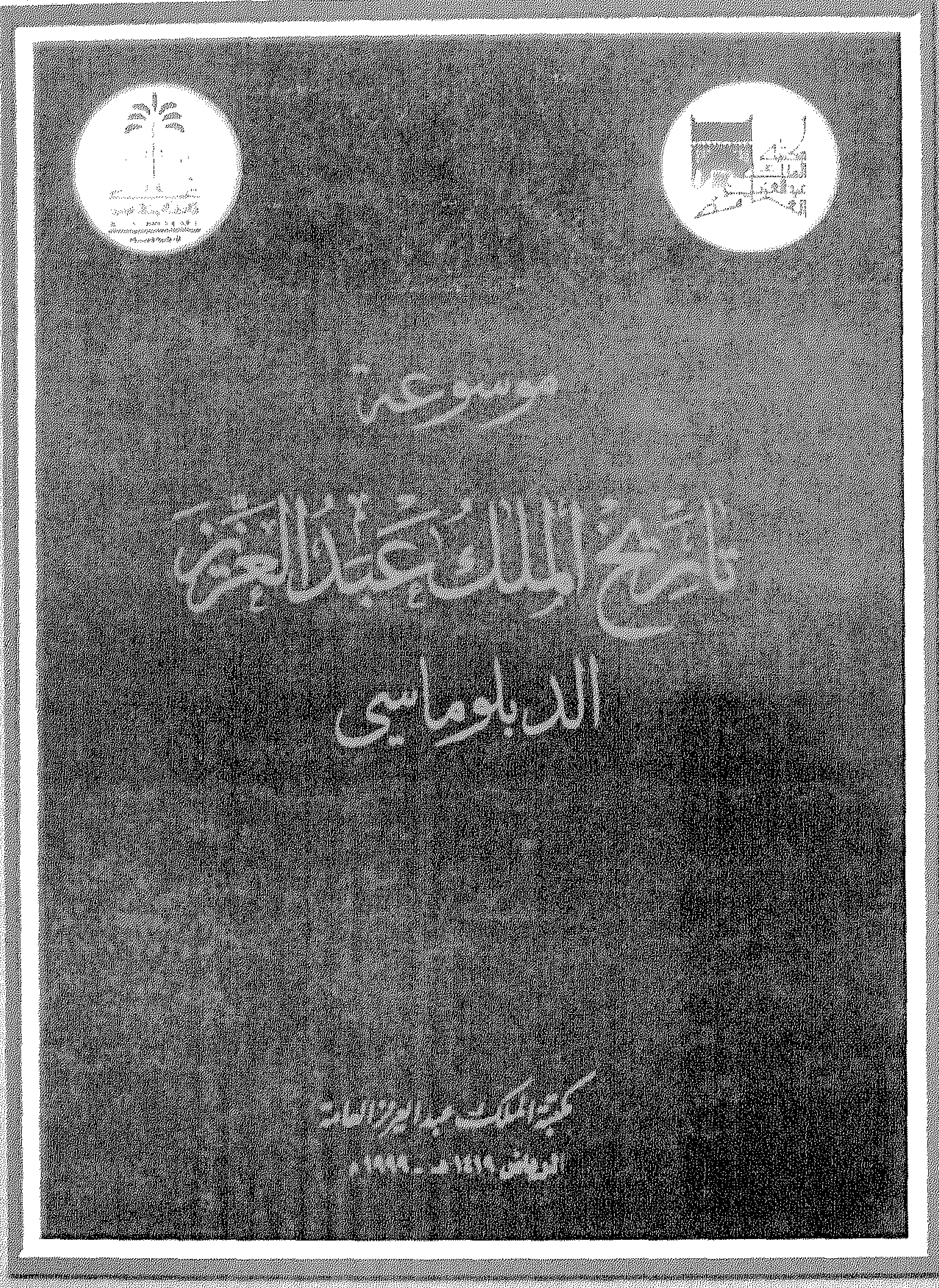

يطلب من : مكتبة الملك عبدالعزيز

✉ ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢ - ☎ ٤٩١١٣٠٠ ناسوخ ٤٩١١٩٤٩ - المملكة العربية السعودية

Alam al-Makhtotat wal Nawadir

Vol. 4 No. 1 May - Oct. 1999